جمهورية تركيا
جامعة جانكري كارا تكين
معهد العلوم الإجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

# المقاصد القرآنية من خلال سورة القصص

ضياء علي طاهر الطحان
198314305

أطروحة ماجستير

باشراف الاستاذ

أ.م.د. يشار أونال

جانكري -2021

**جمهورية تركيا**
**جامعة جانكري كارا تكين**
**معهد العلوم الإجتماعية**
**العلوم الإسلامية الأساسية**

# المقاصد القرآنية من خلال سورة القصص

**ضياء علي طاهر الطحان**
**ORCID: 0000-0001-6206-1886**

**أطروحة ماجستير**

**أ.م.د. يشار أونال**

**جانكري –2021**

## المحتويات


| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| بيان أخلاقيات البحث العلمي | vii |
| المصادقة على الأطروحة | |
| المقدمة | viii |
| الملخص | x |
| ÖZET | xii |
| ABSTRACT | xiv |
| الرموز المستخدمة | xvii |
| المدخل | 1 |
| **الفصل الأول: علم المقاصد القرآنية وسورة القَصَص** | 5 |
| **المبحث الأول:** تعريف عام بعلم المقاصد | 7 |
| المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً | 8 |
| أولاً: المقاصد لغة: | 8 |
| ثانياً: المقاصد اصطلاحاً: | 10 |
| المطلب الثاني: تاريخ وأهمية علم المقاصد | 14 |
| **المبحث الثاني:** تحليل لسورة القَصَص | 24 |
| المطلب الأول: نظرة عامة على السورة | 25 |
| أولاً: عدد آياتها ومكان وزمان نزولها: | 25 |
| ثانياً: ترتيبها بين السور: | 28 |
| ثالثاً: تسميتها: | 28 |
| رابعاً: معنى لفظة (القَصَص): | 30 |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| خامساً: أنواع القصص في القرآن: | 31 |
| سادسا: فوائد القصص القرآني: | 32 |
| سابعاً: التكرار في القصص القرآني وحكمته: | 33 |
| المطلب الثاني: دراسة موضوعية للسورة | 35 |
| أولاً: فضائل السورة: | 35 |
| ثانياً: جو السورة وحال المسلمين وقت نزولها: | 36 |
| ثالثاً: محور السورة: | 38 |
| رابعاً: الأهداف العامة لسورة القصص: | 40 |
| خامساً: مناسبة السورة لما قبلها: | 44 |
| سادساً: مناسبة السورة لما بعدها: | 46 |
| سابعاً: التناسب بين بداية السورة وخاتمتها: | 48 |
| **الفصل الثاني: المقاصد في قصة سيدنا موسى (υ) مع فرعون** | 51 |
| **المبحث الأول:** المقاصد القرآنية في سنة الله (I) في الظالمين | 51 |
| المطلب الأول: مقصد الله وإرادته في تغيير حال المستضعفين | 52 |
| المطلب الثاني: إرادة الله (I) فوق إرادة فرعون | 59 |
| المطلب الثالث: ابتلاء سيدنا موسى (υ) بقتل الرجل، والمقصد القرآني في ذلك | 70 |
| **المبحث الثاني:** المقصد القرآني في ابتلاء الأنبياء وصياغتهم | 76 |
| المطلب الأول: المقاصد القرآنية في هجرة موسى (υ) إلى مدين | 78 |
| المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في رجوع موسى (υ) إلى | 90 |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| مصر ومواجهته لفرعون | |
| **الفصل الثالث: المقاصد القرآنية في ضرورة البعثة المحمدية** | 102 |
| **المبحث الأول:** المقاصد القرآنية في ربط قصــة موسى (υ) بحياة النبي (ρ) | 102 |
| المطلب الأول: المقصد القرآني في بيان أن الوحي من عند الله (I) | 103 |
| المطلب الثاني: عناد كفار مكة ومجادلتهم للنبي (ρ) | 105 |
| أولاً: العناد: | 105 |
| ثانياً: اتباع الأهواء والظلم: | 109 |
| ثالثاً: لابد من توصيل القول إلى المشركين: | 110 |
| **المبحث الثاني**: المقاصد القرآنية في بيان حال أهل الكتاب تجاه الإسلام | 112 |
| المطلب الأول: المقاصد القرآنية في بيان حال أهل الكتاب المخلصين | 112 |
| أولاً: التسليم لله (I): | 113 |
| ثانياً: الصبر لله (I): | 115 |
| ثالثاً: يدرؤون بالحسنة السيئة: | 116 |
| رابعاً: الإنفاق في سبيل الله (I): | 117 |
| خامساً: الإعراض عن اللغو: | 118 |
| سادساً: عدم ابتغاء الجاهلين: | 119 |
| المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في بيان السنن الإلهية في الهداية | 120 |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| أولاً: الهداية من الله (I): | 120 |
| ثانياً: حجة واهية: | 122 |
| ثالثاً: البطر في المعيشة يؤول إلى الهلاك: | 124 |
| رابعاً: إرسال الرسل لقطع الحجج، فلا يهلك إلّا بعد الظلم: | 126 |
| خامساً: الهداية سبب للسعادة في الآخرة: | 128 |
| سادساً: التذكير بنعم الله سبب للهداية: | 129 |
| **الفصل الرابع: المقاصد القرآنية في قدرة الله (I) في الثواب والعقاب** | 133 |
| **المبحث الأول:** المقاصد القرآنية في المحاورة بين رب العباد والعباد يوم القيامة | 133 |
| المطلب الأول: بطلان الشرك بالله (I) | 133 |
| أولاً: توبيخ المشركين | 134 |
| ثانياً: التهكم والاستهزاء بالمشركين | 136 |
| ثالثاً: بطلان حجة المشركين: | 138 |
| المطلب الثاني: الاختيار لله (I) | 140 |
| المطلب الثالث: المقاصد القرآنية في تقرير التوحيد | 144 |
| أولاً: دليل العظمة والسلطان الإلهي: | 144 |
| ثانياً: تأكيد التوبيخ للمشركين: | 147 |
| **المبحث الثاني:** المقاصد القرآنية في ختام السورة | 149 |
| المطلب الأول: المقاصد القرآنية في الطغيان بالثروة والمال | 150 |
| أولاً: كنوز قارون: | 150 |
| ثانياً: المقاصد القرآنية في رفض قارون للنصيحة: | 153 |

| الموضوع | رقم الصفحة |
| --- | --- |
| ثالثاً: بيان مواقف أهل الدنيا وأهل الآخرة من الطغاة بالمال: | 155 |
| رابعاً: الهلاك للطغاة: | 157 |
| خامساً: العبرة والاتعاظ عند معاينة آيات الله (I): | 159 |
| سادساً: عدم التكبر وعدم الإفساد سبب للفوز بالآخرة: | 161 |
| المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في التوصيات الإلهية للرسول (ρ) | 163 |
| أولاً: الوعد بالعودة والنصر والتمكين: | 163 |
| ثانياً: المقاصد القرآن الكريم في التوجيهات الإلهية: | 165 |
| الخاتمة | 169 |
| النتائج: | 169 |
| التوصيات: | 171 |
| المصادر والمراجع: | 173 |
| الرسائل والأطاريح: | 189 |
| المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية: | 190 |
| السيرة الذاتية | 193 |

## بيان أخلاقيات البحث العلمي

**أصرح بأني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة (عنوان الأطروحة) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن إنتهيت من هذه الدراسة ، و أن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، و أنني قمت بذكر و الإشارة إلى جميع المصادر و المراجع التي إقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعددتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر والمراجع.**

**202...\...\....**

**ضياء علي طاهر الطحان**

**ÇANKIRI KARATEKİN ÜNİVERSİTESİ**

**SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE**

*[***Dheyaa Ali Taher Tahhan***]* tarafından hazırlanan *[***kasas Suresi Aracılığıyla Kur'an'ın Amaçladıkları***]* başlıklı bu çalışma, *[05-08-2021]* tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda *[oybirliği/oy çokluğuyla]* başarılı bulunarak jürimiz tarafından *[Anabilim Dalının Adı]* Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

**TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)**

| | | |
|---|---|---|
| Danışman | : (Dr. Öğr. Üyesi Yaşar Ünal) | İmza: …….. |
| Üye | : (DOÇ. Dr.Rabiye ÇETİN) | İmza: …….. |
| Üye | : (Dr. Öğr. Üyesi Ibrahem ALSHBLI) | İmza: …….. |

**ONAY**

Bu Tez, Çankırı Karatekin Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun ...../..../ 202.. tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Unvan Ad SOYAD

Enstitü Müdürü

## المقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ρ) المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن هذه الدراسة الموسومة **(المقاصد القرآنية من خلال سورة القصص)** تتناول علماً عظيماً من علوم القرآن الكريم ألا وهو علم المقاصد القرآنية، متمثلاً في المقاصد القرآنية التي جاءت في سورة القَصَص تحديداً والتي نزلت على رسول الله (ρ) أواخر العهد المكي لتواسيه على ما فعله المشركون به وبالمؤمنين، ولتبشر المؤمنين بأن وعد الله حق في النصر والتمكين.

**أهمية الموضوع:**

1. الوصول الى المعنى المقصود للأيات وأنه كلام الله تعالى المنتظم والمترابط.
2. بيان مصداقية القرآن الكريم وأنه كلام الله تعالى المنتظم والمترابط.
3. إن مما يساعد على رسوخ الإيمان في النفس البشرية هو معرفة أهداف ومقاصد الآيات.

**أسباب اختيار الموضوع:**

1. ابتغاء مرضاة الله (Y) من خلال التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم.
2. المشاركة ولو بجزء يسير في دراسات القرآن الكريم وعلومه ونشر الفائدة لعامة المسلمين.
3. الوقوف على ما تناولته سورة القَصَص من سرد للآيات والقصص والأخبار وأخذ الموعظة منها.
4. ما تحمله سورة القَصَص من مبشرات بنهاية الظلم والطغيان والنهاية الحتمية لكل ظالم.

وكانت الصعوبة في الدراسة هي كيفية استخراج الغاية والقصد من الآيات والذي لا يكون إلّا بكثرة التدبر والتمعن في آيات الله حتى يأتي الإلهام من الله (I)،

فقد توكلت على الله واستعنت به لا إله إلّا هو وبدأت بالبحث في كتب التفسير وكتب علوم القرآن وفي كتب الذين كتبوا في علم المقاصد القرآنية، فكانت الصعوبة في التوفيق بين ما كتبه المؤلفون فكل كتب حسب ما وصله من أسرار التأويل عن الرسول (ρ) وعن أصحابه الكرام والتابعين الأخيار (رضي الله عنهم جميعاً) وبحسب ما ألهمه الله (I) من التدبر. وأسأل الله التوفيق بما قمت به من جهد متواضع.

وفي هذا الكلام أريد أن أنوه إلى سعة صدر الأستاذ الدكتور ( يشار اونال ) المشرف على الرسالة ومرافقته لي في خطوات الرسالة وإرشاداته ونصحه فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول كذلك لكل من الدكتور قتيبة الفرحات والدكتور عبدالسلام عيسى اليعقوب.

هذا فما كان من صواب فمن الله (Ψ) وحده، ومنه التوفيق والقبول. وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، أسأل الله العظيم أن يغفر لي ذنبي وأن لا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

الباحث

## الملخص

**عنوان الأطروحة : المقاصد القرآنية من خلال سورة القصص**

**مُعِد الأطروحة : ضياء علي طاهر الطحان**

**المشرف : أ.م.د يشار أونال**

**الفرع العلمي/القسم : العلوم الاسلامية الأساسية / التفسير**

**نوع الأطروحة : ماجستير**

**تاريخ الموافقة : / /2021م**

اشتملت هذه الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة على النحو الآتي الفصل الأول(التمهيدي):تطرقت فيه عن علم المقاصد ,وتعريفه وأهميته ثم التعريف العام بسورة القصص ويتضمن آيات السورة وأسماؤها ومكان وزمان نزولها وترتيبها وتسميتها وأنواعها وفوائدها وفضائلها وجو نزولها ومناسبة السورة لما قبلها وبعدها .

الفصل الثاني تحدثت عن ظلم الطاغية فرعون للمستضعفين وكيف نجاهم الله من بطش فرعون ثم تطرقت عن إرادة الله وكيف نجا الله موسى (الرضيع)من فرعون عندما ألقته أُمه في اليم ثم تكلمت عن ابتلاء النبي موسى بقتل القبطي وخروجه من مصر وتوجهه إلى مدين وقصة التقائه بالرجل الصالح ،ثم رجوعه إلى أهله وبلاده بعد إنتهاء المدة المحددة،وكيف أوحى الله له بالرسالة وما وقع معه من المعجزات أثناء عودته .

الفصل الثالث تحدثت فيه عن أوجه التشابه بين دعوة النبي (ﷺ )ودعوة موسى وكذلك تحدثت عن مشركي مكة ومناقشتهم للنبي (ﷺ ) وعدم إيمانهم بنبوته واتباعهم لأهوائهم وتكذيبهم لرسلهم ثم تطرقت الى أحوال أهل الكتاب المخلصين تجاه الإسلام وإخلاصهم في عبادتهم فكان جزاءهم أن يؤتوا أجرهم مرتين بما صبروا وثبتوا.ثم تناولت الهداية و من يستحق الهداية ومن يستحق الغواية ثم حجج

المشركين في عدم دخولهم للإسلام وبينت فيه عن حقارة الدنيا و ما فيها من متاع فهو إلى زوال.

الفصل الرابع تحدثت فيه عن بطلان حجج وأعذار المشركين على شركهم وكيف يأتيهم النداء من الله على سبيل التقريع والتأنيب ثم تطرقت إلى انفراد الله عزوجل ووحدانيته وعظمته ثم تأخذنا الآيات إلى أسلوب جديد لتوبيخ المشركين وتكرار النداء لزيادة تقريعهم ثم تحدثت عن طغيان قارون وتجاوزه الحد في ظلمه والتعالي على قومه فكانت نهايته هلاكه وكيف تعجب قومه بهلاكه ثم يأتي ختام السورة ببشارة النبي (ﷺ )وتثبيت قلبه وأنه يعود الى مكة قاهرا لاعدائه فإن الله مؤيده وناصره.

الكلمات المفتاحية : سورة القصص- المقاصد – إ سرائيل - موسى – فرعون – قارون .

## ÖZET

**Tezin Başlığı : kasas Suresi Aracılığıyla Kur'an'ın Amaçladıkları**

**Tezin Yazarı : Dheyaa Ali Taher Tahhan**

**Danışman : Dr. Öğr: ÜyesiYaşarÜnal**

**Anabilim Dalı : Temel İslam Bilimleri Ana Bilim Dalı**

**Tezin Türü: Yüksek Lisan**

**Kabul Tarihi :**

Bu çalışma giriş, dört bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır. Birinci bölümde Makâsıd ilminin tanımı ve önemiyle birlikte Kasas Süresi'nin ayetleri, nüzul yeri ve zamanı bölümlerine göre incelenmiş, surenin ismi nüzul sırası, nüzul ortamı ve faziletiyle, nüzulünden öncesinde ve sonrasında nazil olan diğer sürelerle ilgisi ele alınmıştır.

İkinci bölümde, Firavun'un tebasındaki kölelere yaptığı zulüm ile Allah'ın İsrailoğullarını Firavun'un zulmünden nasıl kurtardığından bahsedilmiştir. Bu süreçte Musa (as)'ın bebekken annesinin onu Firavun'dan kurtarmak için denize bırakması, Musa'nın bir kıptiyi öldürmesi ve bu olaydan sonra Mısır'dan kaçarak Medyen'e gitmesi burada salih bir adamla karşılaşması, sonrasında ailesine ve ülkesine dönerken peygamberlik verilmesi gibi hususlara değinilmiştir.

Üçüncü bölümde, Hz. Muhemmed (sav) ile Hz. Musa'nın dine davetleri arasındaki benzerlikler ele alınmıştır. Hz Peygamber ile Müşrikler arasındaki mücadeleler, müşriklerin Hz Peygamber'e inanmama ve onu yalanlamaları gibi hususlarla konu örneklendirilmiştir .

Dürdüncü bölümde ise, Müşriklerin Allah'a şirk konusunda öne sürdükleri gerekçeleri bunun üzerine Allah'tan gelen uyarı niteliğindeki ikaz ayetleri ve bu ayetlerin üslubu anlatılmıştır. Konuya Kârun'un kendi kavmine karşı yaptığı zulüm, baskı ve kibrinden dolayı helak oluşu örnek verilerek, Allah'ın Hz Peygamber'in kalbini Müşrikler karşısında mutmain kıldığından ve muzaffer bir şekilde Mekke'ye döndüğünden bahsedilmiştir. Muhakkak ki Allah yardım eden ve destekleyendir.



Anahtar kelimeler: Kasas Suresi, el-Mekãsıd, İsrãil, Musa, Firavun, Karun

**ABSTRACT**

**Thesis Title** **:** Quranic Purposes Through Surat Al-Qasas

**Author** **:**Dheyaa Ali Taher Tahhan

**Supervisor** **:** Dr. Öğr: Üyesi Yaşar Ünal

**Department** **:** Islamic Sciences

**Thesis Type** **:** Master's Thesis

**Date** **:**

This thesis includes an introduction, four chapters, a conclusion and results.

The first introductory chapter dealt with the science of purposes, its definition and importance, and an analysis of Surat Al-Qasas. Then I talked about the Surah in terms of the number of its verses," the place and time of its revelation, its order , its naming, the meaning of its word (Qasas), its types and benefits . It also showed the virtues of the surah, the atmosphere of its revelation, and the proportionality between Surat Al-Qasas and the Surah before and the one after it, and between the beginning and the end of the Surah.

In the second chapter I talked about the oppression of the tyrant Pharaoh against the weak people and how God saved them from the oppression of Pharaoh.

Then I dealt with the God's will and how God saved Moses (the infant) from Pharaoh when his mother threw him into the sea. Then I clarified the affliction of Moses by killing the Copt and his emigration from the land of Egypt and he went to the land of Madyan and the story of his meeting with a good man and the return of Moses to his family and country after the completion of the two terms and how God revealed to him the message during his return and the miracles that occurred with him before confronting Pharaoh and his magic.

In Chapter Three I talked about the similarities between the call of the Prophet , (PBUH) and the call of Moses, and the polytheists of Mecca and their discussion with the Prophet (PBUH) and their lack of belief in his prophet hood, and their following their whims and denial of their messengers,

Then I talked about the conditions of the People of the Book who are sincere towards Islam and their sincerity in their worship, so God praised them, so their reward was to give them their reward twice for what they were patient and steadfast and spent in the cause of good.

Then I talked about guidance, and he knows who deserves guidance and who deserves temptation, then the polytheists' arguments for not entering Islam and I explained in it about the insignificance of the world and its enjoyment, it is to the demise.

In the fourth chapter, I explained the invalidity of the polytheists' arguments and excuses for their polytheism, and how the call from God comes to them in the form of reprimand and bashing. Then I touched upon the singularity of God Almighty and He is the owner of the creation and the command, then I spoke of His oneness and greatness, and He alone manages the matter. Then the verses take us to a new method of reprimanding the polytheists and repeating the call to increase their reprimanding.

Then I talked about the tyranny of Qarun and his transgression in his oppression and transcendence over his people, and his persistence in his stubbornness, so his end was his doom. Then comes the end of the surah with the good news of the Prophet , (PBUH) and the stabilization of his heart, and that he will return to Mecca subjugating his enemies, and the divine recommendations come to him, which is the call to God and to act according to his law, for God is his supporter and advocate.

Key words :SuratAl-Qasas, Aims, Moses, Israel, Pharaoh, Qarun

## الرموز المستخدمة

| | |
|---|---|
| ه | هجري |
| م | ميلادي |
| ت | توفي |
| ط | طبعة |
| د ت | دون تاريخ طبعة |
| تح | تحقيق |

## المدخل

الحمد لله الذي جعل طلب العلم سبيل خيريَّة الأمة المسلمة، وطريق وَعْيها، ونهوضها، وحمايتها من الضلال، وجعل التوجه للإجتهاد، والكسب الفقهي، من الفروض الكفائية على الأمة عامة، ومن الفروض العَيْنية على القادر عليها، المتخصِّص بها. فقال تعالى: {وَمَا كَانَ ٱلمُؤمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّة فَلَولَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَة مِّنهُم طَائِفَة لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَومَهُم إِذَا رَجَعُواْ إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرُونَ}[1].

والصلاة والسلام، على الرحمة المهداة، الذي كان المقصد من رسالته وشريعته، رحمة للعالمين، قال تعالى:{ وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا رَحمَة لِّلعَٰلَمِين}[2]، محمد (ρ) أرشد بأنَّ خير الأمة المسلمة، إنما هي في التفقُّه في الدين، وأنَّ استرداد هذه الخيريَّة اليوم، مَنُوط في الفقه في الدين فقال (ρ): **(مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**[3]. ذلك أنَّ التفقه في الدين، والعلم بمقاصد التشريع، مؤشِّر على الخيريَّة، وإن الكثير من والهزائم والضعف والعجز عن النهوض، كان بسبب غياب الفقه الصحيح بالدين، والقعود عن التوجه للتفقُّه في الدين. قال تعالى:{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم قَوم لَّا يَفقَهُونَ}[4]. وعليه فإن الفقه في الدين، لا يتحقق بحفظ الأحكام الشرعية فقط، فقد يكون هذا حاملاً للفقه، وليس فِقْهاً، والرسول (ρ) يقول: **(نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَدَّاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ**

---

[1] سورة التوبة: 9 \ 122 .

[2] سورة الأنبياء: 21 \ 107 .

[3] البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت: ٢56 هـ)، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ρ) وسننه وأيامه) (صحيح البخاري)، تح: د. محمد زهير بن ناصر الناصر،ط 1، دار طوق النجاة، (١٤٢٢هـ): كتابُ: العِلْمِ: بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم الحديث: (71): (25/1).

[4] سورة الحشر: 13 \ 59

**أَفْقَهُ مِنْهُ)**[5].ومن هنا ندرك بعض مقاصد دعاء الرسول (ρ) لعبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)، بقوله: **(اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)**[6]، فكان ببركة دعاء الرسول (ρ) حَبْرَ الأُمة، بما وَعَى، وبما فَقُه، من إدراك العواقب، والمآلات، "وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ" في ضوء سنن الله وأقداره الفاعلة في الحياة. وبما أن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، ورسالته للبشرية، فهو مستودع للأسرار الإلهية والآيات الربانية، لذا اجتهد العلماء على خدمته وبيان علومه وتفسيره، والعلم المتعلق بكتاب الله (Y) يعد من أجلّ العلوم وأشرفها، لأن شرف المعلوم هو شرف للعلم، وعلم التفسير علم عظيم بتعلقه بأصدق الكلام وهو كلام الله (I)، فالذي يبغي العلوم كلها عليه بعلم التفسير، فكلما تدبرنا في القرآن الكريم اكتشفنا سراً من أسراره ودرراً مكنونة كثيرة فيه، ونميز بآياته الخطأ من الصواب، قال تعالى:{كِتَٰبٌ أَنزَلنَٰهُ إِلَيكَ مُبَٰرَك لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلبَٰبِ}[7]،

**أهمية دراسة سورة القَصَص:**

1. أن الله (Ψ) هو الحاكم والآمر.
2. نوضح بعضاً من أشكال الإعجاز الَقُرْآني التي لا تحصى عدداً.
3. تحليل آراء وأقوال العلماء قديماً وحديثاً.
4. ربط الماضي بالحاضر والمستقبل وسُوْرَة الْقَصَصِ حافلة بالحقائق التاريخية، وتتوافق أحداثها مع ما تمر به الأمة الإسلامية من أحداث.

**أهداف البحث:**

1. الوقوف على الأهداف والمقاصد الأساسية لسورة القَصَص.

---

[5] ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت: 241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 2 (ب. م)، (-1999م): حديث جبير بن المطعّم، رقم الحديث: (16738): (301/27).

[6] ابن حنبل: المسند: مسند عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، رقم الحديث: (2397): (225/4).

[7] سورة ص: 83 \ 29.

2. بيان عظمة حكمة الله (Y) وتدبيره للأمور.
3. القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان وحال، ولكن يحتاج إلى مفسر يبرز أسراره.
4. أن ينتفع المسلمون من التوجيهات العقدية والتربوية والأخلاقية والإجتماعية.

**منهج البحث:**

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي بتتبع موضوعات السورة الكريمة وفق غايتها ومقاصدها ومحورها، وكذلك منهج موضوعي وإستنباطي لتلك الموضوعات.

فكان البدء بالدراسة عن علم المقاصد ومن ثم تحليل عام للسورة ومن ثم تبيان لمقاصد السورة حسب موضوعاتها.

كتبت الآيات القرآنية بالخط العثماني لمصحف المدينة المنورة ووضعت الآيات بين قوسين مزهرين { }، وتمت الإشارة إلى اسم السورة ورقم الآية في الحواشي السفلية، وبالنسبة للأحاديث الشريفة فقد وضعت متن الحديث بين قوسين ( )، وتخريج الحديث في الحواشي السفلية، وإذا كان هناك نص مقتبس من مرجع فقد وضع بين قوسي الإقتباس " ".

وكان المنهج في البحث إذا انفرد صاحب تفسير أو مؤلف برأيه في المقصد ذكر وحده في الهامش وإذا اجتمعت الآراء لدى أصحاب التفاسير والمؤلفين ذكرت المجمل منهم في المتن وأشرت إلى من ذكر ذلك الرأي في الحاشية السفلية مجموعين بهامش واحد، كما لم أذكر في المتن اسم المؤلف أو المرجع (مثل قال الطبري، أو أشار الطبري، أو عند الطبري كذا) وإنما الإكتفاء بالإشارة إلى المرجع في الهامش إختصاراً للمتن من كثرة ذكر أسماء الأعلام.

**أسئلة البحث:**

1. ما المقاصد القرآنية وما هي أهميتها؟
2. كيف يسرد لنا النص القرآني القصة في سورة القَصَص؟

3. ما المقاصد التي احتوتها سورة القَصَص؟
4. ما علاقة ما جاء من القَصَص في سورة القَصَص بما مرّ به النبي (ρ) قبل الهجرة؟

**الدراسات السابقة:**

بعد البحث في المكتبات المتوفرة وسؤال المختصين في هذا المجال والبحث في شبكة المعلومات تم العثور على دراستين علميتين تناولتا هذا الموضوع ولكن بأسلوب مختلف وكذلك تم العثور على دراسة ثالثة تناولت تحليل سورة القَصَص.

**الدراسة الأولى: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من آية (54) من سورة النمل إلى الآية (50) من سورة القَصَص.**

قام بها الباحث محمد بن سليم بن أحمد العروقي لطلب الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة عام (1438هـ-2016م).

**الدراسة الثانية: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين سورة القَصَص الآيات (51-88) وسورة العنكبوت الآيات (1-45).**

قامت بها الباحثة سماح جمال أحمد البسيوني لطلب الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة عام (1437هـ-2015م).

جاء في كلتا الدراستين التحليل الموضوعي لهذه السور المذكورة في العناوين من حيث أسماء السور وعدد آياتها ومكان وزمان نزولها وترتيبها ومحور موضوعاتها ومقاصدها العامة، واختيار نماذج من الآيات وتحليلها من خلال بيان ما ورد فيها من مناسبات ومفردات وقراءات وبلاغة ثم التفسير الإجمالي لهذه الآيات ثم بيان مقاصدها وأهدافها.

قام الباحثان بجهد مميز في دراستيهما في تحليل وبيان مقاصد وأهداف الحزب (39) والحزب (40) من القرآن الكريم بشكل عام والذي شمل على ثلاثة

سور هي النمل والقصص والعنكبوت ولم يختص بسورة معينة، بينما دراستنا تختص بسورة القَصَص فقط دراسة مستفيضة.

**الدراسة الثالثة: كتاب سورة القَصَص دراسة تحليلية للدكتور محمد مطني:** قام المؤلف بجهد مميز بدراسة تحليلية لسورة القَصَص بمنهجية علمية أكاديمية في تحليل كلّ مقطع وفق نظام تحليل الألفاظ على وفق المصطلح المعجمي، إبراز المناسبة بين الآيات في المقطع وما قبلها وما بعدها، تخريج القراءات القُرْآنيّة ومواردها في كلّ مقطع، ذكر القضايا البلاغية، المعنى العام للمقطع، وما يستفاد من المقطع.

وتختلف دراستنا عن هذه الدراسة بكون دراستنا مختصة بدراسة المقاصد والأهداف لسورة القَصَص.

وقد استفدت من الدراسات السابقة في بحثي في بعض المواضع واتخذت طريقة مخالفة لطريقتهم في التحليل وبيان المقاصد والأهداف والغايات لزيادة معلومات أكثر ولتعم الفائدة للأمة الإسلامية.

## 1. الفصل الأول: علم المقاصد القرآنية وسورة القَصَص:

يعد النص القرآني من أغنى الآثار السردية العربية بأنواع السرد، لما فيه من مقومات السرد المتفرد المعجز، إذ أخذ القصص القرآني أكبر مساحة من كتاب الله تعالى، ذلك أن القصة عبرت عن أهداف كثيرة وغايات عديدة. وما القصة إلا طريقة من طرق التعبير في القرآن، تشترك مع غيرها من الأنماط التعبيرية الأخرى في الأهداف العامة لهذا الكتاب المعجز ، يرشد الناس إلى صراط مستقيم، ويعيد لهم طريق الحياة الفاضلة ... كل ذلك في تلاحم وانسجام وتمام في النسق. تخضع كل سورة قرآنية لحبكة تشدها، وتربط أولها بآخرها، أي أن أجزاء كل سورة تشترك في بنية كبرى تجمعها، وّلما كانت القصة القرآنية تمتزج بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجًا عضويًا لا مجال فيها للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، فقد خضعت هي الأخرى لحبكة تشد إليها كل مكونات القصة. وهذا ما

يستدعي حتمًا انسجام البنيات الصغرى واتحادها لتصب في قالب واحد، هو البناء الكّلي للحكاية[8].

وإذا تأملنا في سور القرآن الكريم، وتدبرنا آياته لما تضمنته من أحكام وأخبار ووصايا، نجد أن الإهتمام منصب بشكل رئيسي بمقاصد هذا الدين عامة، وكلياته الأساسية، ولم يُعرج على تفاصيل الأحكام إلا في مواضع قليلة ومواطن محددة؛ إذ أن القرآن الكريم كتاب صالح لكل زمان ومكان، وكتاب الماضي والحاضر والمستقبل، فخطابه عام شامل، وأساسي ومقصدي، ومن هنا جاءت كل سورة من سوره تبين مقصداً رئيساً، وهدفاً كليًّا تدور حوله السورة، وتحوم عليه، تبياناً له وتأكيداً عليه. وقد أشار العلماء -المتقدمون منهم والمتأخرون- على السر المقصدي في القرآن، فتحدثوا عنه إجمالاً وتفصيلاً، وأصالة وتبعاً، إلى أن تشكل علم مهم، له ملامحه ومعالمه، وهو علم مقاصد وأغراض سور القرآن[9].

وسيشمل هذا الفصل الأول مبحثين نتناول في المبحث الأول تعريف عام لعلم المقاصد وأهميته وبعض من قال به من العلماء وعمل به وفي المبحث الثاني سنتاول تعريفًا عاماً لسورة القَصَص.

## 1.1. المبحث الأول: تعريف عام بعلم المقاصد:

قامت الحضارة الإسلامية على مصدر أساس ألا وهو القرآن الكريم، هذا ما أجمع عليه الباحثون والدارسون. ويعتبر القرآن الكريم المنبع الأصلي الذي يستقي منه المسلمون القيم ,والمعرفة, والعلوم التي تزينت بها الحضارة الإسلامية, فجاءت سامية عالية كونها مرتبطة بالوحي الإلهي.

---

[8] آمنة عشاب، (الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجاً)، رسالة ماجستير، بإشراف: د. عميش عبدالقادر، جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الشلف، الجزائر، (2007م): (أ).

[9] (علم مقاصد السور القرآنية)، مقالة على شبكة المعلومات على الموقع: http://iswy.co/e16nsa.( ت . م 9-9 -2020 )

عمد المسلمون الأوائل إلى القرآن والسنة يتأملون فيهما ويستخرجون كنوزهما ويخاطبون أمماً عريقة في الحضارة والفكر، وبهذا التأمل انبثقت أنوار المعرفة بكلّ أنواعها، فقد انبثقت ألوان من العلوم والمعارف من القرآن الكريم وما من علم إلّا وقد تأمل أهله في القرآن الكريم.

ومن هذا المنطلق اقتحم المسلمون ميدان العلوم والمعرفة ووضعوا الأسس لها فكان لهم في هذا الميدان صولات وجولات، وكان من بين هذه العلوم علم المقاصد القرآنية الذي جاء نتيجة كثرة التأمل والتدبر في كتاب الله (Y)، فما هو هذا العلم؟ هذا ما سنجيب عليه في هذا المبحث.

## 1.1.1. المطلب الأول: تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً:

### 1.1.1.1. أولاً: المقاصد لغة:

"قَصدتُ الشيء وَإِليهِ وَلَهُ قَصدًا طَلَبتهُ بِعَينهِ، وَإِليهِ قَصدِي وَمَقصدي، بِفَتحِ الصَّاد (مَقصَد)، اسْمُ المَكان بِكَسر الصَّاد نَحو (مَقصد) مُعَين، وجَمع القَصد قُصود. وجَمع المَصدر مَوقوف عَلَى السماع فَإِن سُمِعَ الجمعُ عَلَّلوا بِاختلاف الأَنواع وإِن لم يُسمَع عَلَّلوا بِأَنَّهُ مَصدر أي بَاقٍ عَلَى مَصدَرِيَّتِه وعلى هذا فجَمعُ الْقَصد مَوقوف على السماع وأَما الْمَقصد فَيُجمع عَلَى مَقاصد وقصد في الأمر قَصدًا تَوَسَّطَ وَطَلَبَ الأَسَدَّ وَلَم يُجَاوِز الَحد وَهُو عَلى قَصد أَي رُشد وَطَرِيق قَصد أَي سَهل وَقَصَدتُ قَصْدَهُ أَي نَحوَهُ"[10]. مقاصِدُ الطُرق: المَراشدُ[11].

والْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقِ. قَصَد يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَعَلَى ٱللَّهِ قَصدُ ٱلسَّبِيلِ}[12]، أَي إِنَّ اللهَ هُوَ الذي يُبَيِّنُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمِ، وطريقٌ قَاصِدٌ: سَهْلٌ مُسْتَقِيمٌ. وسَفَرٌ قاصدٌ: سَهْلٌ قَرِيبٌ. قال تعالى: {لَو كَانَ عَرَضا قَرِيبا

[10] الحموي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير),( المكتبة العلمية، بيروت، د . ت): (504/2).

[11] الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)،( تح :أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت،ط 4 -1987م): (474/2).

[12] سورة النحل: 16 \ 9

وَسَفَرا قَاصِدا لاَّتَّبَعُوكَ}[13]، والقَصْدُ: العَدْل، قال رسول الله (ρ) **(القَصدَ القصدَ تَبْلُغُوا)**[14]، أَي عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ مِنَ الأَمور فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَهُوَ الْوَسَطُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وفي الحديث أن رسول الله (ρ): **(كَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا)**[15]، أي بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق، والقَصْدُ: الإعتمادُ والأَمُّ. قَصَدَه يَقْصِدُه قَصْداً وقَصَدَ لَهُ وأَقْصَدَني إليه الأَمرُ، وَهُوَ قَصْدُكَ وقَصْدَكَ أَي تُجاهَك، والقَصْدُ: إِتيان الشَّيْءِ. تَقُولُ: قصَدْتُه وقصدْتُ لَهُ وقصدْتُ إِليه بِمَعْنًى[16]. وعليه تكون المقاصد جمع مقصد، وهي تعني اسم مكان من قَصَدَ إلى أو قَصَدَ مِن، وتعني أيضاً غاية أو فحوى (مقصدي من فعل كذا)[17].

ويتحدد معنى لفظة (مقصد) بكونه لفظا مشتركا بين ثلاثة معاني وهي: أولها: (قصد) بمعنى ضد الفعل (لَغَ) باعتبار اللغو هو الخلو عن الفائدة وصرف الدلالة، فيكون المقصد هو عكس اللغو وذلك في حصول الفائدة أو عقد الدلالة. ثانيها: (قصد) بمعنى ضد الفعل (سَهَ)، باعتبار أن السهو هو الوقوع في النسيان أو فقد التوجه، فيكون المقصد هو عكس السهو وذلك بحصول التوجه والخروج من النسيان. ثالثها: (قصد) بمعنى ضد الفعل (لَهَ)، باعتبار أن اللّهو هو الخلو عن

---

([13]) سورة التوبة:9 \ 42

[14] البخاري: صحيح البخاري: كِتَابُ: الرِّقَاقِ، بَابُ: القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ، رقم الحديث: (6463): (98/8).

[15] مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ρ)) (صحيح مسلم)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د . ت): كِتَابُ: الْجُمُعَةِ، بَابُ: تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، رقم الحديث (866): (591/2).

[16] ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)، (لسان العرب: د . ت، الناشر: دار صادر بيروت، ط 3 -2002م): (353/3).

[17] عمر: أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، (معجم اللغة العربية المعاصرة)، (عالم الكتب، ط 1-2008م): (1820/3).

الغرض الصحيح وفقد الباعث المشروع، فيكون المقصد عكس اللهو وذلك في الاغتنام الصحيح والمشروع للوقت والعمل[18].

مما سبق يتبين لنا أن المعنى اللغوي للمقاصد: هو جمع مقصد، وهو ما تقصده وتنوي الوصول إليه، فهو مقصود لك ولسعيك. ولذلك يستعمل المقصِد والمقصود بمعنى واحد، فهو يتضح في ثلاث نواحي: الإعتماد والتوجه واستقامة الطريق، والتوسط وعدم الإفراط والتفريط، والهدف والغاية المرجو الوصول إليها. ومقاصد القرآن الكريم هي الغايات المستهدفة والنتائج والفوائد المرجوة من النص القرآني حكماً وتفصيلاً.

### 2.1.1.1. ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

لم أجد عند العلماء الأوائل تعريفاً واضحاً أو محدد اً أو دقيقاً للمقاصد وإنما وجدت كلمات وجُمَل تتعلق بأنواعها وأقسامها، وتعبيراتها ومرادفاتها، وبأمثلتها وتطبيقاتها، وبحجيتها وحقيتها. فقد ذكرت الكليات المقاصدية الخمس (حفظ الدين , والنفس, والعقل, والنسل أو النسب , والمال) وذُكِرت المصالح الضرورية والحاجة والتحسينية، وذُكِرت بعض الحِكَم والأسرار والعلل المتصلة بأحكامها وأدلتها. وذُكِرت أدلة من المعقول والمنقول الدالة على أحقية المقاصد وحجيتها، ووجوب مراعاتها والإعتماد عليها بشروط معينه وضوابط مقررة، وبدون الخروج عن الشرع أو معارضة أدلته ومصادمة تعاليمه وقواعده وأصوله. كما عُبِرَ عن المقاصد بتعبيرات كثيرة دلت في مجملها بالتصريح والتلميح والتنصيص والإيماء على ألْتفات العلماء إلى مراعاة المقاصد واستحضارها في عملية فهم النصوص والأحكام والإجتهاد فيها والترجيح بينها. ومن بين تلك التعبيرات والاشتقاقات، المصلحة والحكمة العلة والمنفعة والمفسدة والأغراض والغايات والأهداف والمرامي والأسرار والمعاني المراد والضرر والأذى وغير ذلك[19].

---

[18] . طه عبد الرحمن، (تجديد المنهج في تقويم التراث)، (المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 2 , د . ت): (98).

[19] الخادمي: نور الدين بن مختار ، (علم المقاصد الشرعية)،( مكتبة العبيكان، ط 1 -2001م): (15).

ومن التعريفات الاصطلاحية للمقاصد:

1. مقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها، مقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها[20].
2. "المباني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها"[21].
3. هي المعاني والحكم ونحوها التي تراعى عموما وخصوصًا من أجل تحقيق المصالح[22].
4. الغاية من النص، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامه[23].
5. الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة الغراء، وأثبتتها الأحكام الشرعية وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان[24].
6. "أما المصلحة، فهي عبارة لجلب منفعة أو دفع مضرة، ولا نعني به ذلك، فإن جلب المنفعة ودفع المضرة هي مقاصد الخلق، وصلاحهم في تحصيل مقاصدهم، بل نعني بالمصلحة المحافظة على المقصود من

---

[20] عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (1820/3).

[21] ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، (تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،2004م): (21/2).

[22] اليوبي: د. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، (دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1 - 1998م): (37).

[23] الفاسي: علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، ط 5 (1993م): (7).

[24] الزحيلي: د. وهبة (الأحوال العامة لوحدة الدين)، ط 1 (1972م): (61).

الشرع، والمقصود من الشرع للخلق خمساً وهي أن يحفظ عليهم (دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم)"[25].

وعليه ممكن أن نعرف علم مقاصد القرآن: بأنه العلم الذي يقف على المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها سورة معينة. وقد يُعبِّر المفسرون عن مصطلح (مقاصد السور) بمصطلحات أُخر، مثل: مغزى السورة، أو غرض السورة، أو الوحدة الموضوعية، أو نحو ذلك[26].

هناك العديد من الألفاظ المستعملة بمعنى المقاصد ومنها: الحِكَم والحِكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف والأغراض[27]. وقد جاءت هذه الألفاظ عند الإمام العز بن عبدالسلام[28]، في مواضع عدة من كتابه (القواعد)، كقوله: "معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"[29]. ويقول في مكان آخر: "وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مَقَاصِدَ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَعِلْمِنَا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ دِقَّهُ وَجَلَّهُ، وَزَجَرَ عَنْ كُلِّ شَرٍّ دِقَّهُ وَجَلَّهُ، فَإِنَّ الْخَيْرَ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْمَفَاسِدِ، وَالشَّرَّ يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ جَلْبِ الْمَفَاسِدِ وَدَرْءِ الْمَصَالِحِ، وَقَدْ قَالَ

---

[25] الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، (المستصفى في علم الأصول)، (تح: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1 -1997م): (416/1).

[26] (علم مقاصد السور القرآنية)، مقالة على شبكة المعلومات على الموقع: http://iswy.co/e16nsa. (ت.م 9-9-2020)

[27] حامدي: عبدالكريم حامدي، (مقاصد القرآن من تشريع الأحكام)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، (1429هـ-2008م): (20).

[28] العز بن عبدالسلام: عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق ( 1181م) وتوفي (1262م) في القاهرة. ينظر ترجمته: الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، (الأعلام)، دار العلم للملايين، ط 15(2002م): (21/4).

[29] ابن عبدالسلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: 660هـ)، (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط جديدة مضبوطة منقحة، (1991م): (8/1).

تَعَالَى : {فَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيرا يَرَهُ وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّة شَرّا يَرَه}[30]، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي الْخَيْرِ الْخَالِصِ وَالشَّرِّ الْمَحْضِ"[31].

وبعيدا عن التعاريف الأصولية يعرف الأستاذ بديع الزمان النورسي[32] ما سماه المقاصد الربانية تعريفا تربويا لطيفا فيقول: "أهم المقاصد الربانية في خلق الموجودات، هو تعريف وتحبيب نفسه سبحانه إلى ذوي الشعور، ودفعهم إلى تقديم حمدهم وشكرهم وثنائهم له وحده"[33]. ويضيف في موضع آخر: "من بين الناس، وهم الذين انسجموا مع المقاصد الربانية، وحبّبوا أنفسهم إليه بالإيمان والتسليم، وجعلهم أولياءه المحبوبين المخاطبين له، وأكرمهم بالمعجزات والتوفيق في الأعمال وأدّب أعداءهم بالصفعات السماوية"[34].

وبين الأستاذ علال الفاسي[35] المقصد العام للشريعة على النحو التالي: "المقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض، وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع"[36].

---

[30] سورة الزلزلة: 99 \ 7 - 8

[31] ابن عبدالسلام: قواعد الأحكام: (189/2).

[32] بديع الزمان النورسي: عالم من علماء تركيا الحديثة ولد في قرية (نورس) الواقعة شرقي الأناضول في تركيا عام (1877م)، عاش حياة مليئة بالاعتقالات والسجون والنفي، توفي (1960م) في مدينة أورفة التركية. ينظر ترجمته: الطنطاوي، عبد الله الطنطاوي، (بديع الزمان النورسي)، مجلة المنار، العدد (63)، شوال (1423ه)؛ موقع التاريخ: http://www.altareekh.com

[33] النورسي، بديع الزمان سعيد النورسي، (الشعاعات)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول (1993): الشعاع الثاني: ص: (26).

[34] النورسي: الشعاعات: الشعاع التاسع: ص: (237).

[35] علال الفاسي: علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري: زعيم وطني، من كبار الخطباء العلماء في المغرب. ولد بفاس (1908م) وتعلم بالقرويين ت (1974م). ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام: (246/4).

[36] الأحمر: د. عبدالسلام الأحمر، (المقاصد القرآنية في فكر النورسي)، مقالة منشورة على الموقع: https://asosindex.com.tr/index.jsp?modul=articles-page&journal-id=85&article-id=4164 (ت.م 25-9-2020)

وبناءً على ما سبق يرى الباحث أن مقاصد القرآن هي: الأسرار والحكم والغايات التي نزل القرآن بها لأجل تحقيق جلب المصالح، ودفع المفاسد، وهي بينة واضحة في جميع القرآن أو معظمه.

### 2.1.1. المطلب الثاني: تاريخ وأهمية علم المقاصد:

يعد الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم جميعاً) أول العالمين بمقاصد الشرع وحكمة الله تعالى فيما نزل به من القرآن الكريم والسنة المطهرة، قال ابن القيم [37]: "وقد كان الصحابة أفهم الأمة لمراد نبيه (ρ) واتباعاً له، وإنما كانوا يدندنون حول معرفة مراده ومقصده"[38]، ويقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي[39]، وهو غير سيد القراء أبو القاسم الشاطبي[40]، وهو يصف الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم جميعاً) بأنهم "عرفوا مقاصد الشريعة فحصلوها، وأسسوا قواعدها وأصولها، وجلت أفكارهم في آياتها، وأعملوا الجد في تحقيق مبادئها وغاياتها"[41].

وعلى هذا فإن المقاصد هو التاريخ والجر وحقيقة ماكان وما هو بالشيء الذي اكتشفه اللاحقون ، بل هو من قلب الدين، من أول ما أنزل القرآن الكريم، فأول من صرح ونبه بمقاصد الشريعة القرآن الكريم والسنة المطهرة، فبالرغم من أن

---

[37] ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. ولد (1292م) في دمشق وتوفي فيها (751هـ-1350م). ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام: (56/6).

[38] ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (ت: 751هـ): (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، (تح. محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 - 1991م): (168/1).

[39] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي. الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل، المجتهد، أصولي حافظ محدث، لغوي مفسر مع الصلاح والعفة، والورع واتباع السنة واجتناب البدع. قيل ولد سنة عشرين وسبعمائة. نشأ بغرناطة، وأخذ عن أئمتها، توفي سنة خمسين وسبعمائة، ينظر ترجمته: التنبكتي: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت: 1036 هـ)، (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، ط 2 (2000م).

[40] الشيخ الإمام، سيد القراء، أبو محمد وأبو القاسم القاسم بن فِيرُّهْ بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي، الضرير، المقرئ، ناظم الشاطبية وغيرها. ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي سنة تسعين وخمسمائة. ينظر ترجمته: التنبكتي: نيل الابتهاج: (203/7)؛ المغراوي: موسوعة مواقف السلف: رقم الترجمة: (1256): (327).

[41] الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: 790هـ)، (الموافقات) (تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1، -1997م): (7/1).

أحكام الوحي يجب التسليم لها والثقة بها وأن لا نزيد عليها ولا نحتاج إلى بيان علة ولا حكمة ولا مقصد، فإن القرآن والسنة قد بينا كثيراً من علل الأحكام ومقاصدها في العبادات والمعاملات[42]، يقول ابن القيم : "القرآن وسنة رسول الله (ρ) مملوءان من تعليل الأحكام بالحِكَم والمصالح ... ولو كان هذا في القرآن والسنة نحو مائة موضع أو مائتين لسقناها، ولكنه يزيد على ألف موضع بطرق متنوعة"[43]. ومن هذه المواضع قوله تعالى:{ وَجَعَلنَا فِي ٱلأَرضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِم}[44]، {مَّا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِن أَهلِ ٱلقُرَىٰ} إلى قوله تعالى: {كَي لَا يَكُونَ دُولَةَ بَينَ ٱلأَغنِيَاءِ مِنكُم}[45]. وفي السنة النبوية عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ (τ)، قَالَ: خَطَبْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (ρ): **(أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟)** قُلْتُ: لَا قَالَ: **(فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)**[(46)]، حيث كَلَامُ الْعَرَبِ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: آدَمَ اللهُ بَيْنَهُمَا، يَعْنُونَ: الزَّوْجَيْنِ، أَيْ: جَعَلَ بَيْنَهُمَا الْمَحَبَّةَ وَالِاتِّفَاقَ[47]، فالعلة من النظر هنا تحقيق مقاصد الزواج المتمثلة في الدوام والاستقرار[48].

وحديث رسول الله (ρ) عن بناء الكعبة، فعن عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ρ): **(يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ)**[49]، من أجل أن يتمكن

---

[42] الريسوني: أ.د. أحمد الريسوني، (البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره)، بحث مقدم لندوة مقاصد الشريعة، التي نظمتها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، من (1-5 مارس 2005)، منشور بتاريخ (2019/5/6) على الموقع: http://raissouni.net .

[43] ابن القيم: إعلام الموقعين: (218/2).

[44] سورة الأنبياء: 21 \ 31

[45] سورة الحشر: 59 \ 7

[46] ابن حنبل: المسند: حديث المغيرة بن شعبة، رقم الحديث: (18154): (88/30).

[47] الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: 321هـ)، (شرح مشكل الآثار)، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط 1،(1994م): باب: بيان مشكل ما روي عن رسول الله (ρ)، رقم الحديث: (4453): (288/11).

[48] رجب: الشيخ عبدالعزيز رجب، (تاريخ نشأة المقاصد الشرعية وتطورها)، مقالة نشرت بتاريخ (2015/12/31م) على الموقع الإلكتروني:
https://www.alukah.net/sharia/0/96796/#ixzz6lL00EH5X (ت. م 28-9-2020)

[49] صحيح مسلم: كِتَابُ: الْحَجِّ، بَابُ: نَقْضِ الْكَعْبَةِ وَبِنَائِهَا، رقم الحديث: (1333): (969/2).

الناس من دخول بيت الله عز وجل، لكن ترك ذلك خوف الفتنة مع كونه مصحلة[50]، والعلة في عدم بناء الكعبة هنا هي: حفظ الدين الذي لا يستقيم مع إعادة بناء الكعبة[51].

وفي عهد الصحابة (رضوان الله تعالى عليهم جميعاً)، حصلت مواقف القصد منها المحافظة على الدين الإسلامي مثل قتال أبو بكر الصديق (τ) لمانعي الزكاة، وجمع القرآن الكريم وغيرها من المواقف[52].

أول من كتب في علم المقاصد هو أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي [53]، المعروف بالترمذي الحكيم، في كتابه (الصلاة ومقاصدها)، الشيخ أبو بكر القفال الكبير المعروف بالشاشي [54]، في كتابه (محاسن الشريعة) ثم إمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني[55]، في كتابه (البرهان في أصول الفقه). ثم الإمام أبو حامد الغزالي[56]، في كتبه (المستصفى في علم الأصول، شفاء الغليل، الكبائر)، الذي يؤكد أن القرآن الكريم مع استفاضة معانيه يمكن القول أنه يدور على

---

[50] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، (شرح رياض الصالحين)، دار الوطن للنشر، الرياض، (بدون طبعة)، (1426هـ): (52).

[51] رجب، تاريخ نشأة المقاصد، https://www.alukah.net/sharia (1-10-2020)

[52] رجب، تاريخ نشأة المقاصد، https://www.alukah.net/sharia (1-10-2020)

[53] محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي: باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، ينظر ترجمته في الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة: https://shamela.ws/index.php/author/647 .

[54] أبو بكر القفال: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، القفال الشاشي الفقيه الشافعي، إمام عصره بلا مدافعة، كان فقيها محدثا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثله في وقته، ولد (291هـ)، وتوفي (366هـ)، بالشاش، وهي مدينة وراء نهر سيحون، ينظر ترجمته: ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، (1971م): (201/4).

[55] إمام الحرمين: أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين؛ أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، مولده في الثامن عشر المحرم سنة (419هـ)، وتوفي في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (478هـ). ينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان: (167/3).

[56] أبو حامد الغزالي: الشَّيْخُ الإِمَامُ البَحْر، حجَّةُ الإِسْلاَم، أُعجوبَة الزَّمَان، زين الدين أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ الطُّوْسِيّ، الشَّافِعِيّ، الغَزَّالِي، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَالذَّكَاءِ المُفرِط. ولد (440هـ) وتوفي (505هـ) بالطّابران، قصبة بلاد طوس. ينظر ترجمته: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تح: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط 1,(1986م): (19/6).

خمسة محاور (محور التوحيد، ومحور التفكر في الكون، ومحور القَصَص القرآني، ومحور البعث والجزاء، ومحور التربية والتشريع)[57].

ثم الإمام فخر الدين الرازي ,في كتابه (المحصول)[58]، ثم الإمام الآمدي[59]، في كتابه (الأحكام)، ثم الإمام العز بن عبدالسلام ، في كتبه (قواعد الأحكام في مصالح الأنام، الفوائد في اختصار المقاصد)، ثم الإمام القرافي[60]، في كتابه (الفروق)، والإمام الطوفي[61]، في كتابه (التعيين في شرح الأربعين)، حتى جاء الإمام أبو إسحاق الشاطبي[62] .

يعد الإمام أبو إسحاق الشاطبي ، شيخ علم المقاصد، فهو لم يعط تعريف للمقاصد الشرعية، ولعله اعتبر الأمر واضحًا، ويزداد وضوحًا بقراءة كتابه المخصص للمقاصد من "الموافقات" ولعل ما زهده في تعريف المقاصد كونه كتب كتابه للعلماء، بل للراسخين في العلوم الشرعية. وقد نبه بذلك صراحة بقوله: "لا يسمح للناظر في هذا الكتاب أن ينظر فيه نظر مفيد أو مستفيد، حتى يكون ريَّان من علم الشريعة أصولها وفروعها، منقولها ومعقولها، غير مخلد إلى التقليد والتعصب

---

[57] زرمان، أ.د. محمد زرمان، (المقاصد القرآنية عند محمد الغزالي أنواعها، مضامينها، وأبعادها الحضارية)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، www.tafsir.net. (9).(ت.م 5-10-2020)

[58] فخر الدين الرازي: العلّامة أبو عبد الله، محمد بن عمر ابن حسين القرشي الطّبرستاني الأصل، الشافعي المفسّر المتكلّم، صاحب التصانيف المشهورة، ولد (544هـ) وتوفي (606هـ). ينظر ترجمته: ابن العماد: شذرات الذهب: (40/7).

[59] الآمدي: السّيف الآمدي أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الحنبلي ثم الشافعي المتكلم العلّامة، صاحب التصانيف العقلية ولد بآمد وتوفي فيها سنة (631هـ). ينظر ترجمته: ابن العماد: شذرات الذهب: (253/7).

[60] القرافي: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة توفي (684هـ). ينظر ترجمته في الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة:
https://shamela.ws/index.php/author/647 .(ت.م 7-10-2020)

[61] الطوفي: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين، فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف (أو طوفا) (من أعمال صرصر: في العراق) سنة (657هـ-1259م) ودخل بغداد سنة (691هـ) ورحل إلى دمشق سنة (704هـ) وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفي في بلد الخليل (بفلسطين) سنة (716هـ-1316م). ينظر ترجمته في الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة:
https://shamela.ws/index.php/author/647 .(ت.م 10-10-2020)

[62] الريسوني: البحث في مقاصد الشريعة: http://raissouni.net؛ رجب، تاريخ نشأة المقاصد، https://www.alukah.net/sharia. (ت.م 15-10-2020)

للمذهب"[63].ومن كان هذا شأنه، فليس بحاجة إلى إعطائه تعريفا لمعنى مقاصد الشريعة، خاصة وأن المصطلح مستعمل ورائج قبل الشاطبي بقرون[64].

وقال الإمام الزركشي [65]، في كتابه (البحر المحيط)، وشيخ الإسلام ابن تيمية [66]، في كتبه (اقتضاء الصراط المستقيم، والاستقامة، درء تعارض العقل والنقل).

وقال رائد مقاصد الشريعة الإسلامية في العصر الحديث، وهو الإمام العلامة الطاهر بن عاشور[67]، في كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية). ثم أتى بعده العلامة المغربي علال الفاسي ليحمل راية المقاصد والفكر المقاصدي على نطاق واسع بتأليف كتابه (مقاصد الشريعة الإسلامية)، ثم افتتحت جامعات وكليات ومدارس إسلامية تدرس فيها (مقاصد الشريعة) كمادة مستقلة يدرسها آلاف الطلبة[68].

---

[63] الشاطبي: الموافقات: (124/1)

[64] الريسوني: أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط 2 (1992م): (5).

[65] الزركشي: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل مصري المولد والوفاة، ولد (1344م) وتوفي (1392م). ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام: (60/6).

[66] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران سنة (1263م)، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، مات معتقلا بقلعة دمشق سنة (1328م). ينظر ترجمته: الزركلي: الأعلام: (144/1).

[67] ابن عاشور: مُحَمَّد الطَّاهِر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور التّونسِيّ، أحد أَعْلَام جَامع الزيتونة بتونس، ولد بتونس فِي (1879م)، فِي أسرة علمية عريقة تمتد أُصُولهَا إِلَى بِلَاد الأندلس، توفّي في (12 أغسطس 1973م) بعد حَيَاة حافلة بِالْعلمِ والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي. ينظر ترجمته في: قائد: نشوان عبده خالد قائد، (التمييز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره)، بحث مقدم إلى مركز الوفاق للدراسات والبحوث، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، www.wefaqdev.net: (4)؛ الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة: https://shamela.ws/index.php/author/647 .

[68] الريسوني: البحث في مقاصد الشريعة: http://raissouni.net؛ رجب، تاريخ نشأة المقاصد، https://www.alukah.net/sharia. (ت .م 22-10-2020)

تنبع أهمية علم مقاصد القرآن من كونه الوسيلة لتحقيق الغاية من إنزال هذا القرآن كله وهو التفكر فيه والإهتداء بما تضمنه؛ وذلك لأن التدبر لا يكون إلا بعد أن نفهم المعاني، ومقصد كل سورة هو إرجاع معانيها إلى أصلها[69].

يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي "كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، بل التفقه في المعبَّر عنه والمراد منه"[70]. فهذا من أهمية المقصد القرآني أنه ما هو المقصود من الخطاب القرآني[71].

وكذلك من أهمية دراسة علم المقاصد أنه يقوي ملكة الغوص والتعمق في فهم الآيات والسور، ويساعد على دقة ربط الآيات بالواقع، وله الأثر العظيم في زيادة الإيمان وإيضاح الطريق للدعاة، وكذلك إبراز الإعجاز القرآني[72].

إن أهم ما قام به الشاطبي وبرز فيه بروزًا فريدًا هو فهم الكتاب والسنة فهما سليمًا متينًا، ولم يكن إبداعه في علم المقاصد إلا ثمرة لذلك الفهم والتدبر. ولقد كان الشاطبي على علم تمامًا بأهمية المنهج وقيمته العلمية الذي قدمه في كتابه "الموافقات" اذ يلفت النظر إلى منهجه الإستقرائي المتين المبني على فهم الكتاب والسنة فيقول: "ولما بدا من مكنون السر ما بدا ووفق الله الكريم لما شاء منه وهدى، لم أزل أقيد من أوابده، وأضم من شوارده تفاصيل وجملا، وأسوق من شواهده في مصادر الحكم وموارده مبينًا لا مجملًا، معتمدًا على الاستقراءات الكلية، غير مقتصر على الأفراد الجزئية، ومبينًا أصولها النقلية بأطراف من القضايا العقلية، حسبما أعطته الإستطاعة والمنة، في بيان مقاصد الكتاب والسنة"[73].

---

[69] علم مقاصد السور القرآنية، مقالة على شبكة المعلومات على الموقع: http://iswy.co/e16nsa.(ت.م)

(2020-10-24

[70] الشاطبي، الموافقات: (262/4).

[71] العروقي: محمد بن سليم العروقي، (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من آية (54) من سورة النمل إلى آية (50) من سورة القَصَص)، رسالة ماجستير، بإشراف: زهدي محمد أبو نعمة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، (1438هـ-2016م): (12).

[72] العروقي: الدراسة التحليلية: (12).

[73] الشاطبي: الموافقات: (9).

وقد لا نحتاج إلى التدليل، على أهمية عِلْم مقاصد الشريعة، فبالنسبة الى المجتهد بشكل خاص، وللمسلم بشكل عام، "فإن هذا العلم الشريف يثمر فيما وُضِعَ له، معرفة غايات جنس الأحكام، وحِكَمَها، ومقاصِدَها ووظيفتها، وما تَهدي إليه، وتدلُّ عليه من حفظ نظام العالم، وتحقيق مصالح العباد في الدّارَين ... وهذا العلم المتميّز، هو أحد رُكْني علم أصول الفقه، الموضوع لدلالة الفقيه على معرفة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية، من أدلَّتها التفصيلية، وكيفية الإستدلال بها"[74].

كما أن تأمل المفسِّر لمقاصد السور يسدد ذهنه ويعصمه من الخطأ في تفسيرها؛ لأنه يتحدد في توجيه الآيات وَفقًا لهذا المقصد، وبيان ذلك أن مقصد كل سورة إنما يقف عليه المفسر بعد استقراء آياتها والتأمل العميق فيما تدل عليه معاني تحقق مراد الله تعالى من كلامه، وذلك بالتدبر في فواتح السورة وخواتيمها، وسياق آياتها . ثم إن الإعتناء بعلم مقاصد السور القرآنية يؤدي حتمًا إلى اليقين بعظمة القرآن ورسوخِ الإيمان بأنه كلام الله حقًا، فتشرق النفس وتقر العين ويزداد نور القلب. وعلى هذا فإن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يعد هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله منتظمًا على نحو يتضح فيه جليًّا كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته[75].

ومن وسائل تحقيق الهدف والغاية في إصلاح المناهج نقل تفكير المسلم من الإنشغال في الجزئيات إلى الكليات، ومن التوقف عند الرسوم والمباني إلى التوجه نحو الحقائق والمعاني ومن التقليد والتبعية إلى الإبداع والأصالة من الإستغراق التام بالوسائل إلى العمل معها على تحقيق المقاصد والغايات. وهذه الأهداف الكبرى لن يحدث الوعي الهادف المتحرك عليها إلا بعد جهود علمية متصلة توضح سائر جوانبها وتنير مختلف أبعادها[76].

---

[74] ابن عاشور، مقاصد الشريعة: (9).

[75] علم مقاصد السور القرآنية، مقالة على شبكة المعلومات على الموقع: http://iswy.co/e16nsa.(ت .م 2020-11-1)

[76] الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: (2).

ذلك أننا في أمس الحاجة إلى اجتهاد المقاصد وفقه المقاصد، وهو الفقه الذي وصفه ابن القيم بأنه: "الفقه الحي الذي يدخل على القلوب بغير استئذان"[77]

ولقد كان "مراد الشارع" و"قصد الشارع" ضالة المتقدمين ومن تبعهم من العلماء الراسخين، ولم تكن الألفاظ لتأسرهم إذا ظهر لهم وراءها من حكمة وقصد[78].

ولقد مر على فقهنا في معظمه حين من الدهر صار فيه إلى الجمود والعجز أقرب منه إلى الحياة والفعالية، ذلك كونه افتقد روح المقاصد ونظرية المقاصد. وقد تعرض العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لأسباب انحطاط الفقه وتخلفه، فعد منها "إهمال النظر في مقاصد الشريعة من أحكامها" ثم قال: "كان إهمال المقاصد سببًا في جمود كبير للفقهاء، ومعولًا لنقض أحكام نافعة. وأشأم ما نشأ عنه مسألة الحيل التي ولع بها الفقهاء بين مكثر ومقل" [79].

ومن هنا فإن إحياء فقه المقاصد عمل ضروري لتجديد الفقه وتقوية دوره ومكانته، يقول العلامة الأستاذ علال الفاسي: "وإن في ثلة الفقهاء المجددين على قلتهم ضمانًا للسير بالفقه الإسلامي إلى شاطئ النجاة حتى يصبح مرتبطًا بمقاصد الشريعة وأدلتها، ومتمتعا بالتطبيق في محاكم المسلمين وبلدانهم"[80].

والمقاصد في القرآن الكريم يمكن تقسيمها[81] إلى:

1. مقاصد عامة تتمثل بإصلاح الفرد ومن ثم الجماعة ومن ثم بالصلاح العمراني، وكل ذلك من الأغراض الكلية التي جاء بها القرآن في مقاصده.
2. مقاصد خاصة فقد ذكرها ابن عاشور في تفسيره[82] وجعلها ثمانية أقسام وهي:

---

[77] ابن القيم: إعلام الموقعين: (55/3).

[78] الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، (6).

[79] ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (أليس الصبح بقريب)، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، ط 2، (1988م): (200).

[80])\ الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: (161).

[81] قائد: التمييز المنهجي: (37)؛ الحسيني: د. ضياء الدين الحسيني، (مقاصد القرآن ... لماذا أُنزل القرآن؟)، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني:
http://www.alraeed.net/raeedmag/preview.php?id=4262 (ت.م 4-11-2020)

**المقصد الأول:** إصلاح العقيدة بعدم الإشراك بالله تعالى، وهذا سبب عظيم لإصلاح الخلق، لأنه يطهر النفس عن الرجس والشرك والإستعانة بغير الله، ويصفي القلب من الأوهام والخرافات الناشئة عن الإشراك بالله تعالى، قال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِۦ وَيَغفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}[83].

**المقصد الثاني:** تهذيب الأخلاق، وهذا مقصد مهم بينه القرآن قال تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم} [84].

**المقصد الثالث:** التَّشْرِيعُ وَهُوَ الْأَحْكَامُ خَاصَّةً وَعَامَّةً. قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلنَا إِلَيكَ ٱلكِتَٰبَ بِٱلحَقِّ لِتَحكُمَ بَينَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلخَائِنِينَ خَصِيما}[85].

**المقصد الرابع**: باب عظيم في القرآن هو سياسة الأمة، والقصد منه حفظ الأمة، وصلاح نظامها، قال تعالى: { وَٱعتَصِمُواْ بِحَبلِ ٱللَّهِ جَمِيعا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذكُرُواْ نِعمَتَ ٱللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاء فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِۦٓ إِخوَٰنا وَكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفرَة مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُم ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ}[86].

**المقصد الخامس:** القصص وأخبار الأمم السالفة، من باب التأسي بصالح أحوالهم ولهذا قال تعالى:{نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَٰذَا ٱلقُرءَانَ}[87].

**المقصد السادس:** التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة، ونشرها، بما جاء عنه تعالى وبما جاء عن نبيه محمد (ρ) قال تعالى: {يُؤتِي ٱلحِكمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤتَ ٱلحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيرا كَثِيرا}[88].

---

([82]) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، (التحرير والتنوير) (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون طبعة)، (1984م): (39/1).

[83] سورة النساء: 4 \ 48

[84] سورة القلم : 68 \ 4

[85] سورة النساء : 4 \ 105

[86] سورة آل عمران : 3 \ 103

[87] سورة يوسف : 12 \ 3

[88] سورة البقرة : 2 \ 269

**المقصد السابع:** المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يتناول جميع آيات الوعد والوعيد وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين.

**المقصد الثامن:** بيان الإعجاز بأن القرآن الكريم هو آية دالة على صدق رسالة الصادق المصدوق محمد (ρ)، قال تعالى: {أَم يَقُولُونَ ٱفتَرَىٰهُ قُل فَأتُواْ بِسُورَة مِّثلِهِۦ وَٱدعُواْ مَنِ ٱستَطَعتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ}[89].

وبعد أن طفنا في علم المقاصد القرآنية نخلص إلى أن المقاصد تتميز[90]:

1. بأنها الحكمة المقصودة والنتائج التي تسعى الأهداف إليها.
2. أنها الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي.
3. أنها درء للمفاسد وتحقيق لمصالح العباد.
4. أنها الحق المقصود لذاته.
5. أنها المعاني والحكم للشارع في جميع أحوال التشريع.

## 2.1. المبحث الثاني: تحليل لسورة القَصَص:

إن للقَصَص القرآني أثر عظيم في تربية النفس؛ واللهِ (Y) أمر نبيه (ρ) ليقُصَّ على الناس ما يعْلَمُه من القَصَص، قال الله تعالى:{ فَٱقصُصِ ٱلقَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ}[91]. وقَصَص السابقين التي ذُكِرَتْ في الكتاب والسنة الصحيحة تُثَبِّت قلوب المؤمنين، قال الله تعالى:{نَّقُصُّ عَلَيكَ مِن أَنبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ}[92]. فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأكد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به. كما نلاحظ أن القَصَص القرآني هو من قبيل سرد الأنباء أو الأخبار التي بَعُد بها الزمن، واندثرت أو كادت تندثر؛ ولهذا سماها القرآن (أنباء الغيب) {ذَٰلِكَ مِن أَنبَاءِ ٱلغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ}[93]، وعندما نتدبر بالنظر في

---

[89] سورة يونس: 10 \ 38

[90] البسيوني: سماح جمال البسيوني، (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين سورة القَصَص الآيات: (51-88)، وسورة العنكبوت الآيات (1-45))، رسالة ماجستير، بإشراف: د. جمال محمود الهوبي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، (2015م): (9).

[91] سورة الأعراف : 7 \ 176

[92] سورة هود : 11 \ 120

[93] سورة آل عمران: 3 \ 44

القَصَص القرآني نرى أنه يأتي بمادته من الماضي البعيد، دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال أو من متوقعات المستقبل[94]. وفي هذا المبحث سنتاول تعريفاً عاماً لسورة القَصَص وهو يشمل عدة مطالب تتناول الحديث عن السورة وعدد آياتها وأسمائها وتناسق آياتها وتناسقها مع ما قبلها وما بعدها من السور.

### 1.2.1. المطلب الأول: نظرة عامة على السورة:

#### 1.1.2.1. أولاً: عدد آياتها ومكان وزمان نزولها:

سورة القَصَص مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا إِلَّا في قَوْلَهُ تعالى:{ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ} [95] إِلَى قَوْلِهِ تعالى: {سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ}[96] نزلت بالمدينة، وَهِيَ سَبْعٌ أَوْ ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ آيَةً[97]. وجاء الاختلاف أن البصريين لم يعدوا الحروف المقطعة في أوائل السور آية، بينما الكوفيون منها ما عدّوه آية ومنها لم يعدّوه آية[98]، وأضاف القرطبي: أن قَوْلُهُ (Y): {إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد قُل رَّبِّي أَعلَمُ مَن جَاءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَٰل مُّبِين}[99]. نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، بِالْجُحْفَةِ[100].

---

[94] خلف الله: محمد أحمد خلف الله، (الفن القصصي في القرآن الكريم)، (بدون دار نشر)، (بدون مكان)، ط 1، (1950-1951م): (24).

[95] سورة القَصَص: 28 \ 52

[96] سورة القَصَص: 28 \ 55

[97] الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ)، (مفاتيح الغيب (تفسير الرازي))، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (2000م): (577/24).

[98] الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، (البرهان في علوم القرآن)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط 1، (1957م): (170/1).

[99] سورة القَصَص: 28 \ 85

[100] الجحفة: بالضم ثم السكون، والفاء: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، (معجم البلدان)، دار صادر، بيروت، ط 2، (1995): (111/2).

فِي وَقْتِ هِجْرَةِ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) إِلَى الْمَدِينَةِ[101]، تسلية له (ρ) على مفارقة بلده[102]، وهي ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة، وخمسة آلاف وثمانمائة حرف[103]. وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ جُمْهُورِ التَّابِعِينَ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَكِّيِّ مَا نَزَلْ قَبْلَ حُلُولِ النَّبِيءِ (ρ) بِالْمَدِينَةِ كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَدَنِيِّ مَا نَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ نُزُولُهُ بِمَكَّةَ[104].

وأَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ ثلاثة أقسام[105]: ألأولى: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ قَبْلَ هجرة الرسول (ρ) إلى المدينة، وَالْمَدَنِيَّ مَا نَزَلَ بَعْدَهَا سَوَاءٌ نَزَلَ بِمَكَّةَ أَمْ بِالْمَدِينَةِ عَامَ الْفَتْحِ أَوْ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ أَمْ بِسَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ، القائل بذلك يستند إلى الأثر القائل: (مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَمَا نَزَلَ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ النَّبِيُّ (ρ) الْمَدِينَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَكِّيِّ وَمَا نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ (ρ) في أَسْفَارِهِ بَعْدَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَهُوَ مِنَ الْمَدَنِيِّ)[106]، وَهَذَا أَثَرٌ لَطِيفٌ يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَا نَزَلَ فِي سَفَرِ الْهِجْرَةِ مَكِّيٌّ اصْطِلَاحًا، وهذا الضابط الزماني هو الذي اعتمده العلماء المتأخرون، وسارت به الكتب بعدهم[107].

---

[101] القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي))، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2 (1964م): (247/13).

[102] ابن عاشورك التحرير والتنوير: (61/20).

[103] النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: 775هـ)، (اللباب في علوم الكتاب)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1998م): (212/15)؛ العليمي: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت 927 هـ)، (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، تح: وتخريج الأحاديث: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة، إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط 1، (2009م): (170/5)؛ الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: 741هـ)، (لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن))، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (1415هـ): (356/3).

[104] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (61/20).

[105] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، (الإتقان في علوم القرآن)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة، (1974م): (37/1).

[106] الزركشي: البرهان في علوم القرآن: (188/1).

[107] الطيار: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، (المحرر في علوم القرآن)، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط 2، (1429هـ-2008م): (104).

الثاني: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ حتى بَعْدَ الْهِجْرَةِ وَالْمَدَنِيُّ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَعَلَى هَذَا فَمَا نَزَلَ بِالْأَسْفَارِ لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ مَكِّيٌّ وَلَا مَدَنِيٌّ، لقول الرسول (ρ): (أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ)[108]

الثالث: أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ وَالْمَدَنِيُّ مَا وَقَعَ خِطَابًا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ. وإِنَّمَا يَرْجِعُ فِي مَعْرِفَةِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ إِلَى حِفْظِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَلَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ (ρ) فِي ذَلِكَ قَوْلٌ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ.

سياق النص لسورة القَصَص يدل على أنها نزلت بمكة وكونها ذات صبغة مكية من خلال الضوابط التي وضعها العلماء للتمييز بين المكي والمدني، ولما اشتملت عليه من ذكر القَصَص بإسهاب، ومن الدلائل على توحيد الله عزل وجل بأسلوب الجملة الطويلة، وخلوها من الجملة القصيرة. وتكرار ذكر الله (Y)، واليوم الآخر فيها، وذلك من ضوابط السور المكية[109]. وكان نزولها في الفترة المكية الأخيرة، فيما بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء[110].

من خلال المصادر

والمراجع يتبين للباحث أن جميع المصادر متفقة على أن سورة القَصَص مكية وهي ثمان وثمانون آية.

### 2.1.2.1. ثانياً: ترتيبها بين السور:

سورة القصص هي السورة الثامنة والعشرون بحسب ترتيب المصحف العثماني الذي بين أيدينا، وهي السورة التاسعة والأربعون بحسب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة النمل، وقبل سورة الإسراء، فكانت (الطواسين) الثلاث (الشعراء، النمل والقَصَص) متتابعة في النزول، كما هو ترتيبها في المصحف،

---

[108] الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي الطبراني (ت: 360هـ)، (المعجم الكبير)، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 2، (1994م): باب: الصاد: عُفَيْرُ بْنُ مَعْدَانَ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ، رقم الحديث: (7717): (171/8).

[109] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: سورة القصص أمكية هي أم مدنية؟ https://shamela.ws.

[110] شرف الدين: جعفر شرف الدين، (الموسوعة القرآنية، خصائص السور)، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط 1 (1420هـ): (209/6)

وهي متماثلة في افتتاح ثلاثتها بذكر موسى (υ). ولعل ذلك الذي حمل كُتّاب المصحف على جعلها متلاحقة[111].

### 3.1.2.1. ثالثاً: تسميتها:

جميع أسماء السور ثبتت بالتوقيف من الأحاديث والآثار، وطريقة العرب قديماً أن تراعي في كثير من المسميات أخذ الاسم من شيء نادر أو مستغرب، يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه، ويسمون القصيدة بأشهر ما ورد فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور القرآن، لأن الَقُرْآن الكَرِيم جاء على لسان العرب في كلامها وخطابها[112]. وتسمى أيضاً سورة موسى وأسماء السور توقيفية، وكذا ترتيبها ترتيب الآيات الكريمات[113]. ولاشتمالها على قصة موسى (υ) فقط منذ ولادته (υ) إلى أن أهلك الله فرعون وخسف بقارون الأرض[114].

سُورَةَ الْقَصَصِ لَا يُعْرَفُ لَهَا غير هذا الاسم، وسبب التَّسْمِيَةِ هو وُقُوعُ لَفْظة (الْقَصَصَ) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:{فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ}[115]، فَالْقَصَصُ الَّذِي سميت به السُّورَةُ هُوَ قَصَصُ مُوسَى (υ) الَّذِي قَصَّهُ عَلَى الرجل الصالح بمَا لَقِيَهُ فِي مِصْرَ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْهَا. فَلَمَّا حُكِيَ فِي السُّورَةِ مَا قَصَّهُ مُوسَى كَانَتْ هذه السُّورَةُ ذَات قَصَصٍ لِحِكَايَةِ قَصَصٍ، فَكَانَ الْقَصَصُ مُتَوَغِّلًا فِيهَا. وَجَاءَ لَفْظُ الْقَصَصِ فِي سُورَةِ يُوسُفَ (υ) {نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ}[116]، وَلَكِنَّ سُورَةَ يُوسُفَ (υ) نَزَلَتْ بَعْدَ هَذِهِ السُّورَةِ[117].

جاءت تسميتها لما فيها من البيان العجيب لقصة موسى (υ) منذ ولادته إلى حين رسالته، التي يتضح فيها أحداث جسام، برز فيها لطف الله بالمؤمنين وخذلان

---

[111] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (61/20)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (252/19).
[112] السيوطي: الإتقان: (186/1).
[113] القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (ت: 1307هـ)، (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، قدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، (1992م): (85/10).
[114] النعماني: اللباب في علوم الكتاب: (212/15).
[115] سورة القَصَص: 28 \ 25
[116] سورة يوسف: 12 \ 3
[117] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (61/20).

الكافرين. ثم ذكر فيها قصة قارون من قوم موسى المشابهة للقصة الأولى في تقويض أركان الطغيان، طغيان السلطة عند فرعون، وطغيان المال عند قارون[118].

وتسمى سورة موسى (υ) لاشتمالها على قصّته فقط من حين ولد إلى أن أهلك الله تعالى فرعون وخُسف بقارون، كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتهما، ومن يقول أنها سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى:{ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ}[119]، فهذا بعيد لأنّ سورة يوسف فيها ذكر القصص مرّتين الأولى:{ نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ}[120]، والثانية: قوله تعالى: لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم[121]، لكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم (وهذا بعيد برأي الباحث لأن سورة يوسف أنزلت بعد سورة القَصَص)، وأيضاً لكانت سورة هود أولى بهذا الاسم، لأنه ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها إلا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة هود القصص وهذه سورة موسى[122]، (وهذا أيضاً بعيد في رأي الباحث لأن أسماء السور توقيفية).

ورأي الباحث أن أسماء السور والآيات توقيفية بحسب ما ورد من الأحاديث والآثار كما مر معنا وأن سبب تسميتها بالقَصَص هو لتتابع قصة موسى في السورة. وأن سورة يوسف أولى بهذا الاسم

### 4.1.2.1. رابعاً: معنى لفظة (القَصَص):

القصُّ: الْقَافُ وَالصَّادُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَتَبُّعِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمُ: اقْتَصَصْتُ الْأَثَرَ، إِذَا تَتَبَّعْتُهُ. والقصص مصدر، قال تعالى: {فَٱرتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصا} [123]، أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى

---

[118] الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، (1418هـ): (51/20).

[119] سورة القَصَص: 28 \ 25

[120] سورة يوسف: 12 \ 3

[121] سورة يوسف: 12 \ 111

[122] الشربيني: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، (1285هـ): (79/3).

[123] سورة الكهف: 18 \ 64

{وَقَالَت لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ}[124]، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. وَمِنْ ذَلِكَ اشْتِقَاقُ الْقِصَاصِ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بِالْأَوَّلِ، فَكَأَنَّهُ اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وَمِنَ الْبَابِ الْقِصَّةُ وَالْقَصَصُ، كُلُّ ذَلِكَ يُتَتَبَّعُ فَيُذْكَرُ. وَأَمَّا الصَّدْرُ فَهُوَ الْقَصُّ، وَهُوَ عِنْدَنَا قِيَاسُ الْبَابِ، لِأَنَّهُ مُتَسَاوِي الْعِظَامِ، كَأَنَّ كُلَّ عَظْمٍ مِنْهَا يُتْبَعُ لِلْآخَرِ[125].

وفي الاصطلاح: هي الإخبار عن حادثة ذات مراحل متتابعة يتبع بعضها بعضًا. وقصص القرآن أصدق القصص لقوله تعالى:{ وَمَن أَصدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثا}[126]، وذلك لتمام مطابقتها للواقع. وأحسن القصص لقوله تعالى: {نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَٰذَا ٱلقُرءَانَ}[127]، وذلك لأنها تشتمل على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى. وأنفع القصص لقوله تعالى: {لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبرَة لِّأُوْلِي ٱلأَلبَٰبِ}[128]، وذلك لأن لها قوة تأثير في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق[129].

وعرفها الرازي: "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة "[130]. فالقرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلام[131].

---

[124] سورة القَصَص:28 \ 11

[125] ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، (معجم مقاييس اللغة)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1979م): (11/5)؛ الجواهري: الصحاح: (1052/3)؛ ابن منظور: لسان العرب: (74/7).

[126] سورة النساء: 3 \ 87

[127] سورة يوسف: 12 \ 3

[128] سورة يوسف: 12 \ 111

[129] العثيمين: محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ)، (أصول في التفسير)، تح: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، ط 1 (1422هـ-2001م): (50).

[130] الرازي: مفاتيح الغيب: (74/8).

[131] الخطيب، عبد الكريم الخطيب، (القصص القُرْآني في منظومه ومفهومه). بيروت، لبنان، (د. ت): (40).

وفي تعريف آخر: "هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها، ليكون لهم منها عبرة وموعظة"[132].

ويرى الباحث أن التعريف الاصطلاحي للقصص القرآني هو الأحاديث والأخبار الماضية، أو غير المرتبطة بزمن محدد. ولكنها في الَقُرْآن الكَرِيم تدل على التاريخ الماضي.

### 5.1.2.1. خامساً: أنواع القصص في القرآن:

**النوع الأول:** قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين. كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

**النوع الثاني:** قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

**النوع الثالث:** قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله (كغزوة بدر وأُحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك[133].

### 6.1.2.1. سادساً: فوائد القصص القرآني:

من فوائد القَصَص القرآني[134]:

1. إيضاح أُسس الدعوة إلى الله، وبيان أصول الشرائع التي يبعث بها كل نبي.
2. بيان حكم الله تعالى فيما تضمنته هذه القَصَص.

---

[132] الخطيب: القَصَص القرآني: (40).
[133] العثيمين: أصول في التفسير: (51).
[134] مطاوع: أ.د. سعيد عطية علي مطاوع، (الإعجاز القصصي في القرآن الكريم)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، (2006م): (118).

3. بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين. وعدله تعالى بعقوبة المكذبين.
4. تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم.
5. تثبيت قلب رسول الله (ρ) وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده، وخذلان الباطل وأهله. وتسليته (ρ) عما أصابه من المكذبين له.
6. إظهار صدق الرسول (ρ) في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال.
7. مقارعته (ρ) أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى، وتحديه لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل.
8. القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغى إليها السامع، وترسخ عبره في النفس.
9. ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والإزدياد منه إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين. وتحذير الكافرين من الإستمرار في كفرهم.
10. إثبات رسالة النبي (ρ) فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله (Y).

### 7.1.2.1. سابعاً: التكرار في القَصَص القرآني وحكمته:

القَصَص القرآني ورد في مواضع ومناسبات، وهذه المناسبات تحدد مسار القصة، ويؤدي عرض الحلقة منها وما تأتي به من صورة والطريقة التي تؤدى بها، إلى خلق جو روحي وفكري وفني تعرض فيه، لتستكمل دورها الموضوعي بإيقاعها المطلوب لتحقيق الغاية منها[135].

لذلك نلاحظ أن القَصَص القرآني لا يلتزم فيها بالسرد القصصي، لكن يلتزم بالوصول إلى الغاية والقصد من القصة، فنرى من القَصَص القرآني ما يقدم أحداثاً ومواقفَ كاملة في معرض واحد، كما في قصة يوسف (υ)، ومنها ما تتكرر في

[135] سيد قطب، (في ظلال القرآن)، دار الشروق: ط 12، القاهرة، (1986م): (55/1)؛ مطاوع: الإعجاز القصصي: (197).

حلقات، إذ أنَّ في كل حلقة غاية أو قصد يتطلب من هذه القصة فحسب، ولا مانع من تكرار موقف مشترك بين حلقتين[136].

وقد يأتي القَصَص القرآني مرة واحدة مثل قصة لقمان وقصة أصحاب الكهف، ومن القَصَص القرآني ما يأتي مكرراً حسب ما تقتضيه المصلحة وتدعو إليه الحاجة، ولا يأتي المتكرر بوجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض الجوانب للقصة في موضع دون آخر[137].

عندما ننظر نظرة فاحصة للقَصَص القرآني المتكرر نرى أنه ما من قصة أو حلقة قد تكررت في سورة واحدة، بطريقة الأداء وبالقدر الذي يساق، وهذا التكرار يدل على أن هنالك جديد تعرضه القصة ينفي حقيقة التكرار[138].

ومن الحكمة في هذا التكرار[139]:

1. تأكيداً لأهمية تلك القصة كون تكرارها يدل على العناية بها.
2. لتثبيت القصة في قلوب الناس.
3. لمراعاة زمن وحال المخاطبين بها، لذا نلاحظ الإيجاز والشدة غالبا من القصص في السور المكية والعكس في السور المدنية.
4. إظهار بلاغة القرآن في هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقضيه الحال.
5. دليل على صدق القرآن، وأنه من عند الله (Ψ)، حيث تأتي القصص متنوعة بدون تناقص.

فالقصص القرآني ليس الرواية المتخيلة من الواقع وليس هو الرواية المصنوعة بمحاكات الواقع، إنما هو التاريخ والخبر وحقيقة ما كان، هو مشاهد التاريخ في حركةٍ وصورٍ وأصواتٍ؛ والبطل هو القانون الذي تظهر نتائجه في أقوال وأفعال الإنسان المؤمن أو الكافر في الجماعة التي يعبر عنها أو التي

---

[136] مطاوع: الإعجاز القصصي: (197).
[137] العثيمين: أصول التفسير: (52).
[138] سيد قطب: في ظلال القرآن: (55).
[139] العثيمين: أصول التفسير: (52).

يعارضها؛ فمثلاً في قصة يوسف (υ) البطل ليس يعقوب (υ) وأولاده، إنما هو "الهداية" في يعقوب (υ) و"الحسد" في أولاده، والبطل أيضاً ليس يوسف (υ) وامرأة العزيز ؛ بل هو "الطهارة والأمانة" في يوسف (υ)، و"الشهوة" في امرأة العزيز، وهكذا في مختلف المواقف يكون الإنسان بهداية الإيمان أو بضلالة الكفر رمزاً لقانون يحكم[140].

ومن بلاغة القرآن الكريم في السرد القَصَصي لسورة القَصَص أنه بدأ بذكر عاقبة القصة والمغزى منها، ثم بدأ بسرد التفاصيل من البداية إلى النهاية، ثم تتحول القصة إلى اتجاه قصدي في الكشف عن الغاية التي ذكرت في أول القصة، فكانت بحق تمهيداً مشوقاً يشد القارئ لمعرفة كيفية تحقيق هذه الغاية[141].

وعلى ما مضى يتضح مقاصد وأغراض القَصَص القرآني، فلا حجة للإنكار بأن في القصص القرآني توجيهات دينية لكل ما جاء به الإسلام من أحكام وشرائع ومبادئ وعقائد، ولكل ما أنكره الإسلام من خلق وعادات سيئة وعقائد باطلة، لكن لا نستطيع عد هذه الأمور أغراضاً حين ندرس أغراض القصص القرآني؛ ذلك كون هذه الأمور تأتي بين طيات هذه القصص وثناياها، وهي في هذا الوضع أو من هذا الجانب تشبه تماماً تلك الآراء والصور المنثورة التي تأتي أثناء العرض القصصي في كل قصة[142].

### 2.2.1. المطلب الثاني: دراسة موضوعية للسورة:

#### 1.2.2.1. أولاً: فضائل السورة:

لكل سورة من سور القرآن الكريم فضل خاص بها، وإن كان جميع سور الْقُرْآن الكَرِيم لها فضل، ولكن وردت أحاديث في فضائل سور وآيات مخصوصات

---

[140] سالم، أحمد موسى سالم، (قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح)، دار الجيل، بيروت، (د.ت.): (212).

[141] عشاب: الحبك المكاني في السياق القصصي: (40).

[142] عرجون: محمد الصادق عرجون، (القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط 2 (1989م): (37)، الطاهر: علي محمد الطاهر، (دراسة لأسلوب القَصَص القرآني)، موقع مكتبة نور: (5).
www.noor.book.com(ت-م 12-12-2020)

كالإخلاص، والكرسي، ولم أقف على حديث صحيح في فضل سُوْرَة الْقَصَصِ. سوى هذا الحديث عَنْ مَعْدِ يكَرِبَ قَالَ: أَتَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْنَا {طسم}[143]، الْمِائَتَيْنِ، فَقَالَ: مَا هِيَ مَعِي، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ مَن أَخَذَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ρ): خَبَّاب بْنَ الأرَت (τ). قَالَ: فَأَتَيْنَا خَبَّاب بْنَ الْأَرَتِّ، فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا، (τ)[144]. المختلف في إسناده[145].

### 2.2.2.1. ثانياً: جو السورة وحال المسلمين وقت نزولها:

نزلت هذه السورة والمسلمون في مكة قلة مستضعفون، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الكون هي قوة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً [146].

من خلال البحث والنظر في أقوال المفسرين نلاحظ أن سورة القصص نزلت قبل سورة الإسراء، وحسب ترتيب النزول فإن سورة القصص نزلت بعد سورة الجن، مما يبرهن أن سورة القصص نزلت ما بين الرجوع من الطائف وحادثة الإسراء، وأن سورة الجن أنزلت بعد رجوعه (ρ) من الطائف بعد أن رده أهلها

---

[143] سورة القَصَص: 28 \ 1

[144] مسند أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن مسعود (τ)، رقم الحديث: (3980): (87/7).

[145] إسناده ضعيف عند الأرناؤوط بتحقيقه لمسند الإمام احمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة، وإسناده صحيح على شرط البخاري عند أحمد محمد شاكر بتحقيقه لمسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة دار الحديث؛ ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط 1، (1416هـ-1995م): مسند عبدالله بن مسعود، رقم الحديث: (3980): (106/4).

[146] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2674)؛ شرف الدين: الموسوعة القرآنية: (209/6)؛ شلبي: دكتور رؤوف شلبي، (الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها)، دار القلم، ط 3، (د . ت): (427).

بأسوأ رد، فكانت أجواء عصيبة على النبي (ρ) بعد رحلته إلى الطائف التي أعقبت وفاة عمه أبو طالب وزوجته خديجة (رضي الله عنها)[147].

كان المسلمون يسامون أشد العذاب من قبل المشركين، فوعدهم الله بالنصر من عنده وأن الأمن لا يكون الإ في جوار الله (Y)، ومهما كان للكفار والمشركين من قوة وجاه وعلم ومال فإن نهايتهم الإبادة من الله (Y)، مثل ما فعل بفرعون وجنوده ذي القوة والبطش ومثل ما فعل بقارون ذو المال والعلم، فهذه براهين مادية على قدرة الله (I) وصدقه لرسله[148].

نزلت هذه السورة في الوقت الذي كان فيه المشركون يتصدون لكل من يأتي إلى مكة (للزيارة أو الحج أو التجارة) حتى لا يتصل بمحمد (ρ) فيتعرف على هذا الدين الجديد فكانوا ينشرون كلاماً منفراً في محمد (ρ) وأصحابه ليصدوهم عنه (ρ). ومثال ذلك قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي (τ)[149]، وقصة وفد نصارى الحبشة الذين قدموا من الحبشة للتعرف على هذا الدين[150].

قال الله تعالى: { وَإِذَا يُتلَىٰ عَلَيهِم قَالُواْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبلِهِۦ مُسلِمِينَ} [151]، وَإِذَا يُتلَىٰ هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن قَالُواْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ يقولون: صدّقنا به إِنَّهُ ٱلحَقُّ مِن رَّبِّنَا يعني من عند ربنا نزل، إِنَّا كُنَّا مِن قَبلِهِۦ أي نزول هذا القرآن مُسلِمِينَ، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا (ρ) وعليهم من الكتب، وفي كتبهم صفة محمد ونعته، فكانوا

---

147 ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، (السيرة النبوية لابن هشام)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، (1955م): (422/1).

148 الحجازي: محمد محمود الحجازي، (التفسير الواضح)، دار الجيل الجديد، بيروت، ط 10، (1413هـ): (813/2).

149 هو الطفيل بن عمرو الدوسي بن طريف بن العاص الأزدي الدوسي، يلقب بذي النور، وقصة إسلامه مشهورة في كتب السير، استشهد (τ) في حروب الردة في عهد أبو بكر الصديق (τ). ينظر: ابن هشام: السيرة النبوية: (382/1)؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط 1، (١٩٩4م): رقم الترجمة: (2613): (77/3).

150 ابن هشام: السيرة النبوية: (391/1).

151 سورة القَصَص: 28 \ 53

به وبمبعثه وبكتابه مصدّقين قبل نزول القرآن، فلذلك قالوا: إِنَّا كُنَّا مِن قَبلِهِۦ مُسلِمِينَ[152].

فكانت هذه السورة مثالاً واقعياً حول محنة الأنبياء السابقين والفئة المؤمنة معهم، وكيف تحملوا الأذى والإضطهاد في سبيل الله تعالى.

### 3.2.2.1. ثالثاً: محور السورة:

تشترك هذه السورة مع سابقتيها الشعراء والنمل في توضيح أصول عقيدة التوحيد والرسالة والبعث في ثنايا قصص الأنبياء، وبيان الأدلة المثبتة لهذه الأصول في قضايا الكون وعجائبه البديعة ونظمه الفريدة. والغالب على هذه السورة بيان قصة موسى مع فرعون التي تمثل الصراع بين طغيان القوي الذي كان على الباطل وضعف الضعيف الذي كان على الحق، وأعوان الباطل هم جند الشيطان وأعوان الحق هم جند الرحمن. فرعون المعتمد على سلطانه وقوته وثروته، طغى وبغى، واستعبد شعب بني إسرائيل، وزاد في غلوه أنه ذبح أبنائهم، واستحيا نسائهم، وادعى الربوبية وأفسد في الأرض[153].

هذا ما ظهر جلياً في محور السورة من أولها إلى آخرها وهو الصراع بين الحق والباطل، واشتملت السورة على أمثلة ثلاث لهذا الصراع[154]:

الأول: موسى (υ) ومعه بنو إسرائيل يمثلون جانب الحق الذي كان مستضعفاً وانتصر على الباطل القوي المتمثل بفرعون وجنوده.

الثاني: محمد (ρ) ومعه المؤمنين الجانب المستضعف الذي يتبع الحق، ويقابلهم قريش وكفار العرب واليهود الذين يمثلون جانب الباطل صاحب القوة.

الثالث: موسى (υ) ومعه بنو إسرائيل الفقراء الذيين لا يملكون المال وهم جانب الحق، ويقابلهم قارون جانب الباطل من بني جنسهم لكنه بغى عليهم بماله.

---

[152] الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري (ت: 210هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط 1، (2000م): (569/19).

[153] الزحيلي: التفسير المنير: (52/20).

[154] خلة: محمود عبدالخالق خلة، (سورة القَصَص دراسة تحليلية وموضوعية)، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور محمد أبو زور، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، (2002م): (12).

وأوضحت القَصَص مبادئ مهمة هي[155]:

1. أن ثواب الآخرة جزاء للذين لا يريدون الاستعلاء والفساد في الأرض.
2. أن طريق السعادة هو الإيمان بالله وباليوم الآخر الموجب لمضاعفة الحسنات ومقابلة السيئات بجزاء واحد، وتحقيق النصر لرسول الله (ρ) على أعدائه، وعودته إلى مكة فاتحا بعد تهجيره منها.
3. أن البقاء والدوام لله تعالى وكل ما دونه يهلك، ورجوع البشرية إليه للحكم والحساب.

لا يخفى على من تحقق بوحدة الله (I) الحق لا شريك له في الملك، أنه ما من أحد في الكون يستطيع أن يدعي الوجود لنفسه فكيف بالذي يدعى الألوهية والربوبية ويتكبر على الله الواحد الأحد الفرد الصمد: { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ} [156]، فمن كمال غيرة الله وحميته على نفسه أن يهلك من يدعى أمثال هذه الدعوى بأشد العذاب وأسوأ العقاب في الدنيا والآخرة، لذلك خاطب (I) حبيبه (ρ) بما خاطب وأخبره في هذه السورة من نبأ أخيه موسى (υ) مع الذي تكبر واستعلى في الأرض{فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلأخِرَةِ وَٱلأُولَىٰ}[157]، ليوصل عباده المؤمنين الى توحيد ذاته بإفاضة أنواع الرشد وأصناف الهدى[158]. فتتجلى عظمة الله (I) في حفظ سيدنا موسى (υ) عندما ولد في العام الذي تذبح فيه الذكران، بإلقائه في اليم، ومحبة زوجة فرعون لموسى (υ)، وكيف رده الله (I) إلى أمه، وكذلك عناية الله له ليتربى ببيت فرعون ويهبه الله العلم والحكمة، وتتجلى عناية الله لسيدنا موسى (υ) بعد حادثة القبطي والإسرائلي وخروجه إلى مدين، وتأمين المأوى له بعد أن استسقى لبنات الرجل الصالح، بعد ذلك عاد من مدين وبعث بالرسالة وشد الله (Ψ) عضده بأخيه هارون (υ)، وأُعطي

---

[155] الزحيلي: التفسير المنير: (53/20).

[156] سورة النازعات: 79 \ 24

[157] سورة النازعات: 79 \ 25

[158] النخجواني: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ات: 920هـ)، (الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، ط1 (1999م): (75/2).

المعجزات وظهور آثار النبوة اليد البيضاء، وقلب العصا، وحيلة هامان في معارضة موسى، وإخبار الله تعالى عما جرى في الطور، ومدح مؤمني أهل الكتاب، وقصة إهلاك القرون الماضية ومناظرة المشركين يوم القيامة، واختيار الله (Ψ) ما شاء، وإقامة البرهان على وجود الحق، ووعد الرسول (ρ) بالرجوع إلى مكة وبيان أن كل ما دون الحق فهو الى فناء وزوال، وأن زمام الحكم بيده (I)[159] في قوله{ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُۥ لَهُ ٱلحُكمُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ} [160].

### 4.2.2.1. رابعاً: الأهداف العامة لسورة القصص

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَى الأهداف والغايات التالية:

1. تؤكد السورة عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِيهَا كُلُّهَا نِقمٌ على المشركين وَذَكَّرَهُمْ بِمَا سَيَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ الْجَزَاءِ[161].
2. يؤكد المعنى العام في سورة القَصَص تأكيداً كلياً أنَّ أي طغيان أو فساد أو أي قوة يراد بها ظلم الناس إنما تكون نهايتها الهلاك[162]، كما أهلك الله غيرهم كقوم عاد وثمود لكونهم سلكوا طريقهم في الظلم والطغيان.
3. رغب المُسْلِمُون بِأَنْ تُفَصَّلَ لَهُمْ قِصَّةُ مُوسَى (υ) حَتَّى ينتفعوا بِمَا فِي تفاصيلها مِنْ نفعٍ لَهُمْ وتوضيحاً لِحَالِهِمْ وَحَالِ أَعْدَائِهِمْ. فَالْمَقْصُودُ ابْتِدَاءً من السورة هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى فِي أَولهَا: {نَتلُواْ عَلَيكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرعَونَ بِٱلحَقِّ لِقَوم يُؤمِنُونَ}[163]، أَيْ لِلْمُؤْمِنين[164].

---

[159] مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت: 150هـ)، (تفسير مقاتل بن سليمان)، تح: عبدالله محمود شحاتة، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، (1324هـ): (333/3).

[160] سورة القَصَص: 28 \ 88

[161] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20).

[162] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: القواعد الكلية للمجتمعات الإنسانية في سُوْرَة الْقَصَصِ، https://shamela.ws.(2020-12-21)

[163] سورة القَصَص: 28 \ 3

[164] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (63/20)؛ الآلوسي: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (ت: 1342هـ): (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ): (41/20).

4. للتَنْوِيهِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ والتأكيدُ بِأَنَّ بُلَغَاءَ الْمُشْرِكِينَ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ[165].
5. تجنب الإستعلاء في الأرض والغرور بكثرة الأتباع وهذا يبدو واضحاً في سيرة فرعون وقارون فكانت قصتهما حجة على المشركين، فحيث لم تنفع قرابة قارون لموسى (υ)، كذلك لا تنفع قرابة قريش للرسول (ρ)[166].
6. تَفْصِيلِ مَا جاء فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ{ قَالَ أَلَم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا وَلَبِثتَ فِينَا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلتَ فَعلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلكَٰفِرِينَ}[167]، مِنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِمُوسَى قَالَ أَلَم نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدا إِلَى قَوْلِهِ وَأَنتَ مِنَ ٱلكَٰفِرِينَ فَفَصَّلَتْ سُورَةُ الْقَصَصِ كَيْفَ تربّى مُوسَى فِي آلِ فِرْعَوْنَ، وَبَيَّنَ فِيهَا سَبَبَ زَوَالِ مُلْكِ فِرْعَوْنَ[168].
7. إن الله لا يخلف وعده ولا بد من أن يتحقق[169].
8. جاءت السورة تثبيتاً للمؤمنين، ولتقوية عزائمهم، وتبشيرهم بأن العاقبة لهم، وبأن الله (Y) سيجعل من ضعفهم قوة، ومن قلتهم كثرة، كما جعل من موسى (υ) وقومه أمة منتصرة بعد أن كانت مهزومة، وغالبة بعد أن كانت مغلوبة[170].
9. فِيهَا تَفْصِيلُ مَا جاء فِي سُورَةِ النَّمْلِ مِنْ قَوْلِهِ {إِذ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهلِهِۦٓ إِنِّي ءَانَستُ نَارا}[171]، فَفَصَّلَتْ سُورَةُ الْقَصَصِ الكيفية التي سَارَ بها مُوسَى وَأَهْلُهُ وَأَيْنَ آنَسَ النَّارَ وَوَصْفَ الْمَكَانِ الَّذِي نُودِيَ فِيهِ بِالْوَحْيِ إِلَى أَنْ

---

[165] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20)؛ الآلوسي: روح المعاني: (41/20).
[166] الزحيلي: التفسير المنير: (59/20).
[167] سورة الشعراء: 26 \ 18-19
[168] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20).
[169] القاسمي: تفسير القاسمي: (513/7).
[170] طنطاوي: محمد سيد طنطاوي، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط 1، (1998م): (371/10).
[171] سورة النمل: 27 \ 7

ذَكَرَتْ دَعْوَةَ مُوسَى فِرْعَوْنَ فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ أَوْعَبَ لِأَحْوَالِ نَشْأَةِ مُوسَى إِلَى وَقْتِ إِبْلَاغِهِ الدَّعْوَةَ[172].

10. التواضع لله (Ψ)، المستلزم لرد الأمر كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، وبنبوة محمد (ρ)، الثابتة بإعجاز القرآن، ومن إعجازه ذكر القصص على تفصيل لا يمكن أن يكون إلّا وحياً، إذاً الإيمان يبني بعضه بعضاً وطريقه التسليم والتواضع[173].
11. كَانَ سَوْقُ تِلْكَ الْقِصَّةِ لِلْعِبْرَةِ وَالْمَوْعِظَةِ لِيَعْلَمَ الْمُشْرِكُونَ سُنَّةَ اللَّهِ فِي بِعْثَةِ الرُّسُلَ وَمُعَامَلَتِهِ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ لِرُسُلِهَا، وكون المشركين تحدوا النَّبِيءِ (ρ) وشككوا في علمه (ρ) بقصة موسى .[174]
12. تأكيداً بأن هذا القرآن الكريم من عند الله، بدليل القصص القرآني الذي قُصّ على النبيّ (ρ) قَصَصاً لا علم لهم به[175].
13. فَنَّدَ الله (I) ما جاء على لسان المشركين بقوله تعالى: {لَولَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ}[176]، مِنَ الْخَوَارِقِ والآيات كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً. ومع ذلك هم كَذَّبُوا مُوسَى أَيْضاً. وتَحَدَّاهُمْ الله (Y) بِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَهَدْيِهِ مَعَ هَدْيِ التَّوْرَاةِ. وَأَبْطَلَ مَعَاذِيرَهُمْ ثُمَّ أَنْذَرَهُمْ بِمَا حَلَّ بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لرُسُلَ اللَّهِ[177].
14. أكد (I) للمشركين بأَنَّ فِي اعْتِزَازِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقُوَّتِهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ وَمَالِهِمْ إِنَّما ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَأَنَّ مَا ادُّخِرَ لِلْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى. وضرب (I) بذلك مثلاً للمشركين بِحَالِ قَارُونَ فِي قَوْمِ مُوسَى. وانتهى

---

[172] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20).
[173] البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بدون طبعة)، (د .ت) (233/14).
[174] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20).
[175] طنطاوي: التفسير الوسيط: (372/10).
[176] سورة القَصَص: 28 \ 48
[177] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (62/20).

مِنْ ذَلِكَ إِلَى التَّذْكِيرِ بِأَنَّ أَمْثَالَ أُولَئِكَ لَا يَحْظَوْنَ بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ[178].

15. فيها إيحاء إِلَى اقْتِرَابِ مُهَاجَرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وإيحاء إِلَى أَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ[179]، وَخَتَمَ (I) الْكَلَام بتسلية النبي (ρ) وَتَثْبِيتِهِ وَوَعْدِهِ بِأَنَّهُ يَجْعَلُ بَلَدَهُ فِي قَبْضَتِهِ وَيُمَكِّنُهُ مِنْ نَوَاصِي الضَّالِّينَ[180].

### 5.2.2.1. خامساً: مناسبة السورة لما قبلها:

إن الباحث في الترتيب التوقيفي للقرآن الكريم، بتدبر وتأمل التناسب بين أقسامه وسوره وفي السياقات والآيات؛ يكتشف أنه متنوع بتنوعها؛ فهو بين أقسامه وفي مجموعات السور المتفقة في ظاهر ما، وفي السورة ومقاطعها، وفي السياق وآياته الكريمة، بل وفي الآية الواحدة، بل إنه بين المكي والمدني، وفي قضاياه وموضوعاته ومقاصده؛ وإن تناثرت بين سوره وأقسامه؛ إذ هي متكاملة في مجموعها؛ تامة في نفسها؛ متآلفة مؤتلفة في المقاصد العامة والغايات[181].

ويعرف التناسق الموضوعي للسورة بأنه: "المعنى الذي يربط موضوعات السورة وعلل ترتيبها"[182]. فإن تتابع القضايا في القرآن الكريم وانتظامها وترتيبها وتآلفها، وترتيب السور والآيات والسياقات والأقسام، وانتظام موضوعاتها، هو الذي يكشف عن النظم والإنتظام في القرآن الكريم[183].

الناظر في سورة القَصَص وفي السورتين التي قبلها (النمل والشعراء) يلحظ تشابهاً واتفاقاً بينها، ويرى تفرعاً وتكاملاً فيها، ويخلص إلى ترابط ووحدة في

---

[178] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (63/20).
[179] سورة القَصَص: 28 \ 5
[180] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (63/20).
[181] محسن: مفتاح علي المهدي محسن، (التناسق الموضوعي للطواسين)، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، بحث منشور في مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية، العدد 5، زليتن، ليبيا، (2020م): (4).
[182] بازمول: محمد عمر بازمول، (الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية)، بحث منشور في مجلة تبيان، مجلة علمية محكمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، العدد الثالث، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، (1438هـ): (11).
[183] محسن، التناسق الموضوعي للطواسين: (5).

مجملها، فهي متشابهة في الافتتاحية ومتفقة في السياق والخاتمة، أغراضها متفرعة، مقاصدها متكاملة، مضامينها مترابطة، غاياتها متحدة.

ومن مناسبات سورة القَصَص مع السورة التي قبلها سورة النمل قوله تعالى: وَأَن أَتلُوَاْ ٱلقُرءَانَ[184]، مع قوله:{ تِلكَ ءَايَٰتُ ٱلكِتَٰبِ ٱلمُبِينِ}[185] فإنه عين القرآن المتلو. وكذلك من أوجه المناسبة: قوله تعالى: سَيُرِيكُم ءَايَٰتِهِۦ[186]، مع قوله تعالى: {تِلكَ ءَايَٰتُ ٱلكِتَٰبِ ٱلمُبِينِ} فإن تنزيل الكتاب من أعظم الآيات[187]. والحديث عن منة الله تعالى في قوله: {وَقُلِ ٱلحَمدُ لِلَّهِ}[188]، {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ}[189]، وفي قوله تعالى: {وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ}[190]، فقد تناسب مع قوله تعالى: في سُوْرَة الْقَصَصِ {إِنَّ فِرعَونَ عَلَا فِي ٱلأَرضِ وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعا}[191]، حيث تناسب الكلام بأن الله (I) وحاشاه بأنه ليس بغافل عن أفعال العباد، وعن علو فرعون في الأرض ثم تناسب أيضاً قوله تعالى:{ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ}،مع أوائل السورة في إيراد الأحرف المقطعة التي لا يعلمها إلا الله تعالى طسم ، وليس بينهما إلا فاصل البسملة[192].

وتظهر مناسبة السورة لما قبلها أمور[193]:

---

[184] سورة النمل: 27 \ 92

[185] سورة القَصَص: 28 \ 2

[186] سورة النمل: 27 \ 93

[187] الأنجري: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: 1224هـ)، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (بدون طبعة)، (1419هـ): (229/4).

[188] سورة النمل: 27 \ 93

[189] سورة القَصَص : 28 \ 4

[190] سورة النمل: 27 \ 93

[191] سورة القَصَص: 28 \ 4

[192] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: التناسب والتناسق بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها، https://shamela.ws(ت .م 22-12-2020)

[193] المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، (تفسير المراغي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، (1946م): (30/20)؛ الأرمي: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (ت: 871هـ)، (تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن)، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط 1، (2001م): (89/21).

1. أنه (I) بسط في هذه السورة ما أوجز في السورتين من قَصَص موسى (υ) وفصّل ما أجمله هناك، فشرح تربية فرعون لموسى، وذبح أبناء بنى إسرائيل الذي أوجب إلقاء موسى حين ولادته في اليمّ خوفا عليه من الذبح، ثم ذكر قتله القبطي، ثم فراره إلى مدين وما وقع له مع الرجل الصالح من زواجه ببنته، ثم مناجاته لربه.
2. أنه ذكر في السورة السالفة توبيخ المشركين بالسؤال عن يوم القيامة وبسطه هنا أتم البسط.
3. أنه فصّل في السور التي قبلها أحوال بعض المهلكين من قوم صالح وقوم لوط، وأجمله هنا في هذه السورة.
4. بسط في تلك السور حال من جاء بالحسنة وحال من جاء بالسيئة، وأوجز ذلك في هذه السورة.

### 6.2.2.1. سادساً: مناسبة السورة لما بعدها:

السورة التي بعد سورة القَصَص سورة العنكبوت، وهي في ترتيب النزول الخامسة والثمانون نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين، فهي من أُخريات السور المكية ولم ينزل بعدها بمكة إلا سورة المطففين، وآياتها (69) آية. فكان نزولها في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين في مكّة، قبل الهجرة وهذه الفترة، من أقسى الفترات، فكانت السورة لتثبيت المؤمنين على الإيمان، وبيان أن هناك ضريبة يدفعها المؤمن، هي الفتنة، والإمتحان بالإيذاء، أو بالإغراء، أو بالوعد، أو بالوعيد[194].

نجد تشابهاً عظيماً بين أواخر سورة القصص وأوائل سورة العنكبوت، وتناسقاً وتناسباً كبيراً في المعنى والمبنى والمضمون والسبك والصياغة فأول سورة العنكبوت امتداد لآواخر سورة القصص فنجد أن هنالك حديثاً عن العودة الى الله تعالى كقوله تعالى:{ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيكَ ٱلقُرءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد}[195]، وقوله

---

[194] شرف الدين: الموسوعة القرآنية: (247/6).
[195] سورة القَصَص: 28 \ 85

تعالى:{ مَن كَانَ يَرجُواْ لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأت وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيم}[196]، والكلام عن الفتنة {وَلَايَصُدُّنَّكَ عَن ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعدَ إِذ أُنزِلَت إِلَيكَ}[197]، وذلك مرتبط بقوله تعالى: {وَلَقَد فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعلَمَنَّ ٱلكَٰذِبِينَ}[198].

فالحديث لا زال مترابطاً متسقاً متماسك الصيغة[199].

وقد جاء في سورة القصص، أنّ المشركين كانوا يخافون إذا آمنوا أن يتخطّفهم الناس من أرضهم {وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّف مِن أَرضِنَا}[200]، فجاءت سورة العنكبوت بعدها، وفي أوّلها {أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُترَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُم لَا يُفتَنُونَ}[201]، تهوين ما يلقاه المؤمنون من الفتنة في دينهم، ووعدهم بالنصر على أعدائهم[202].

في سورة القَصَص نلاحظ كلاماً عن الإيمان الإلهي في قوله تعالى: وَلَا تَدعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ[203]، وذلك مع قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّـَٔاتِهِم وَلَنَجزِيَنَّهُم أَحسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعمَلُونَ}[204]. فإن وجه المناسبة بينهما في عدم دعوة إلهاً آخر مع جزاء الإيمان والعمل الصالح. وفي قوله تعالى:{وَٱدعُ إِلَىٰ رَبِّكَ}[205]، دعوة إلى الله يتناسب مع قوله تعالى في أوائل سورة العنكبوت[206]: {وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلعَٰلَمِينَ}[207].

سورة القَصَص خُتمت بدعوة النبيّ الكريم (ρ)، المؤمنين جميعا، إلى أن يكون ولائهم كلّه لله، ولدين الله، وأن العلاقة ما بينهم وبين أهليهم وذوي قرابتهم،

---

[196] سورة العنكبوت: 29 \ 5
[197] سورة القَصَص: 28 \ 87
[198] سورة العنكبوت: 29 \ 3
[199] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: التناسب والتناسق بين سورة القصص وما قبلها وما بعدها، https://shamela.ws(ت.م) 25-12-2020)
[200] سورة القَصَص: 28 \ 57
[201] سورة العنكبوت: 29 \ 2
[202] شرف الدين: الموسوعة القرآنية: (253/6).
[203] سورة القَصَص: 28 \ 88
[204] سورة العنكبوت : 29 \ 7
[205] سورة القَصَص: 28 \ 87
[206] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: التناسب بين بداية السورة وخاتمتها، https://shamela.ws(ت.م) 25-12-2020)
[207] سورة العنكبوت: 29 \ 6

بعد ولائهم لله، وأنه لا بأس إذا قطع الإنسان، رحمه، وعادى أهله في سبيل دينه، إذا كان في صلة الرحم، وموادّة الأهل بشرط أن لا يكونوا مؤمنين، ما يجور على الدين. ثم بدأت سورة (العنكبوت) بإعلانٍ صريحٍ للمؤمنين، بما انطوى عليه ختام سورة (القَصَص) وهو أن المؤمنين يتحملون تبعات الإيمان وأعباؤه برضا تام، وأن يتقبلوها في صبر واحتساب لما وعدهم به الله سبحانه وتعالى(I)، من ثواب عظيم، وأجر كريم. فالمؤمن في مواجهة فتن

كثيرة، ترد عليه من أكثر من جهة. من نزعات نفسه، ومن وساوس شياطين الإنس والجنّ، ومن دفاع عن دين الله، الذي يكيد له الكائدون، ويبغي عليه الباغون[208].

وبذلك يستقيم ترابط سورة القصص وتناسقها وتناسبها مع آواخر ما قبلها (سورة النمل) ومع أوائل ما بعدها (سورة العنكبوت)، وهذا يرجح الرأي الذي نذهب إليه من أن القرآن الكريم قطعة واحدة، في السبك والصياغة والبلاغة، ولعل هذا أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم التي طالما نبه المفسرون والمتكلمون واللغويون.

### 7.2.2.1. سابعاً: التناسب بين بداية السورة وخاتمتها:

سورة القَصَص متناسقة ومترابطة مع بعضها، وتناسق آخر السورة مع أولها وانشرح مجملها بمفصلها، وهناك ترابط خفي في العلاقة بين رسالة رسول الله (ρ) ورسالة موسى (υ) واتحاد القضيتين في المبنى والمعنى والدلالة.

افتتحت سورة القصص بذكر الكتاب ثم مقابلة الكفر بالإيمان قال تعالى: {تِلكَ ءَايَٰتُ ٱلكِتَٰبِ ٱلمُبِينِ نَتلُواْ عَلَيكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرعَونَ بِٱلحَقِّ لِقَوم يُؤمِنُونَ}[209]، وختمت بقوله تعالى:{ وَمَا كُنتَ تَرجُواْ أَن يُلقَىٰٓ إِلَيكَ ٱلكِتَٰبُ إِلَّا رَحمَة

---

[208] الخطيب: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، (التفسير القرآني للقرآن)، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ت): (399/10).

[209] سورة القَصَص: 28 \ 2-3

مِّن رَّبِّكَ}[210]، ثم ذكر (I) ابتلاء بني إسرائيل بفرعون الذي علا في الأرض وذبّح أبنائهم، ثم ذكر (I) حسن عاقبتهم وثمرة صبرهم، ثم أواخر السورة{تِلكَ ٱلدَّارُ ٱلۡخِرَةُ نَجعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي ٱلأَرضِ وَلَا فَسَاد وَٱلعَٰقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ}[211]، ثم ذكر (I) قضية امتحان أم موسى (υ) بفراق وليدها حال الطفولية وابتداء الرضاع وصبرها على أليم ذلك المذاق حتى رده الله تعالى إليها أجمل رد وأحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى (υ) بأمر القبطي وقول موسى (υ) {فَلَن أَكُونَ ظَهِيرا لِّلمُجرِمِينَ}[212]، وفي أواخر السورة يأمر الله (I) نبيه بأن لا يكون ظهيراً للمجرمين {فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرا لِّلكَٰفِرِينَ}[213]، وخروج سيدنا موسى (υ) إلى مدين ثم عودته إليها وحسن عاقبته وعظيم رحمة الله (I)، وتسليته (I) لرسوله الكريم (ρ) بابتلائه مما ابتلي به الرسل والأنبياء من مفارقة الوطن وما يحرز لهم الأجر المناسب لعليّ درجاتهم (عليهم السلام)، فخرج من مكة من بلده ومنشأه ثم بشارته (I) إلى نبيه (ρ) بالعودة والظفر فقال (Ψ): {إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيكَ ٱلقُرءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد}[214]، وكل ابتلاء عاقبته خيراً، وختامه رحمة من عند الله (Y).

فأعقب (I) هذا بقوله معلماً للعباد ومنبهاً أنها سنته فيهم فقال في السورة التي بعدها (سورة العنكبوت):{ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُترَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُم لَا يُفتَنُونَ}[215]، أي أحسبوا أن يقع الاكتفاء بمجرد استجابتهم، وظاهر إنابتهم، ولما يقع امتحانهم بالشدائد والمشقات، وضروب الإختبارات {وَلَنَبلُوَنَّكُم بِشَيء مِّنَ ٱلخَوفِ

---

[210] سورة القَصَص: 28 \ 86
[211] سورة القَصَص: 28 \ 83
[212] سورة القَصَص: 28 \ 17
[213] سورة القَصَص: 28 \ 86
[214] سورة القَصَص: 28 \ 85
[215] سورة العنكبوت: 28 \ 2

وَٱلۡجُوعِ وَنَقص مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ}[216]. فسُوْرَة الْقَصَصِ في تناسبها أوجدت تناسباً ووحدة في الموضوع في أوائلها وأواخرها[217].

[216] سورة البقرة: 2 \ 155

[217] البقاعي: نظم الدرر: (14/ 386)؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، (1426هـ): (58)؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن: (379/3)؛ القيعي: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، (الأصلان في علوم القرآن)، بدون دار نشر)، ط 4 (1996م): (63).

## 2. الفصل الثاني: المقاصد في قصة سيدنا موسى (υ) مع فرعون:

القرآن الكريم أنزل ملائماً للدعوة الإسلامية بالتدريج، وكان لتفرق وتكرار قصة موسى (υ) في القرآن الكريم إرتباط بين قصص السابقين وواقع المسلمين وقت نزول القرآن، لأن في كل سورة لها شأن في نزولها وتلائم مع مقتضى أحوال المسلمين لكمال البلاغة في القرآن الكريم.

**وفي هذا الفصل سنفرد مقاصد قصة سيدنا موسى (υ) مع فرعون في مبحثين الأول يتناول سنة الله (Y) في الظالمين والثاني سنة الله في ابتلاء الأنبياء.**

### 1.2. المبحث الأول: المقاصد القرآنية في سنة الله (Y) في الظالمين:

الظُّلْمُ: أخذُكَ حقَّ لغَيْرك. والظُّلامةُ: مَظْلَمتُكَ تطلُبُها عند الظّالم. وظَلَّمتُه تظليماً إذا أنْبَأْتُه أنّه ظالم. وظُلِمَ فلانٌ فاظَّلَمَ، أي احتَمَلَ الظُّلْم بطِيب نفسه، وإذا سُئِلَ السَّخِيُّ ما لا يجِدُ يقال هو مظلوم، الظُّلْمُ: الشِّرْك، قال تعالى: إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيم[218]، والظَّلامُ اسم للظُّلْمة، والظُّلْمةُ: ذَهابُ النُّور، وجمعُه الظُّلَمُ[219].

ظلَمَ يظلِم، ظَلْمًا وظُلْمًا، فهو ظالِم، والمفعول مَظْلوم، ظلَم فلانًا: جار عليه ولم ينصفه، عكسه: عدل، قال رسول الله (ρ) **(اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)**[220]، ظلَم فلانًا حقَّه: غصَبه[221].

تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب حسب أحداث قصة سيدنا موسى: تناول المطلب الأول مقصد الله (I) وإرادته في تغيير حال المستضعفين، وتناول المطلب الثاني إرادة الله (I) فوق إرادة جميع خلائقه، وتناول المطلب الثالث ابتلاء سيدنا موسى بقتل الرجل.

---

[218] سورة لقمان: 31 \ 13

[219] الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، (كتاب العين)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ت): (164/8).

[220] صحيح مسلم: كتاب: الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، رقم الحديث: (2578): (1996/4).

[221] عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (1438/2).

### 1.1.2. المطلب الأول: مقصد الله وإرادته في تغيير حال المستضعفين:

إنَّ رسالة الإسلام الخالدة ركزت في مجملها العام على تحقيق التوحيد ونشر العدل ومحاربة الظلم وأعوانه، والتصدي لأهل الإستكبار والبغي، ومناصرة المستضعفين المظلومين في كل مكان، هذا التوجه كان في العهد المكي الأول، فقد افتتحت سورة القَصَص المكية بإعلان جانب من قصة موسى (υ) الذي يمثل الحق والدفاع عن المستضعفين، وفرعون حاكم مصر الذي استعلى في أرضها، وأذل بعض طوائفها، ولكن قدرة الله وإرادته بالمرصاد، فأراد الله المنّ والإنعام على الذين استضعفوا، وجعلهم سادة أئمة، يرثون السلطة والملك، وأراد تعذيب المستكبرين فرعون وهامان وجنودهما، لبطشهم بالضعفاء[222]، قال الله تعالى مبيّنا هذا القانون الإلهي: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُم فِي ٱلأَرضِ وَنُرِيَ فِرعَونَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنهُم مَّا كَانُواْ يَحذَرُونَ}[223].

قال تعالى: {إِنَّ فِرعَونَ عَلَا فِي ٱلأَرضِ وَجَعَلَ أَهلَهَا شِيَعا يَستَضعِفُ طَائِفَة مِّنهُم يُذَبِّحُ أَبنَاءَهُم وَيَستَحيِۦ نِسَاءَهُم إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلمُفسِدِينَ}[224]، "استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد (إن)

للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده"[225]، أي أن فرعون تكبّر وطغى في الأرض بغير حقّ وتجبّر وجاوز الحد في الظلم وافتخر بنفسه ونسي أنه عبداً لله[226].

وَجَعَلَ أَهلَهَا ، والقصد من شيعاً هنا:

1. فرقاً يطيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد.
2. يشيع بعضهم بعضا في طاعته.

---

[222] الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير الوسيط للزحيلي)، دار الفكر، دمشق، ط 1، (1422هـ): (1901/3).

[223] سورة القَصَص: 28 \ 5-6

[224] سورة القَصَص: 28 \ 4

[225] الآلوسي: روح المعاني: (253/10).

[226] القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)، (لطائف الإشارات، تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 3، (بدون تاريخ): (54/3).

3. جعلهم أصنافا مستخدمين له يستعمل كل صنف في عمل ما من بناء وحرف وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة. ومن لم يعمل فرض عليه الجزية فيخدمه بأدائها.

4. فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم[227].

"ابتدأت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين يتخذون منها سننا يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتها، ويسيرون في شؤونهم على طرائقها، فلولا تجبر فرعون وهو من قبيح الخلال من حل به وبقومه الاستئصال، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية"[228].

يَستَضعِفُ طَائِفَة مِّنهُم، مستأنفة لبيان حال الذين جعلهم فرقاً وأصنافاً، والطائفة هم بنو إسرائيل، لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، وذلك أن بني إسرائيل لما تكاثروا بمصر استطالوا على الناس، لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، وعملوا المعاصي، فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم؛ إلى أن أنجاهم الله على يد موسى (υ)[229].

يُذَبِّحُ أَبنَاءَهُم بعد ما استضعفهم، حتى يقطع نسلهم، وإماتة لرجالهم، وتقليلا لعددهم، كيلا يكثروا فينازعوه الملك، (كان سبب سلوكه هذا السبيل مع بنى إسرائيل أن الكهنة قالوا له إن مولودا يولد في بنى إسرائيل يذهب ملكك على يديه) ، ، وَيَستَحيِۦ نِسَاءَهُم ,أي يمتهنهن، ويفضح سرهن، فلا يرعى لهن حرمة، ولا يبقى لهن على حياء!

إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلمُفسِدِينَ، أي المتمكنين في الإفساد وقهر العباد، وفنائهم وبالفساد حكم فيهم، والله لم يرض بترك فرعون إتلافهم. وهذا هو الوصف الجامع لمساوئ فرعون، إنه لا يفعل إلا ما كان من واردات الفساد، فهو كيان فاسد، لا يصدر عنه

---

[227] الآلوسي: روح المعاني: (253/10).
[228] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (66/20).
[229] القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن: (88/10).

إلا ما هو فاسد، فهو من الراسخين في الإفساد حيث تجرأ على مثل تلك الجريمة من قتل الذين لا جنحة له من ذراري الأنبياء عليهم السلام لتخيل فاسد[230].

{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱستُضعِفُواْ فِي ٱلأَرضِ وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ}[231]، أَيْ نَتَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ وَنُنْعِمَ . وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة قَادَةً فِي الْخَيْرِ. ودُعَاةً إِلَى الْخَيْرِ. ووُلَاةً وَمُلُوكًا، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعالى وَجَعَلَكُم مُّلُوكا[232]، وَهَذَا أَعَمُّ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِمَامٌ يُؤْتَمُّ بِهِ وَمُقْتَدًى بِهِ، وبين السبب الذي جعلهم أئمةً في قوله تَعَالَى: وَتَمَّت كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلحُسنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسرَٰءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ [233]،{وَنَجعَلَهُمُ ٱلوَٰرِثِينَ} لِمُلْكِ فِرْعَوْنَ، يَرِثُونَ مُلْكَهُ، وَيَسْكُنُونَ مَسَاكِنَ الْقِبْطِ، قال تعالى: {كَم تَرَكُواْ مِن جَنَّٰت وَعُيُون وَزُرُوع وَمَقَام كَرِيم وَنَعمَة كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِين كَذَٰلِكَ وَأَورَثنَٰهَا قَومًا ءَاخَرِينَ}[234].

وقَوْلُهُ تَعَالَى:{نُمَكِّنَ لَهُم فِي ٱلأَرضِ}[235]، أَيْ نَجْعَلُهُمْ مُقْتَدِرِينَ عَلَى الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا حَتَّى يُسْتَوْلَى عَلَيْهَا، يَعْنِي أَرْضَ الشَّامِ وَمِصْرَ[236].

السر في قوله تعالى: ونُرِيدُ هو بتعلق الفعل بالمستقبل، مع أنه إرادة الله قديمة أزلية، ولكنها هنا إرادة خالقة، قد حان أوان إمضائها على الوجه الذي أراده (I)، إنها تدحر إرادة فرعون الذي يريد بها إذلال هؤلاء المستضعفين، والله يريد أن يمنَّ عليهم بالخلاص من أيدي فرعون وجبروته، وأن يجعلهم أئمة، يهتدى بهم الخلق، ويتعلم الناس منهم سلوك طريق الصدق، ويبارك الله تعالى في أعمارهم، فيصيرون وارثين لأعمار من يناوئهم، ويرثون مساكنهم ومنازلهم فهم هداة وأعلام، وسادة وقادة يقتدى بهم ويهتدى بنورهم. ويذهب عنهم الخوف، ويرزقون البسطة والإقتدار، ويمد لهم في الأجل. ويكون زوال ملك فرعون على أيديهم وأنّ الحقّ

---

[230] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (309/10)؛ القشيري: تفسير القشيري: (54/3)؛ القاسمي: محاسن التأويل: (514/7)؛ الآلوسي: روح المعاني: (253/10).

[231] سورة القَصَص: 28 \ 5

[232] سورة المائدة: 5 \ 20

[233] سورة الأعراف: 7 \ 137

[234] سورة الدخان: 44 \ 24-28

[235] سورة القَصَص: 28 \ 6

[236] القرطبي: تفسير القرطبي: (249/3).

يعطى، وإن كان عند الخلق أنّه يبطئ، وفيها بيان أن سنة الله في رسوله( ﷺ) وفي قومه كسنة الله في موسى وفرعون[237].

والسر في قوله تعالى{ استُضعِفُوا} مبني للمجهول دون إيراد ضمير الطائفة أي يقول (استضعفهم) للتنبيه على ما في الصلة من التعليل فإن الله رحيم لعباده، وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا في كل زمان ومكان[238].

يذكر ربنا أنه يريد ولا أحد يستطيع أن يرد إرادته، وإرادته أمر وخلق، وإرادته من ذاته (Ψ) يفعل ما يشاء وينفّذ ما يشاء له الخلق وله الأمر. وهؤلاء المستضعفون هم بنو إسرائيل عند أقباط مصر، فمنّ الله عليهم بأن أكرمهم وأنقذهم من طغيان فرعون ومن ذل الأقباط؛ فنقلهم من العبودية إلى السيادة، ومن الخدمة إلى المخدومية، ومن الرعية إلى الحكام والملوك. فقد كانوا مستضعفين محتقرين لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم ذلاً ولا ضيماً من فرعون وملئه، فكانوا يذبّحون أطفالهم ويتركون بناتهم، ويستعبدون شبابهم وشيوخهم ونساءهم في أذل عمل وأقساه وأصعبه، وقد استجاب الله دعوة الصالحين من بني إسرائيل أيام فرعون المدعي الألوهية وأيام حكم الأقباط، وكان هذا قبل الإسلام بآلاف السنين، فجعلهم ربنا أئمة: (جمع إمام)، أي: حكّاماً وملوكاً ومتحكمين في أرضهم وفي شعوبهم وفي أمورهم لا يبقي للفراعنة عليهم حكم ولا سلطان، وأورثهم أرض مصر، وما كان فيه فرعون من نعم وخيرات، ومن زروع وأنعام وخصب، ومن أمر ونهي، ويعيد الكرة لهم على الأقباط الفراعنة[239].

---

[237] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (309/10)؛ القشيري: تفسير القشيري: (54/3)؛ النيسابوري: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو 550هـ)، (إيجاز البيان عن معاني القرآن)، تح: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، (1415هـ): (639/2).

[238] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (70/20).

[239] الكتاني: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ)، (تفسير القرآن الكريم)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.(ت.م 5-1.2021)

ومن سنة الله عز وجل أن يجعل الناس منهم الضعفاء ومنهم الأقوياء، منهم الأقلية ومنهم الأكثرية، ثم يقلب موازين الكون بعد ذلك فيمن على المستضعفين ويمكن لهم، حتى يرى كيف يعملون، فإذا استقاموا على سنة الله عز وجل أعطاهم الخيرات وثبتهم، فإذا انقلبوا أعاد الأمر عليهم مرة ثانية، فالله يقلب هذه الدول كما يشاء سبحانه، وأمرهم يدور بين قوة وضعف، بين عزة وصغار، بين قلة واستكثار كما ذكر (I) في قوله: {وتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ}[240] [241].

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن الدين جاء لحماية المستضعفين والدفاع عن حقوقهم، فهؤلاء المستضعفون الذين يتصرف الطاغية في شأنهم كما يريد له هواه البشع النكر فيذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم،ويبث عليهم العيون والإرصاد ويتعقب نسلهم من الذكور فيسلمهم إلى الشقاء كالجزار! هؤلاء المستضعفون يريد الله أن يمن عليهم بهباته من غير تحديد وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيداً ولا تابعين وأن يورثهم الأرض المباركة التي أعطاهم إياها عندما استحقوها بعد ذلك من الإيمان والصلاح، وأن يمكن لهم فيها ويجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما وما يتخذون الحيطة من دونه، وهم لا يشعرون.

**تحقيق الهدف والمقصد من الآيات:**

1. أخبر الله (Y) في الآيات عن جريمة فرعون الشنيعة وجعل بني إسرائيل شيعاً وتفريقهم واستضعافهم، لغرض حفظ ودوام ملكه كما يعتقد. وسبب ذبح الأبناء أن كاهناً أخبره أنه سيولد مولود من بني إسرائيل يكون زوال ملك فر عون على يديه، وفيه دليل على حمق فرعون، لإنه إن صدق الكاهن لم ينفعه القتل، وإن كذب فما معنى القتل.

---

[240] سورة آل عمران: 3 \ 140

[241] حطيبة: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، (تفسير الشيخ أحمد حطيبة)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.(ت.م 5-1-2021)

2. كان علو فرعون وتجبره من كفره وكانت ممارسات ظلمه وعتوه كثيرة متنوعة، وكان يستذل طائفة من بني إسرائيل، يذبح أطفالهم الذكور، ويترك الإناث أحياء، إهانة لهم واحتقاراً وكان من البغاة المفسدين في أرض دولته والظلم والكبرياء سبيل الدمار والهلاك، فأهلكه الله ونجى بني إسرائيل من العنف والطغيان[242].
3. جعل الله أولئك الضعاف الأذلة، ولاة الأمور، ووارثين لملك فرعون وأرضه وما في سلطانه، وجعل لهم السلطة والنفوذ في أرض فرعون. وأُري فرعونُ الطاغية، وهامان وزيره الماكر، وأتباعهما ما كانوا يخافون منه، من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد مولود من بني إسرائيل، وقد أنفذ الله أمره، وحقّق حكمه، بأن جعل تدمير فرعون وقومه على يد من تربّى في قصره، بعد أن صيّره الله رسولا ونبيا[243].
4. أراد فرعون بتكبره وعناده، النجاة من موسى (υ). فما نفعه ذلك، بل نفذ الله (I) أمره، بأن يكون هلاك فرعون على يد موسى (υ)، وقتل من أجل ذلك ألوفا من الولدان، بل كان تقديراً من الله (Y) أن تكون نشأة موسى (υ) في دار فرعون وهلاك جند فرعون على يد موسى (υ)، لتعلم أن رب السموات العلا، هو القاهر الغالب العظيم، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن[244].
5. الإستكبار على الخلق واحتقارهم سبب لظلمهم، والظلم والكبر سبب الهلاك.
6. دلت الآيات كذلك على أسباب هلاك دولة فرعون وسقوط حضارته، فبعد أن ذكر الله (Ψ) أسباباً خمسة للهلاك وهي[245]:
   أ. أنه علا في الأرض.
   ب. جعل أهلها شيعاً.
   ج. يذبح أبناءهم.

---

[242] الزحيلي: تفسير المنير: (59/20).
[243] الزحيلي: التفسير الوسيط: (1903/3).
[244] طنطاوي: التفسير الوسيط (377/10).
[245] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: نصرة المستضعفين، https://shamela.ws(ت.م.5-1-2021)

د. يستحيي نساءهم.

ه. أنه كان من المفسدين.

قابلها خمس نعم لبني إسرائيل:

أ. أن يمن على الذين استضعفوا.

ب. يجعلهم أئمة.

ج. يجعلهم الوارثين.

د. يمكن لهم في الأرض.

ه. ويري فرعون وهامان وجنودهما من بني إسرائيل ما يحذرون.

### 2.1.2. المطلب الثاني: إرادة الله (I) فوق إرادة فرعون:

قال تعالى:{وأَوحَينَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيهِ فَأَلقِيهِ فِي ٱليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلمُرسَلِينَ}[246].

هذه الآيات تشير إلى بداية قصة موسى وفرعون، فإن فرعون يوماً تذاكر مع جلسائه ما كان من وعد الله لإبراهيم خليله (υ)، من أن يكون في ذريته الأنبياء والملوك، فأجمعوا أمرهم على أن يبعثوا رجالاً يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه، ففعلوا، فلما تبين لهم أن الكبار من بني إسرائيل يموتون، والصغار يذبّحون، قال فرعون: يوشك بني إسرائيل على الفناء، فتنتهوا إلى أن تباشروا الأعمال والخدمة ما كانوا يقومون بها، فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر، ودعوا عاماً، فكانت ولادة هارون (υ) في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولد علانية، حتى إذا كان العام القابل ولد موسى (υ)[247]. وفي خبر آخر أن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه: أن نارًا أقبلت من بيت المقدس حتى أتت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وبيوتهم وتركت بني إسرائيل، فدعا الكهنة، والسحرة، فسألهم عن

---

[246] سورة القَصَص: 28 \ 7

[247] النجدي: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت 1376هـ)، (توفيق الرحمن في دروس القرآن)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة، ط 1، (1996م): (134/1)

الرؤيا فقالوا له: يخرج من هذه البلد الذي جاء بنو إسرائيل منها (يعنون بيت القدس) رجل يكون على يديه هلاك مصر، فغضب فرعون غضباً شديداً عندما سمع هذا التأويل وأخذ يذبح أبناء بني إسرائيل ويستبقي النساء أحياء، وخطط تخطيطاً واسعاً لتنفيذ جرائمه[248].

وبعد ولادة سيدنا موسى (υ) أوحى الله إلى أمه أَن أَرضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيهِ فَأَلقِيهِ فِي ٱليَمِّ، فكيف أوحى الله (I) إلى أم موسى (υ) والوحي لا يوحى إلّا للأنبياء فقط؟ الجواب في ذلك ثلاثة أقاويل[249]:

**الأول:** أنه إلهام من الله قد قذفه في قلبها وليس بوحي نبوة.

**الثاني:** أنه كان رؤيا منام.

**الثالث:** أنه وحي من الله إليها مع الملائكة كوحيه إلى النبيين.

ويظهر لنا أن الصواب هو الوجه الأول بأن الله (I) قد أعلمها وقذفه في قلبها وهو الأقرب إلى الصواب عقلاً ونقلاً، وجمهور العلماء على أن النبوة مختصة بالرجال، وأن الله تعالى لم يبعث نبياً من النساء.

ووضعت أم موسى (υ) في العام الذي تذبح فيه الغلمان فلم تدر ما تصنع في أمره وأوحينا إليها أَن أَرضِعِيهِ وقيل كان قبل الولادة، وأن تفسيرية أو مصدرية، والمراد أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه، وأن ترضعه وتتمسك به ولا تدعه إلى مرضعة غيرها، وذلك لحكمة لا يعلمها إلّا الله (I) وسيتضح فيما بعد وتمضي الأسباب إلى غاياتها، ويقال أنها أرضعته ثلاثة أو أربعة أشهر، {فَإِذَا خِفتِ عَلَيهِ } من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأبناء، أو من الجيران ونحوهم أن ينموا عليه، فَأَلِيهِ فِي ٱليَمِّ أي في البحر. والمراد به نهر النيل، ويسمى مثله بحرا، وإن غلب في غير العذب نهر النيل، وَلَا تَخَافِي عليه ضيعة أو شدة من عدم رضاعه في سن الرضاع، َلَا تَحزَنِي من مفارقتك إياه، {إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيكِ عن قريب، وَجَاعِلُوهُ مِنَ

---

[248] الطبري: تفسير الطبري: (516/19)

[249] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، (النكت والعيون (تفسير الماوردي))، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت): (235/4).

ٱلمُرسَلِينَ إنا رادّوه إليك للرضاع لتكوني أنت التي ترضعه، وسنبعثه بالرسالة إلى من تخافين عليه من أن يقتله}[250].

وَهذا هو الإِلْهَامُ من اللهُ (I) هُوَ أَنْ تَضَعَ مُوسَى فِي تَابُوتٍ صَغِيرٍ، أي صندوق خشب مطلي بالقار، فَتَقْذِفَهُ فِي نهر النيل، فَيَحْمِلَهُ النهر إِلَى الشاطئ فِي المَكَانِ المُواجِهِ لِقَصْرِ فِرْعَوْنَ، فَيَأْخُذُهُ آل فِرْعَوْنُ (وَهُوَ عَدُوٌّ للهِ وَلِمُوسَى (υ)) فَيُرَبِّيهِ هو وَزَوْجَتهُ، وَيَقْذِفُ اللهُ حُبَّهُ فِي قَلْبِ فِرْعَوْنَ وَزَوْجِتهِ، وَهَكَذا يُرَبَّى مُوسَى بِعَيْنِ اللهِ وَرِعَايَتِهِ، وَينشأَ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، فَفَعَلَتْ أُمُّ مُوسَى مَا أُلْقِيَ فِي قلبها، فَأَخَذَهُ آلُ فِرْعَوْنَ، وَفَرِحَتْ بِهِ زَوْجتهُ[251]

إنما كان أمر الله (I) بإرضاعه بقصد أن تقوى بنيته بلبان أمه فإنه أسعد بالطفل في أول عمره من لبان غيرها، وليكون آخر عهده قبل إلقائه في اليم هو الرضاعة ليكون له قوت يشد بنيته بين قذفه في اليم وبين التقاط آل فرعون إياه وإيصاله إلى بيت فرعون وعودته إلى أمه[252].

والحكمة من إلقاء موسى (υ) في اليم هو أنه إذا ألقي شيء في الماء يخفى على المنجمين أمره، فأراد الله (I) أن يخفي حال موسى عن المنجمين حتى لا يخبروا فرعون به، وأراد (I) أيضاً أن يبين لأمه حفظه، فكما نجاه في البحر في الإبتداء، كذلك أنجاه في الانتهاء، وأغرق فرعون في البحر[253].

---

[250] الآلوسي: روح المعاني: (255/10)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (311/10)؛ الزحيلي: التفسير الوسيط: (1904/3)؛ الطبري: تفسير الطبري: (521/19).

[251] حومد: أسعد حومد، (أيسر التفاسير)، (بدون دار نشر)، دمشق، ط 4 (2009م): (2387/1)؛ الجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 5 (2003م): (55/4).

[252] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (73/20).

[253] العمري: ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب (ت: بعد 1232هـ)، (الروضة الفيحاء في أعلام النساء)، المقالة الرابعة، الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة https://shamela.ws.(ت.م 10-1-2021)

{فَٱلتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرعَونَ لِيَكُونَ لَهُم عَدُوّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرعَونَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ وَقَالَتِ ٱمرَأَتُ فِرعَونَ قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ لَا تَقتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَا أَو نَتَّخِذَهُۥ وَلَدا وَهُم لَا يَشعُرُونَ}[254].

{فَٱلتَقَطَهُۥٓ} ءَالُ فِرعَونَ فأصابوه وأخذوه، وأصل الكلمة من اللقطة، وهو ما وُجد ضالا فأخذ، ومن كلام العرب إذا ورد عليه فجأة، من غير طلب له ولا إرادة، قال: أصبته التقاطا. فأخذوه حيث وجدوه على شاطئ النهر بين الماء والشجر، فمن ثم سمي موسى بلفظ القبط موشى، فالمو: الماء، وشا: الشجر وأعطوه لامرأة فرعون. وءَالُ فِرعَون، قد يكونون جواري إمرأة فرعون كنّ يغسلن على حافة النهر، فوجدن التابوت، فأدخلنه إلى امرأة فرعون، فلما نظرت إليه وقعت عليها رحمته فأحبته، أو أعوان فرعون، حيث كان يجلس فرعون كل غداة على شفير النيل وامرأته إلى جنبه فرأت التابوت يحمله النهر فقالت ائتوني به فلما أوتي به فإذا به صبي في مهده فألقى الله المحبة والعطف عليه من قبل امرأة فرعون، فإن الآل لا تستعمل إلا فيما فيه شرف مبني على الغالب أو الشرف فيه أعم من الشرف الحقيقي والصوري[255].

لِيَكُونَ لَهُم عَدُوّا وَحَزَنًا باعتبار ما سيؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه ليكون لهم عدو ولكن مشيئة الله أن يكون لهم عدواً فعاداهم وأحزنهم، وفي هذه الآية استعارة أنه لم يدعهم للالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا وإنما دعاهم شيء آخر كالتبني ونفعه إياهم إذا كبر. فاللام في لِيَكُونَ هي لام (كي) بمعنى التعليل، ومثله: {فَوَسوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيطَٰنُ لِيُبدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنهُمَا مِن سَوءَٰتِهِمَا}[256]،لم يكن إبليس يعرف أنهما إذا أكلا بدت لهما سوآتهما، ولا قصد لذلك إنما قصد ليوقعهما في الخطيئة، فبدت لهما سوآتهما عند مواقعة الخطيئة فصار كأنه فعل ذلك ليبدي لهما

---

[254] سورة القَصَص: 28 \ 8-9

[255] الطبري، تفسير الطبري: (522/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (253/13)؛ الآلوسي: روح المعاني: (256/10)؛ السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: 373هـ)، (تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم)، تح وتعليق: الشيخ محمد عوض، الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الدكتور زكريا عبدالمجيد النوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1993م): (599/2).

[256] سورة الأعراف: 28 \ 20

سوآتهما وإن لم يكن قصده لذلك. وهي لام العاقبة ولام الصيرورة[257]، مثل ما نقول: جئتك لتكرمني، ومعنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة، لأنه لم يكن داعيهم إلى الإلتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا، ولكن: المحبة والتبني، من نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، (وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء)، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولنا: ضربته ليتأدّب. وهذه اللام حكمها حكم الأسد، حيث استعيرت لما يشبه التعليل، كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد[258].

إ{نَ فِرعَونَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ }آثمين بالكفر والظلم في كل ما يأتون وما يذرون أو من شأنهم الخطأ فليس ببعيد منهم أن قتلوا ألوف الأطفال من أجله ثم يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون، ويقال: خطئ خطأ إذا تعمد الذنب، فيكون المعنى أنهم كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم[259].

ومعنى الخاطئ: اسم فاعل من خَطِئَ (كفَرِحَ) إذا فعل الخطيئة وهي الإثم والذنب، قال تعالى: {نَاصِيَة كَٰذِبَةٍ خَاطِئَة}[260]، ومصدره الخِطْءُ قال تعالى: {إِنَّ قَتلَهُم كَانَ خِطا كَبِيرا}[261]، وأما الخَطَأُ فهو ضد العمد ففعله أخطأ فهو مُخطئ، قال تعالى: {وَلَيسَ عَلَيكُم جُنَاح فِيمَا أَخطَأتُم بِهِۦ}[262]، فعلى هذا يتعين التفريق بين مرتكب الخطيئة ومرتكب الخطأ، وعلى الفرق بين أخطأ وخطئ. أخطأ في الرأي وخطئ إذا

---

[257] القيرواني: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه)، تح: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط 1، (2008م): (5490/8).

[258] الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 3، (1407هـ): (394/3)؛ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، (غريب القرآن)، تح: سعيد اللحام، دار الكتب العلمية، (1978): (280)؛ الآلوسي: روح المعاني: (256/10).

[259] القرطبي: تفسير القرطبي: (253/13)؛ الآلوسي: روح المعاني: (256/10).

[260] سورة العلق: 96 \ 16

[261] سورة الإسراء: 17 \ 31

[262] سورة الأحزاب: 33 \ 5

تعمد الذنب. ويظهر أن أصلهما لغتان في معنى مخالفة الصواب عن غير عمد أو عن عمد، وغلب الاستعمال الفصيح على تخصيص أخطأ بمعنى على غير عمد وخطئ بمعنى الإجرام والذنب، ومحمل الآية هنا لا يناسبه إلا أن يكونوا خاطئين من الخطيئة ليكون الكلام تعليلا لتكوين حزنهم منه بالأخرة[263].

{وَقَالَتِ ٱمرَأَتُ فِرعَونَ قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ} هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، وكان أبوها يحكم مملكة من الممالك التي خضعت للحكم المصري في عصر الدولة الفرعونية الحديثة، وكان من عادة الملوك أن يصاهروا بعضهم البعض، فتزوجها فرعون ليجعلها أثيرة إلى قلبه دون زوجاته الأخريات على الرغم من كونها إمرأة عقيم![264]، قالت هذا حين همَّ فرعون بقتله عندما نتف موسى (υ) لحية فرعون وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت ما قالت فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا[265]، قال رسول الله (ρ) **(وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا أَقَرَّتِ امْرَأَتُهُ لَهَدَاهُ اللهُ كَمَا هَدَاهَا، وَلَكِنَّ اللهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ)**[266]، وكانت امرأة فرعون امرأة ملهمة للخير وقدر الله نجاة موسى (υ) بسببها. وقد قال الله تعالى في شأنها:{ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمرَأَتَ فِرعَونَ إِذ قَالَت رَبِّ ٱبنِ لِي عِندَكَ بَيتا فِي ٱلجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرعَونَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّـٰلِمِينَ}[267]، وهي لم تشاهد عداوة موسى (υ) لآل فرعون ولا حزنت منه لأنها انقرضت قبل بعثة موسى (υ) وفي الحديث الشريف عن النبي (ρ): **(كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ**

---

[263] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (77/20).

[264] التربانى: جهاد التُربانى، (مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ)، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط 1، (2010م): (249).

[265] الطبري، تفسير الطبري: (525/19)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (55/4).

[266] النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ)، (السنن الكبرى)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، (1421هـ-2001م): كِتَابُ: التَّفْسِيرِ، سُورَةُ طه، حَدِيثُ الْفُتُونِ، رقم الحديث: (11263): (172/10).

[267] سورة التحريم : 66 \ 11

**النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ)**[268] ويفيد قولها ذلك أن فرعون حين رآه استحسنه ثم خالجه الخوف من عاقبة أمره فلذلك أنذرته امرأته بقولها قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ[269].

ولتفخيم شأن القرة عدلت عن (لنا) إلى (لي) و(لك) وكأنها لما تعلم من مزيد حب فرعون إياها وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه قدمت نفسها عليه فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله ومعنى قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ أي برد لعيني وعينك[270].

{لَا تَقتُلُوهُ} قالتها إمرأة فرعون لما أُلقي إلى قلبها محبة الطفل الرضيع، أو لما كشف لها فرأته من النور بين عينيه، أو لما رأت بنت فرعون التي كان بها برص شفيت من البرص بمجرد النظر إلى وجه موسى (υ)، وقولها هذا {لَا تَقتُلُوهُ} وَلَمْ تَقُلْ لَا تَقْتُلْهُ لكونها تُخَاطِبُ فِرْعَوْنَ كَمَا يُخَاطَبُ الْجَبَّارُونَ، وَكَمَا يُخْبِرُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ. وقد يكون اللَّهُ أَتَى بِهِ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[271].

عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا في حياتنا بالخدمة ونحوها، إنها لم تقل كما قالت قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ بأن تقول: عسى أن ينفعني وينفعك مثلا، بل جاءت بالجمع رجاء نفعه لما توسمت فيه من مخايل البركة ودلائل النجابة، أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدا وذلك بالتبني وهذا الذي حصل، كونه لائق لتبني الملوك لما فيه من الأبهة، وكانت إمرأة فرعون لَا تَلِدُ، فَاسْتَوْهَبَتْ الطفل مِنْ فِرْعَوْنَ فَوَهَبَهُ لَهَا، فكان موسى (υ) إلى الثلاثين من عمره يعرف بابن فرعون وقوله وَهُم لَا يَشعُرُونَ أي بما سيكون من أمره وأن هلاك

---

[268] البخاري: صحيح البخاري: كتاب: أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ، رقم الحديث: (3433): (164/4).

[269] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (78/20).

[270] الآلوسي: روح المعاني: (258/10)؛ القيرواني: الهداية: (5491/8).

[271] القرطبي: تفسير القرطبي: (253/13)؛ الطبري: تفسير الطبري: (532/19)؛ الآلوسي: روح المعاني: (256/10).

فرعون وجنوده سيكون على يده، أو أن يكون قصد إمرأة فرعون أن بني إسرائيل لا يشعرون أننا تبنيناه[272].

{وَأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَت لَتُبدِي بِهِۦ لَولَا أَن رَّبَطنَا عَلَىٰ قَلبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ}[273]، وَأَصبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا أي بعد أن ألقته في اليم أصبح فارغاً من أي شيء إلا من موسى (υ) وقيل: لأنها علمت أنه لا يقتل، أو فارغاً من الصبر، أو فارغاً من وعد الله (I) لها لأن الهم أنساها ما وعدها الله (I)، أو فارغاً من الهم كون آل فرعون التقطوه وعطفوا عليه، أو فارغاً من الوحي الذي أوحى الله (I) إليها، وهذا محال، والرأي الأرجح أن فراغ قلبها على العموم ولم يخصص الله (I) فراغ قلبها من شيء دون شيء والقصد أن قلبها أصبح فارغاً إلّا ما قامت الحجة عليه[274].

إن كَادَت لَتُبدِي بِهِۦ تبدي من ذكر موسى (υ)، أي أنها كادت تصيح به وا ابناه عند مشاهدتها تلاطم الأمواج به شفقة عليه من الغرق، أو أنها كادت تظهر أمره من شدة فرحها بنجاته وتبني فرعون له[275]، لَولَا أَن رَّبَطنَا عَلَىٰ قَلبِهَا أي بما نزل على قلبها من السكينة، فالربط هنا مجاز عن التثبيت أي ثبتنا قلبها وصبرناها، وجواب لولا محذوف دليله {إِن كَادَت لَتُبدِي بِهِۦ لِتَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ} سبب للربط على القلب، وتكون من المصدقين، أي صبرناها وثبتنا قلبها لتكون راسخة في التصديق بوعدنا بأنا رادوه إليها وجاعلوه من المرسلين[276].

---

[272] الطبري: تفسير الطبري: (532/19)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (55/4)؛ الآلوسي، روح المعاني: (258/10)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (253/13)؛ الزمخشري: الكشاف: (395/3)؛ الفراء: معاني القرآن: (303/2).

[273] سورة القَصَص: 28 \ 10

[274] الجزائري: أيسر التفاسير: (55/4)؛ النجدي: توفيق الرحمن في دروس القرآن: (38/3)؛ الآلوسي: روح المعاني: (259/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (528/19).

[275] الآلوسي: روح المعاني: (259/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (528/19).

[276] النجدي: توفيق الرحمن في دروس القرآن: (358/3)؛ الآلوسي: روح المعاني: (259/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (528/19)؛ الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، (معاني القرآن وإعرابه)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط 1، (1988م): (134/4)؛ حوّى: سعيد حوّى (ت 1409 هـ)، (الأساس في التفسير)، دار السلام، القاهرة ط 6، (1424هـ): (4063/7).

{وَقَالَت لِأُختِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَت بِهِۦ عَن جُنُب وَهُم لَا يَشعُرُونَ }[277]، وَقَالَت لِأُختِهِۦ قُصِّيهِ تتبعي أثره واقتفي خبره حتى تعلمي مصيره، فكانت تمشي على شاطئ النهر تلاحقه النظر من بعد حتى رأته انتهى إلى فرع الماء الذي دخل إلى قصر فرعون. فَبَصُرَت بِهِۦ عَن جُنُب أي أبصرته عن بعد اختلاسا. وفي لهجة جذام[278] جنب: يعني الشوق، جنبت إليك: تعني اشتقت إليك، فإن أخت موسى (υ) تتبعت أثره بشوق، وَهُم لَا يَشعُرُونَ أي قوم فرعون وآل فرعون لا يدرون أنها أخته وأنها ترقبه، وجعلت تنظر إليه كأنها لا تريده[279].

{ وَحَرَّمنَا عَلَيهِ ٱلمَرَاضِعَ مِن قَبلُ فَقَالَت هَل أَدُلُّكُم عَلَىٰ أَهلِ بَيت يَكفُلُونَهُۥ لَكُم وَهُم لَهُۥ نَٰصِحُونَ}[280].

وَحَرَّمنَا عَلَيهِ ٱلمَرَاضِعَ مِن قَبلُ أي: تحريمًا قدريًا، تحريم منع لا تحريم شرع. أي منعه الله (I) أن يرضع ثدياً غير ثدي أمه، فكان لا يقبل ثدي مرضع مِن قَبلُ أي: من قبل قصها أثره، أو: من قبل أن نرده على أمه أو: أزلا، وهذه كرامة من عند الله، وصيانةً لنبي الله موسى (υ) أن يرتضع غير ثدي أمه، وجعل الله (I) ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه كي ترضعه وهي آمنة بعد ما كانت خائفة، فلما رأتهم أخت سيدنا موسى (υ) حائرين فيمن يرضعه فَقَالَت أي: أخته هَلْ هَل أَدُلُّكُم أي: أرشدكم عَلَىٰ أَهلِ بَيت يَكفُلُونَهُۥ لَكُم وَهُم لَهُۥ نَٰصِحُونَ مع النصح: الإخلاص في العمل من شائبة الفساد، ومعنى الآية يضمنون إرضاعه والقيام بشؤونه لأجلكم، ولا يقصرون في إرضاعه وتربيته، فلما قالت: ذلك قالوا لها: مَنْ؟ قالت: أمي، قالوا: ولأمك ابن؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يُقتل فيها الولدان، قالوا: صدقت، وفي رأي آخر: لما قالت ذلك أخذوها، وشكوا في أمرها، وقالوا لها: وما

---

[277] سورة القَصَص:28 \ 11

[278] جذام: قبيلة من العرب القحطانيين سكنت الشام ما بين مدين إلى تبوك إلى أذرح. كرد علي: محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (ت: 1372هـ)، (خطط الشام)، مكتبة النوري، دمشق، ط 3، (11983م): (25/1).

[279] الزحيلي: التفسير المنير: (62/20)؛ النجدي: توفيق الرحمن في دروس القرآن: (359/3)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (56/4)؛ الآلوسي: روح المعاني: (260/10).

[280] سورة القَصَص: 28 \ 12

يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في القرب من الملك ورجاء منفعته. فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا بالرضيع على أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، ففرحوا بذلك فرحاً شديدًا. وذهب البشير إلى امرأة الملك، فاستدعت أم موسى، وأحسنت إليها، وأعطتها عطاء جزيلا كونه وافق ثديها بدون أن تعرف أنها أمه في الحقيقة، وهذا من لطف الله (I)، وصارت أم موسى (υ) وطفلها في أمان من فرعون وفي بيته وهم في حال من العز والجاه وسعة الرزق[281].

ويظهر للباحث مما سبق أن الظلم إذا عمَّ فلا بد من زواله وكذلك تثبيت أهل الإيمان وإن عفوا وقلت حيلتهم فإن العاقبة للمتقين كما قال تعالى:{ وَيَمكُرُونَ وَيَمكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيرُ ٱلمَٰكِرِينَ}[282].

ومن مقاصد وأهداف الآيات السابقة[283]:

1. إن الله (I) إذا أراد أمراً هيأ له الأسباب ويسر أموره ووسائله، وإحاطته (I) بعبد من عباده تصونه من كل أعداءه مهما بلغ مكر هؤلاء الأعداء وبطشهم.
2. تدبير الله (I) لأمور أوليائه وصالح عباده وظهر ذلك واضحاً في الوحي إلى أم موسى (υ) بإرضاعه وإلقائه في البحر، والتقاطه من آل فرعون ليتربى في بيت الملك عزيزاً مكرماً.
3. إرادة الله لابد أن تكون {إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ}[284].

---

[281] حوّى: الأساس في التفسير: (4064/7)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (56/4)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (4638/7)؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: 776هـ)، (تفسير القرآن العظيم)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط 2 (١٩٩٩م): (224/6)؛ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط 1 (١٩٧٣م)-(١٩٩٣م): (1745/7).

[282] سورة الأنفال: 8 \ 30

[283] الجزائري: أيسر التفاسير: (56/4)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (68/20)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (85/20)؛ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت : 1393هـ)، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، (1995م): (150/6).

[284] سورة النحل :16 \ 40

4. عواقب الخطيئة وآثارها السيئة المدمرة فما حلّ بفرعون وهامان وجنودهما درس بليغ لمن أراد أن يَتَّعض.
5. الإنسان تفكيره قاصر قد يحب شيئاً وليس له فيه مصلحة، ويكره شيئاً مصلحته فيه، قال تعالى: {وَعَسَىٰ أَن تَكرَهُواْ شَيا وَهُوَ خَير لَّكُم وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيا وَهُوَ شَرّ لَّكُم وَٱللَّهُ يَعلَمُ وَأَنتُم لَا تَعلَمُونَ}[285].
6. الطلب والرجاء فضيلة في قول آسية قُرَّتُ عَين لِّي وَلَكَ ورفض فرعون له. فكان موسى (υ) قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون.
7. جميع الأنبياء الذين اصطفاهم الله لنفسه أحسنوا الظن بالله، من إبراهيم (υ) لما ألقي في النار، وعدم قنوط يعقوب (υ) عند فقد ولديه، وصبر أيوب (υ) على ما ابتلاه به الله (Y)، وتسبيح سيدنا يونس (υ) في بطن الحوت، وسكينة محمد (ρ) وصاحبه في الغار، كل ذلك من حسن ظنهم بالله.
8. كل ما يحصل هو بإرادته (I) وحكمته وتقديره، قال تعالى: { إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقنَٰهُ بِقَدَر}[286]، فإرادة الله غالبة وهي فوق إرادة الكل قال تعالى:{ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ}[287].
9. عاطفة الأُمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى (υ) فارغًا إلا من موسى (υ).
10. سكينة الله لأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى (υ)، وأبعد عنها وساوس الشيطان، وملأ قلبها بالإيمان والاطمئنان لوعد الله (I).
11. يعمل الإنسان عملاً بقصد معين فيحدث ما لم يكن بالحسبان، فإن آل فرعون التقطوا موسى (υ) وهو صغير ليكون لهم قرة أعين فكان لهم عدواً وحزنا.

---

[285] سورة البقرة: 2 \ 216
[286] سورة القمر: 54 \ 49
[287] سورة يوسف: 12 \ 21

### 3.1.2. المطلب الثالث: ابتلاء سيدنا موسى (υ) بقتل الرجل، والمقصد القرآني في ذلك:

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱستَوَىٰٓ ءَاتَينَٰهُ حُكما وَعِلما وَكَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلمُحسِنِينَ}[288].

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱستَوَىٰ، أي: ثلاثين سنة من عمره فانتهى شبابه وبلغ كامل القوة الجسدية وتمام العقل[289]، واختلف في زمان بلوغ الأشد والإستواء وأرجح الأقوال أن زمن الأشد في الثلاثين والاستواء في الأربعين، ولعل أحسن ما قيل: "أن بلوغ الأشد عبارة عن بلوغ القدر الذي يتقوى فيه بدنه وقواه الجسمانية وينتهي فيه نموه المعتد به والإستواء اعتدال عقله وكماله ولا ينبغي تعيين وقت لذلك إلّا بخبر يعول عليه"[290]، اتَينَٰهُ حُكما وَعِلماأي: وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل، والحكمة معرفة أسرار الشريعة والعلم التفقه في الدين، وَكَذَٰلِكَ نَجزِي ٱلمُحسِنِينَ أي: نجزي المحسنين على إحسانهم، مثلما فعلنا مع موسى (υ) وأمه، وجعل الله (I) إتيان العلم والحكمة مجازاة على الإحسان لأنهما الطريق إلى الجنة[291].

{وَدَخَلَ ٱلمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفلَة مِّن أَهلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَينِ يَقتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِن عَدُوِّهِۦۖ فَٱستَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِن عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيهِ قَالَ هَٰذَا مِن عَمَلِ ٱلشَّيطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوّ مُّضِلّ مُّبِين}[292].

لما بلغ موسى (υ) القوة والشدة وآتاه الله العلم والحكمة، كان له من بني إسرائيل سمع وطاعة، وعرف الحق الذي هو عليه، ثم فارق فرعون وقومه على ما

---

[288] سورة القَصَص : 28 \ 14

[289] الجزائري: أيسر التفاسير: (57/4)؛ حوّى: الأساس في التفسير: (57/4)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (68/20)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (87/20).

[290] الآلوسي: روح المعاني: (261/10).

[291] الجزائري: أيسر التفاسير: (57/4). حوّى: الأساس في التفسير: (57/4)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (68/20)؛ الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: (136/4).

[292] سورة القَصَص : 28 \15

هم عليه حقًا في دينهم، فتكلّم وأنكر حتى ذُكر ذلك منه، وحتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية إلا خائفًا مستخفيًا[293].

تنقلنا هذه الآيات نقلة بعيدة في الزمان، من موسى (υ) الطفل الرضيع الذي احتواه صدر أمه، إلى موسى (υ) المكتمل الرجولة، وقد أخذ مكانه بين الرجال، وقد مرت بنا الآيات السابقة ما وعد به الله (I)، وقد حققه لموسى (υ)، والإخبار بتحقيق هذا الوعد، كان أشبه بختام القصة، وإذا بنا في هذه الآيات نجده خيطا مشدودًا من خيوط هذه القصة، قد طويت له أحداثاً كثيرة ليعود لأمه ليس رضيعاً بل رجلاً يحمل في كيانه، الحكم والعلم، ويدخل المدينة، ثم يدخل في صراع ينتهي بقتل إنسان! وما أغرب تصاريف القدر ينجو موسى (υ) من القتل رضيعاً، ثم ها هو ذا يمد يده بالقتل! ومن يدري؟ فلعل هذا القتيل كان هو الذي انتشل موسى من اليم[294]!!

واختلف المفسرون في اسم هذه المدينة، على أن هذا الخلاف لا يعنينا، ويكفينا أنها مدينة فرعونية، أما كيف دخلها موسى (υ)؟ وهل كان خارجها حتى يدخلها؟ وإذن فأين كان؟ هل كان قد ترك فرعون، وعاش بعيدا عن عاصمة ملكه؟ ولماذا يدخل موسى المدينة في غفلة من أهلها؟ هل كان هناك ما يحول بينه وبين دخولها؟ وهل كان مطلوبا لفرعون أو غيره لجناية جناها؟

يذهب المفسرون في هذا مذاهب شتى، ويلقون بكل ما يمكن أن يفترضه العقل في طلب علة لهذا الدخول المتخفي، تحت غفلة الأعين عنه، والرأي عندأهل العلم(والله أعلم) أن المراد بغفلة أهل المدينة، هو غفلتهم عن موسى، وعن أنه الابن المتبنى لفرعون، ولعله كان متخفيا ليداري صفته تلك، حتى لا يلفت إليه الأنظار، التي تتعلق دائما، بالسلطان، وبحاشية السلطان[295]!

---

[293] النجدي، توفيق الرحمن: (363/3)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (259/13)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5503/8).

[294] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (321/10).

[295] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (322/10)؛ الآلوسي: روح المعاني: (262/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (537/19).

وحين الغفلة: هو الوقت الذي يغفل فيه الناس عما يجري في المدينة وهو وقت استراحة الناس وتفرقهم وخلو الطرقات. وقيل: كان ذلك في وقت القيلولة وكان موسى (υ) مجتازا بالمدينة وحده، وقيل: ليلحق بفرعون إذ كان فرعون قد مر بتلك المدينة. والمقصود من ذكر هذا الوقت الإشارة إلى أن قَتْله للقبطي لم يشعر به أحد[296].

وفي الوقت الذي دخل فيه موسى (υ) المدينة، وجد فيها رجلين يقتتلان. أحدهما من شيعته أي من بني إسرائيل، وموسى (υ) كان يعلم أنه من بني إسرائيل بإخبار قصة إلتقاطه من اليم، أو أن تكون أُمه قد أفضت إليه بخبرها وخبره، والآخر من عدوه أي قبطي من قوم فرعون، ولا شك أن موسى كان يعرف أنه إسرائيلي، وأنه كان يعرف الإسرائيليين، بسماتهم وبزيهم الذي فرضه فرعون عليهم، واختلف في سبب تقاتل هذين الرجلين، لأجل أمرٍ ديني، أم أمرٍ دنيوي[297].

استثار موسى (υ) بهذا المشهد الذي كان بين المصري والإسرائيلي، فالإسرائيلي كان تحت يد باطشة، لها علاقة بالسلطان، تنزل عليه بالسياط، ولم يطق موسى (υ) صبرا على هذا الذي يراه بعينيه، من إنسان يضرب إنسانا من دون مبالاة، فدخل بين الرجلين، بعد أن استغاثه الإسرائيلي وطلب النصرة، ومن الطبيعي أن يرفض المصري هذا التدخل ويعدّه فضولا من موسى (υ)، فكان موسى (υ) والمصري شدّ وجذب، بل ربما مد المصري يده إلى موسى، فدفعه سيدنا موسى (υ) بقبضة يده (وهو لا يريد قتله) وإذا بالرجل يسقط على الأرض ميتا!! والوكز واللكز واللهز واللهد بمعنى واحد يعني الدفع، وهو الضرب بجمع الكف مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين، ويرجع موسى على نفسه، يلومها أن قتل نفسا بغير نفس، وهذا يدل على أن الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وهذه هي الفطرة وأن الانحراف

---

[296] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (87/20)؛ الآلوسي: روح المعاني: (262/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (537/19).

[297] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (323/10)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (87/20)؛ الآلوسي: روح المعاني: (263/10).

عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس، ويرى أن ما فعله لم يكن إلا عملا ما كان له أن يفعله، وقال في نفسه لم أؤمر بالقتل، وإن كان كافراً، فهذا من عمل الشيطان هو الذي حملني على هذا الفعل فهو الذي يضل الخلق وعداوته واضحة بينة، وما قال موسى (υ) ذلك إلّا لأن قتل النفس بغير حق مستقبح في الشرائع البشرية فإن حفظ النفس المعصومة من أصول الأديان كلها. وكان موسى (υ) يعلم دين آبائه بما تلقاه من أمه المرأة الصالحة في مدة رضاعه وفي فترة زيارته إياها، على أن موسى (υ) لم يخطر بباله حينئذ إلا النظر في العاقبة الدينية، ويتحرك موسى سريعا، ويخلص بنفسه، دون أن يعرف أحد من جنى هذه الجناية[298].

{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفسِي فَٱغفِر لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرا لِّلمُجرِمِينَ فَأَصبَحَ فِي ٱلمَدِينَةِ خَائِفا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱستَنصَرَهُۥ بِٱلأَمسِ يَستَصرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّ مُّبِين فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقتُلَنِي كَمَا قَتَلتَ نَفسَا بِٱلأَمسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارا فِي ٱلأَرضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلمُصلِحِينَ}[299].

ولا يجد موسى (υ) غير الله (I)، يبرأ إليه من نفسه، ويطلب الغفران مما جنت يداه. إنه وإن يكن قتل خطأ، فهو على كل حال ذنب، وسماه سيدنا موسى (υ) ظلماً لنفسه، وذنب عظيم في حق من هو مرشح للنبوة. لذلك سارع واستغفر الله من هذا الذنب، ومغفرة الله (I) فوق كل ذنب وإن عظم، لمن تاب، وأخلص التوبة وطلب المغفرة: قال تعالى: {وَمَن يَعمَل سُوءًا أَو يَظلِم نَفسَهُۥ ثُمَّ يَستَغفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورا رَّحِيما}[300]، فتضرع موسى لربه سائلاً منه المغفرة بالاعتراف أنه أساء إلى

---

[298] الطبري: تفسير الطبري: (538/19)؛ الآلوسي: روح المعاني: (263/10)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (26059/13)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (68/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (57/4)؛ الزجاج: معاني القرآن وإعرابه: (136/4)؛ حوى: الأساس في التفسير: (4068/7).

[299] سورة القَصَص: 28 \ 16-19

[300] سورة النساء: 4 \ 110

نفسه وندم على فعلته، وما أنعمته علي من قوة في الجسم فلن أستعملها في مظاهرة الآثمين والكافرين[301].

وأي نعمة عظيمة هذه التي يغفر الله بها الذنب ويمحو الخطايا، ولكن ليست هذه النعمة التي قطع بها موسى (υ) عهداً على نفسه أن لا يكون نصيراً للظالمين فإنه لم يكن قد أوحي إليه بعد، وقد تكون النعمة التي ذكرها موسى (υ) ما وجده في نفسه من قوة جسدية استطاع أن يقتل بها رجلا بدفعة يده، فهو يملك قوة خارقة بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه، وينبغي أن يراعي هذه النعمة، ويؤدي حق شكرها لله بألا يستخدمها إلا في الخير، وألا يظاهر بها الأشرار المعتدين، ونرى أن قتل المصري هنا، كان قوة دافعة إلى تلك الغاية، وستدفع بموسى للخروج من مصر إلى أرض مدين، حيث يقضى هناك فترة من الزمن في كنف رجل صالح كافية لإعداده إعداداً روحياً لحمل الرسالة التي تنتظره[302].

فأصبح في المدينة خائفاً من قتل القبطي أن يؤخذ بها وينتظر ويترقب الطلب. أو خائفاً من قومه ويترقب وينتظر أن يسلموه إلى فرعون وأعوانه، فإذا الإسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس يستصرخ موسى (υ)، أي يصيح وهو من الصراخ، عاتب موسى (υ) الإسرائيلي، كونه نادم على ما قد سلف منه من قتله القبطي بالأمس، وقال له إنك لظاهر الغواية بقتالك أمس واليوم، فلما أراد موسى (υ) أن يفرق بينهما ويبطش بالقبطي ظن الإسرائيلي أنه يريده بعدها لمعاتبته له وما رأى على موسى (υ) من الغضب فخاف على نفسه من أن يقتله موسى بعد القبطي فقال لموسى (υ) أتريد أن تقتلني كما قتلت القبطي بالأمس وتكون في الأرض جباراً

---

[301] مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1751/7)؛ حوى: الأساس في التفسير: (4068/7)؛ النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ)، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (تفسير النسفي)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، (1998م): (633/2).

[302] الجزائري: أيسر التفاسير: (60/4)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (323/10)؛ المظهري: محمد ثناء الله المظهري، (التفسير المظهري)، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، بدون طبعة، (1412هـ): (153/7).

(فإن آية الجبابرة القتل بغير حق) بكثرة القتل ولا تريد أن تكون من المصلحين، فكشف أمر موسى (υ)، وسمعها القبطي فسعى بها إلى آل فرعون[303].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. فيه دليل أن لا بأس بالخوف من دون الله، بخلاف ما يقوله بعض الناس أنه لا يسوغ الخوف من دون الله (I)[304].
2. من سياق النص يتبين لنا أن موسى (υ) كان كريماً، والذي من شيعته الإسرائيلي كان لئيماً، ومع ذلك عامله موسى (υ) بالكرم، فقد قيل عدو عاقل خير من صديق جاهل.
3. شكر النعم، فموسى (υ) لما غفر الله له شكره بأن تعهد له أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً.
4. سوء صحبة الأحمق الغوي فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى[305].
5. نصرة المظلوم شريعة في الملل كلها، وفرض في جميع الديانات، فهو من عمل الأبرار المحسنين.
6. الأصل في النفس الإنسانية هو الخير وأنه الفطرة وأن الإنحراف عنها يحتاج إلى سبب غير فطري وهو تخلل نزغ الشيطان في النفس[306].
7. جعل جمهور من السلف هذه الآية حجة على منع إعانة أهل الجور في شيء من أمورهم. ولعل وجه الاحتجاج بها أن الله حكاها عن موسى في معرض التنويه به فاقتضى ذلك أنه من القول الحق[307].

---

[303] الماوردي: النكت والعيون: (244/4)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5506/8)؛ مقاتل: تفسير مقاتل: (ج340/3)؛ ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، (زاد المسير في علم التفسير)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، (1422هـ): (378/3).

[304] الأرمي: تفسير حدائق الروح والريحان: (122/21)؛

[305] الجزائري: أيسر التفاسير: (63/4).

[306] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (90/20).

8. جعل الله تعالى إيتاء العلم والحكمة مجازاة على الإحسان، لأنهما يؤديان إلى الجنة التي هي جزاء المحسنين، والعالم الحكيم من يعمل بعلمه[308].
9. الأنبياء إنما هم معصومون من الإقرار على الذنوب وأن الله يستدركهم بالتوبة التي يحبها الله (Ψ) وأن ما صدر منهم من ذلك إنما كان لكمال النهاية بالتوبة لا لنقص البداية بالذنب[309].

## 2.2. المبحث الثاني: المقصد القرآني في ابتلاء الأنبياء وصياغتهم:

إن البلاء إذا وقع فهو علامة للولاء، فإما يكون سبب لإعلاء الدرجات كما في ابتلاء الأنبياء والصالحين وإما لمحو السيئات كما في الأولياء مع أن هذه الدنيا مليئة بالابتلاءات سواء فيها الفجار والأبرار كما أشار إليه قوله (I): {إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُم يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَ وَتَرجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرجُونَ}[310]-[311]. وسُئِلَ رَسُولَ اللهِ (ρ): أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ فَقَالَ: (**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ رَقِيقَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَاكَ، وَإِنْ كَانَ صُلْبَ الدِّينِ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ ذَاكَ، قَالَ: فَمَا تَزَالُ الْبَلايَا بِالرَّجُلِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**)[312].

فما يصيب الأنبياء من الإبتلاءات والمصائب ليس لذنب ارتكبوه فإنهم إما يكونون معصومين من تعمد الذنوب مطلقا وإما أن يكونوا معصومين من الإقرار عليها، وتكون المصائب في حقهم لحكم عظيمة منها رفع درجاتهم، ومنها أن يكونوا أسوة لمن بعدهم من أممهم، ومنها ألا يغلوا فيهم أتباعهم فيخلعوا عليهم ما هو من

---

[307] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (93/20).
[308] حوّى: الأساس في التفسير: (4068/7).
[309] ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، (مجموع الفتاوى)، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1995م): (415/11).
[310] سورة النساء: 4 \ 104
[311] الملا الهروي: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، (شرح مسند أبي حنيفة)، تح الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 1، (1985م): (13).
[312] مسند الإمام احمد بن حنبل: مسند أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص، رقم الحديث: (1494): (87/3).

خصائص الألوهية[313]. "وإذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته بما ساقهم به إلى أجلِّ الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين الكرامة في حقهم، فصورته صورة ابتلاء وإمتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله مِن نعمة جسيمة ومنَّة عظيمة تُجنى من قطوف الإبتلاء والإمتحان"[314].

فحال سيدنا موسى (υ) حاله بما ابتلي به الأنبياء من قبله ومن بعده، وما آتاه الله في محنته من أول ولادته إلى منتهى أمره فقد كلَّمه الله تكليما، وقرَّبه منه، وما سقطت منزلته عند الله، بل هو الوجيه عنده القريب، ولولا ما تقدم له من السوابق وتحمل الشدائد والمحن العظام في الله ومقاسات الأمر الشديد بين فرعون وقومه ثم بني إسرائيل وما آذوه به وما صبر عليهم لله لم تكن له تلك المكانة[315].

وحسب سياق القصة تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، تناول المطلب الأول المقاصد القرآنية في هجرة سيدنا موسى إلى مدين، وتناول المطلب الثاني عودة سيدنا موسى إلى مصر والمقاصد القرآنية في رحلته.

### 1.2.2. المطلب الأول: المقاصد القرآنية في هجرة موسى (υ) إلى مدين:

{وَجَاءَ رَجُل مِّن أَقصَا ٱلمَدِينَةِ يَسعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰ إِنَّ ٱلمَلَأَ يَأتَمِرُونَ بِكَ لِيَقتُلُوكَ فَٱخرُج إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَخَرَجَ مِنهَا خَائِفا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ}[316].

وانتشر خبر قتل موسى للقبطي بالمدينة، فأخذ فرعون وقومه في البحث عنه لينتقموا منه، فجاء رجل مؤمن من آل فرعون، اختلف المفسرون بهويته التي لا تعنينا هنا في موضوعنا، ولكن الذي يهمنا أن الله (I) وصفه بصفة الرجولة وبصفة السعي، يخفي إيمانه عن الناس، من أبعد مكان في المدينة، قد يكون قصر فرعون

---

[313] أبو فيصل البدراني، (فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة): (45)، الكتاب منشور إلكترونياً على الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة: https://shamela.ws (ت. م 22-1-2021)

[314] ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة)، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ): (299/1).

[315] ابن القيم الجوزية: (مفتاح دار السعادة): (300/1).

[316] سورة القَصَص: 28 \ 20-21

يكون في أطراف المدينة، يسير سيرا سريعا ليخبر موسى (υ) بما دبره القوم من سوء له، فقال لسيدنا موسى (υ)، إن فرعون وأشراف دولته يتشاورون فيك، ويدبرون مؤامرة لقتلك، وسمى التشاور بين الناس إئتمارا، لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر، ويأتمر بأمره، فاخرج بسرعة من البلد، ولا تعرض نفسك للخطر، إني لك ناصح أمين. ووصف بالرجولة لسلوكه طريقا أقرب من طريق المبعوثين خلف موسى (υ)، فاستجاب موسى (υ) لنصح هذا الرجل فخرج من المدينة، بحالة كونه خائِفاً من الظالمين يَتَرَقَّبُ التعرض له من قبل جنود فرعون، ويعد نفسه للتخفي عن أنظارهم، وجعل يتضرع إلى ربه أن ينجيه بقدرته وفضله مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وأن يخلصه من كيدهم، ويدفع عنه ظلمهم وبغيهم[317].

وفي هذه الآيات تتضح لنا فيها أمور: أن هذا الرجل جاء من أقصى المدينة، أي من أطرافها البعيدة، وأن هذا الرجل جاء في عجلة ولهفة، يستبق الأحداث قبل أن تفلت من يده، وتتجه اتجاها غير الذي يراد لها أن تتجه إليه، ثم لا يستطيع التصرف فيها من غير أن تثير دخانا، أو تؤجج نارًا، وما أسرّ به الرجل إلى موسى (υ) من أن الملأ يتشاورون لقتله فيه أن هذا القول يملأ قلب موسى (υ) خوفا وفزعا، جعلت منه، الخروج إلى حيث يختفى من مصر، دون تمهل أو توقف، وفي تلقي موسى (υ) لنصيحة الرجل الناصح الأمين، الذي يشفق عليه، ويود له الخلاص مما تورّط فيه، هذه هي كلمة الرجل الصادق دائما إنه ناصح أبدا لكل من يتحدث إليه، ولو ألقى به في التهلكة، تلك هي آيات الله، وذلك هو بعض ما يرى من وجوه إعجازها المبين[318].

فخرج موسى (υ) من أرض مصر بلا زاد ولا مال ولا ظهر ولا حذاء خرج على وجهه خائفاً يترقب لا يدري أي وجه يسلك، ولم يكن له طعام إلّا ورق

---

[317] الزحيلي: التفسير المنير: (73/20)؛ طنطاوي: التفسير الوسيط: (391/10).
[318] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (330/10).

الشجر، خرج من مصر حافيا، فلما وصل إلى مدين[319]، وبينها وبين مصر مسيرة ثمان ليال، ولم تكن في سلطان فرعون، حتى وقع خف قدميه، وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه، فتوجّه بقلبه إلى ربّه ينتظر أن يهديه ربّه إلى النحو الذي هو خير له، [320].

{وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلقَاءَ مَدينَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهدِيَنِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدينَ وَجَدَ عَلَيهِ أُمَّة مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمرَأَتَينِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسقِي حَتَّىٰ يُصدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيخ كَبِير فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَير فَقِير}[321].

خرج موسى (υ) من مصر بغير دليل، وهنا يجد موسى (υ) نفسه على طريق غربة، موحشة، لا يدرى إلى أين تسوقه قدماه، ولا ما يلقاه على طريقه من أحداث، إنه في حيرة من أمره، بعد أن خرج من مصر، كما يخرج راكب سفينة غرقت، فألقت براكبيها في الماء، وكان أسعدهم حظا من وضع رجله على اليابسة، ولو كان في مورد الوحوش، إن موسى (υ) لم يكن يعرف أن وجهته مدين، وإنما اتخذ الوجهة التي تؤدى به إليها، وخشي أن يضل الطريق فدعا ربه أن يرشده قصد الطريق إلى مدين لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها فبلغ مدين، ولما ورد ماء مدين وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وجد على الماء جانب البئر جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم ووجد في مكان أسفل من مكانهم امرأتين تمنعان أغنامهما عن الماء لئلا تختلط بأغنام القوم، قال موسى (υ) للمرأتين ما شأنكما (وهذه الكلمة خَطبُكُمَا لا تستعمل إلّا للأمر العظيم) حيث تمنعان مواشيكما من الماء قالتا لا نسقي

---

[319] مَدْيَنْ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الياء المثناة من تحت، وآخره نون، قال أبو زيد: مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى(υ) لبنات الرجل الصالح، ومدين اسم القبيلة، وهي مدينة قوم شعيب سميت بمدين بن إبراهيم (υ). الحموي، معجم البلدان: (77/5).

[320] الثعلبي: الكشف والبيان: (243/7)؛ القيرواني: بلوغ النهاية: (5510/8)؛ القشيري: لطائف الإشارات: (60/3)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (266/13)؛ النسفي: تفسير النسفي: (635/2).

[321] سورة القَصَص: الآيات (22-24).

أغنامنا حتى يصرف الرعاء (جمع راعي) مواشيهم عن الماء وأبونا شيخ كبير إيجاز في القول بأنه ليس لهم من الرجال من يقوم بهذه المهمة[322].

القرآن الكريم يمتاز بالدقة في انتقاء الكلمات التي تحمل دلالات عميقة، كيف لا وهو كلام الله (I) ، كما في كلمة تَذُودَانِ فهذه الكلمة أظهرت أن الفتاتين كانتا تصدان أغنامهما وتمنعاهما من الاختلاط بأغنام الآخرين، حتى لا يدعي أحدهم أنها له، وكون أن المرأة بطبعها الضعف، فكانتا تنتظران حتى يخف الزحام فتسقيان أغنامهما، في حين أنّ أغنامهما كانت تريد الذهاب إلى مورد الماء مع سائر الماشية، فكانتا تمنعانها، وأثارت هذه الكلمة التصور في الموقف وما فيه من الحركة والدوافع النفسية التي تدفع الفتاتين بالتصرف بهذه الطريقة، كما بينت صورة عامة عن أخلاق هؤلاء القوم من حب الذات والحرص على المصالح الخاصة، دون الإلتفات لحاجات الآخرين للماء، ثم كان يجدر بهم من باب الشهامة والرجولة أن يقضوا حاجة هاتين الفتاتين خاصة وأنّ والدهم شيخ كبير، وقد لفت هذا المشهد انتباه موسى (υ)، وأثار تعجبه، ولمّا عرف القصة سقى لهما، وهذا يدلّ على حسن خلقه[323].

اختلف المفسرون في هوية الرجل الصالح والد المرأتين، كما اختلفوا في هوية الرجل المؤمن الذي جاء من أقصى المدينة، ومثلما بينا في الرجل المؤمن أننا لا يهمنا معرفة هويته ما دام القرآن الكريم قد أخفاها ولا يزيد ولا ينقص في معرفتنا لها من بلاغة القصة ومحتواها فالغاية من القصة العبرة والموعظة وليس الأسماء والأماكن والأزمان.

فأتى إلى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها، حتى يرفعوها، فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما، فرجعتا سريعا، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض، ثم انصرف سيدنا موسى (υ) إلى شجرة، فاستظل

---

[322] مقاتل، تفسير مقاتل: (341/3)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (332/10)؛ الطبري: تفسير الطبري: (549)؛ الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (160/8)؛ المظهري: التفسير المظهري: (155/7).

[323] عشاب: الحبك المكاني في السياق القصصي: (30).

بظلها ودعا ربه إني لما أنزلت إلي من خير فلا زلت أحتاج إليك، فقد كان جائعاً ويحتاج إلى الطعام[324].

سبحان الله تعالى هذا الطريد الحافي الجائع لا يملك أي شيء من الدنيا يرفع وجهه إلى السماء، يحمد الله أنه أنزل عليه من الخير والنعم، ويحمد الله أن ساق إليه هذا الرزق الذي وجده بعون هاتين الفتاتين الضعيفتين والإحسان لهما، وإنه بأشد الحاجة إلى مثل هذه الأعمال الطيبة، ليكفر بها عن ذنوبه[325].

{فَجَاءَتهُ إِحدَىٰهُمَا تَمشِي عَلَى ٱستِحيَاء قَالَت إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ قَالَ لَا تَخَف نَجَوتَ مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّـٰلِمِينَ}[326]،

لمّا انصرفت المرأتان سريعاً خرج أبوهما إلى ظاهر الصحراء على طريق الماشية لمسّها بيديه فوجد أثر الزيادة في تلك الكرّة، ووجدهما عادتا سريعتين، فسألهما فذكرتا له القصة، وما سمعتا منه حين دعا ربه {إني رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَير فَقِير} فقال الرجل الصالح: إذاً هو جائع. وبعث إحداهما لتدعوه، استجاب الله (I) لدعاء موسى (υ) فجاءته إحدى البنات ماشية كائنة على استحياء أي أنها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط، وتنكير استحياء هنا للتفخيم، واضعة كم درعها على وجهها حياء. وقد قال فيها عمر (τ) إنها ليست سلفعاً (أي: جريئة على الرجال) من النساء خرّاجة ولاّجة، وبلغت رسالة مختصرة وكأنها برقية ونصها ما أخبر الله تعالى به في قوله: {إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيتَ لَنَا}!! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقيها قال لها موسى: امشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه { ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ}، فلمّا جاء موسى على الرجل الصالح وأخبره ما كان من بشأنه كله من قتله القبطي

---

[324] الطبري: تفسير الطبري: (555/19).
[325] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (335/10).
[326] سورة القَصَص: 28 \ 25

وطلب السلطة له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى ماء مدين، قال له الرجل الصالح لا تخف نجوت من قوم فرعون وملئه الظالمين إذ لا سلطان لهم على بلاد مدين[327].

{قَالَت إِحدَىٰهُمَا يَـٰأَبَتِ ٱستَـٔجِرهُ إِنَّ خَيرَ مَنِ ٱستَـٔجَرتَ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَن أُنكِحَكَ إِحدَى ٱبنَتَيَّ هَـٰتَينِ عَلَىٰ أَن تَأجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَج فَإِن أَتمَمتَ عَشرا فَمِن عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَن أَشُقَّ عَلَيكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ قَالَ ذَٰلِكَ بَينِي وَبَينَكَ أَيَّمَا ٱلأَجَلَينِ قَضَيتُ فَلَا عُدوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيل}[328].

حذف القرآن الكريم ما لقيه موسى (υ) من الرجل الصالح من الجزاء بالضيافة وإطعامه الطعام كونها تحصيل حال من كريم إلى كريم، وانتقل إلى عرض إحدى المرأتين على أبيها أن تستأجره للعمل في رعي الماشية (أجيراً يرعى الغنم ويسقيها) إذ لم يكن لهم في بيتهم رجل يقوم بذلك وقد كبر أبوهما فلما رأت أمانته وورعه رأت أنه خير من يستأجر للعمل عندهم لقوته على العمل وأمانته. لأن مثله من يستأجر. وجاءت بكلمة جامعة مرسلة مثلا لما فيها من العموم ومطابقة الحقيقة بدون تخلف، فالتعريف باللام في{ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ} للجنس مراد به العموم، ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنه ممن يشمله ذلك العموم فكان ذلك مصادقاً للبلاغة إذ صار إثبات الأمانة والقوة لهذا المتحدث عنه (سيدنا موسى (υ)) إثباتا للحكم بدليل، وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال فكانت بالغة حد الإعجاز، وهذان الوصفان، ينبغي إعتبارهما في كل من يتولى للإنسان عملا بإجارة أو غيرها[329].

والإشارة في قوله إِنِّي{ أُرِيدُ أَن أُنكِحَكَ إِحدَى ٱبنَتَيَّ هَـٰتَينِ} أي المرأتين اللتين سقيت لهما لأنهما كانتا حاضرتين معا دون غيرهما من بنات الرجل الصالح

---

[327] القشيري: لطائف الإشارات: (61/3)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (65/4)؛ الآلوسي: روح المعاني: (273/10).

[328] سورة القَصَص: 28 \ 26-28

[329] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (105/20)؛ السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ): (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط 1، (2000م): (614).

لتعلق القضية بشأنهما، أو تكون الإشارة إليهما لحضورهما في ذهن موسى (υ) بإعتباره قريب عهده بالسقي لهما، وجعل الاختيار لموسى (υ) لأنه قد عرفهما، وكانت التي اختارها موسى (υ) هي الصغرى كما جاء في الرواية عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (ρ): **(إِذَا سُئِلْتَ: أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَى مُوسَى (υ)؟ فَقُلْ: خَيْرَهُمَا وَأَتَمَّهُمَا وَأَبَرَّهُمَا، وَإِنَّ سُئِلْتَ: أَيُّ الْمَرْأَتَيْنِ تَزَوَّجَ؟ فَقُلْ: الصُّغْرَى مِنْهُمَا وَهِيَ الَّتِي جَاءَتْ، وَقَالَتْ:** { يَـٰأَبَتِ ٱستَـٔجِرهُ إِنَّ خَيرَ مَنِ ٱستَـٔجَرتَ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ}، **قَالَ: مَا رَأَيْتِ مِنْ قُوَّتِهِ؟ قَالَت: أَخَذَ حَجَرًا ثَقِيلًا فَأَلْقَاهُ عَنِ الْبِئْرِ، قَالَ: وَمَا الَّذِي رَأَيْتِ مِنْ أَمَانَتِهِ؟ قَالَتْ: قَالَ: امْشِي خَلْفِي وَلَا تَمْشِي أَمَامِي)**[330]. وإنما اختارها دون أختها لأنه عرف أخلاقها باستحيائها وكلامها فكان ذلك ترجيحا لها عنده وبالإشارة إلى قوله عَلَىٰ{ أَن تَأجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَج} والحجج: اسم جمع حجة بكسر الحاء وهي السنة، مشتقة من اسم الحج لأن الحج يقع كل سنة وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية، وأسقط هنا ذكر العمل وذكر المدة اختصاراً كون العمل مفهوم هو رعي الغنم، وإذا أتممت عشراً فإنّ ذلك تفضلا منك وخيره في ذلك، والمعنى أن تثيبني من تزويجها رعي ماشيتي، وكأن أباها جعل صداق ابنته التي زوجها موسى (υ) هو بقاء موسى عنده يرعى الغنم ثماني سنين، وستجدني إن شاء الله في الوفاء بما قلت لك وفي حُسن الصحبة في حسن المعاملة ولين الجانب. قصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تزكية النفس المنهي عنه لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض في الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداع حسن كما قال يوسف (υ) {قَالَ ٱجعَلنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ ٱلأَرضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم }[331]، وما أريد أن أكون شاقا عليك، ومكلفك مشقة، والمشقة: العسر والتعب والصعوبة في العمل. والأصل أن يوصف بالشاق العمل المتعب فإسناد أشق إلى ذاته إسناد مجازي

---

[330] الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، (الروض الداني) (المعجم الصغير)، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان ط 1، (1985م): باب من اسمه محمد: رقم الحديث: (815): (79/2).

[331] سورة يوسف: 12 \55.

لأنه سبب المشقة، أي ما أريد أن أشترط عليك ما فيه مشقتك[332]. وهذا من السماحة الوارد فيها حديث الرسول (ρ): **(رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)**[333]. فقال سيدنا موسى (υ) إن هذا الذي قلتَ من أنك تزوّجني أحدى ابنتيك على أن آجرك ثماني حجَج، واجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه، وأيّ الأجلين من الثماني الحجج والعشر الحجَج قضيت فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك فليس لك أن تعتدي عليّ، فتطالبني بأكثر منه، والله على ما أوجب كلّ واحد منا لصاحبه على نفسه بهذا القول، شهيد وحفيظ[334].

يجدر بنا الإشارة إلى وجود تمحيصة إلهية في قصة يوسف (υ)، جمعت في الحب بين يوسف وامرأة ا لعزيز، والحب بين موسى (υ) والفتاة فكلاهما استهوتهما إمرأة، إلّا أن في حب يوسف (υ) كان الإستهواء لغرض مشين مخل بالحياء، منافي لتعاليم وأخلاق ديننا الإسلامي أمّا في حب موسى(υ)، فكان الإستهواء لغرض شرعي يتفق ومبادئ الدين الإسلامي[335].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. والعبرة من سياقة هذا الجزء من القصة هو ما تضمنته من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال وكيف هيأ الله تعالى لموسى (υ) لتلقي الرسالة بأن قَلَّبه في أطوار الفضائل، وأعظمها معاشرة الرجل الصالح ومصاهرته، وما تتضمنه من خصال المروءة والفتوة التي وقرت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد، والقناعة، وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين، والعمل لهم، والوفاء

---

[332] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (106/20)؛ الماوردي: النكت والعيون: (248/4)؛ الطبري: تفسير الطبري: (565/19)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5521/8).

[333] البخاري: صحيح البخاري: كتاب: البيوع، باب: السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ، وَمَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، رقم الحديث: (2076): (57/3).

[334] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (106/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (565/19)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5521/8).

[335] عشاب: الحبك المكاني في السياق القصصي: (110).

بالعقد، والثبات على العهد حتى كان خاتمة ذلك تشريفه بالرسالة وما تضمنته من خصال المروءة التي أبداها الرجل الصالح من إكرام الضيف، وتأمين الخائف، والرفق في المعاملة، كل ذلك ليعتبر المشركون إن كان لهم اعتبار في مقايسة تلك الأحوال بأجناسها من أحوال النبي (ρ) فيهتدوا إلى أن ما عرفوه به من زكي الخصال قبل رسالته وتقويم سيرته، وزكاء سريرته، وإعانته على نوائب الحق، وتزوجه بأفضل إمرأة من نساء قومه، إن هي إلا خصال عظيمة فيه بين قومه وإن هي إلا بوادر نزول الوحي عليه. {ٱللَّهُ أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَه}[336]، وليأتسي المسلمون بالأسوة الحسنة من أخلاق أهل النبوة والصلاح[337].

2. وجوب النصح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة، لأن موسى من أهل الكمال وما حدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين[338].
3. إن الإيمان رابطة وثيقة بين المؤمنين، لذا بادر مؤمن آل فرعون موسى (υ) بمكيدة فرعون وملئه له، وأنهم يتشاورون في قتله بالقبطي الذي قتله بالأمس، ونصحه بالخروج مسرعا من مدينة فرعون أو من مصر.
4. شأن المؤمن دائما أن يلجأ إلى الله تعالى، فقد خرج موسى (υ) من مصر، خائفا يترقب الطلب، قائلا: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّـٰلِمِينَ}. فنجاه الله ووصل إلى بلاد مدين[339].
5. أن إخبار الغير بما قيل فيه وعنه على وجه التحذير له من شر يقع به لا يكون نميمة، بل قد يكون واجبا، كما ساق الله خبر ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى محذِّرا موسى (υ) على وجه الثناء عليه.

---

[336] سورة الأنعام: 6 \ 124
[337] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (110/20).
[338] الجزائري: أيسر التفاسير: (62/4).
[339] الزحيلي: التفسير المنير: (79/20).

6. إذا خاف التلف بالقتل بغير حق في إقامته في موضع، فلا يلقي بيده إلى التهلكة ويستسلم للهلاك، بل يفرّ من ذلك الموضع مع القدرة كما فعل موسى (υ).
7. إذا كان لا بد من ارتكاب إحدى مفسدتين تعين ارتكاب الأخف منهما، الأسلم دفعا لما هو أعظم وأخطر، فإن موسى (υ) لما دار الأمر بين بقائه في مصر ولكنه يقتل، أو ذهابه إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدله غير هداية ربه، ومعلوم أنها أرجى للسلامة، لا جرم آثرها موسى (υ).
8. فيه تنبيه لطيف على أن الناظر في العلم عند الحاجة إلى العمل أو التكلم به، إذا لم يترجح عنده أحد القولين، فإنه يستهدي ربه، ويسأله أن يهديه إلى الصواب من القولين بعد أن يقصد الحق بقلبه ويبحث عنه، فإن الله لا يخيب من هذه حاله، كما دعا موسى (υ) {عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهدِيَنِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ }لما قصد تلقاء مدين ولا يدري الطريق المعين إليها، وقد هداه الله وأعطاه ما رجاه وتمناه.
9. الرحمة والإحسان على الخلق، من عرفه العبد ومن لا يعرفه، من أخلاق الأنبياء، وأن من جملة الإحسان الإعانة على سقي الماشية، وخصوصًا إعانة العاجز، كما فعل موسى (υ) مع ابنتي الرجل الصالح حين سقى لهما لما رآهما عاجزتين عن سقي ماشيتهما قبل صدور الرعاة.
10. أن الله كما يحب من الداعي أن يتوسل إليه بأسمائه وصفاته، ونعمه العامة والخاصة، فإنه يحب منه أن يتوسل إليه بضعفه وعجزه وفقره، وعدم قدرته على تحصيل مصالحه، ودفع الأضرار عن نفسه كما دعا موسى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَير فَقِير }لما في ذلك من إظهار التضرع والمسكنة، والإفتقار لله الذي هو حقيقة كل عبد.
11. أن الحياء والمكافأة على الإحسان لم يزل دأب الأمم الصالحين.

12. أن العبد إذا عمل العمل لله خالصا، ثم حصل به مكافأة عليه بغير قصده فإنه لا يلام على ذلك، ولا يخل بإخلاصه وأجره، كما قبل موسى مكافأة الرجل الصالح عن معروفه الذي لم يطلبه، ولم يستشرف له على معاوضة.
13. جواز الإجارة على كل عمل معلوم في نفع معلوم أو زمن مسمى، وأن مرد ذلك إلى العرف، وأنه تجوز الإجارة وتكون المنفعة البضع، كما قال صاحب مدين:{ إِنِّي أُرِيدُ أَن أُنكِحَكَ إِحدَى ٱبنَتَيَّ هَٰتَينِ}.
14. يجوز للإنسان أن يخطب الرجل لإبنته، ونحوها ممن هو ولي عليها ولا نقص في ذلك، بل قد يكون نفعا وكمالا، كما فعل الرجل الصالح مع موسى (υ).
15. {إِنَّ خَيرَ مَنِ ٱستَـٔجَرتَ ٱلقَوِيُّ ٱلأَمِينُ} هذان الوصفان بهما تمام الأعمال كلها، فكل عمل من الولايات أو من الخدمات أو من الصناعات، أو من الأعمال التي القصد منها الحفظ والمراقبة على العمال والأعمال إذا جمع الإنسان الوصفين، أن يكون قويا على ذلك العمل بحسب أحوال الأعمال، وأن يكون مؤتمنا عليه، تم ذلك العمل وحصل مقصوده وثمرته، والخلل والنقص سببه الإخلال بهما أو بأحدهما.
16. من أعظم مكارم الأخلاق تحسين الخُلق مع كل من يتصل بك من خادم وأجير وزوجة وولد ومعامل وغيرهم، ومن ذلك تخفيف العمل[340].
17. وفي قوله تعالى:{ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ}، دلالة على أن من هرب من مكان الأعداء، إلى مكان الأنبياء أمن من الهلاك (اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين، وهلاك الباقين بمكان الأعداء). وهذا أيضا من أعظم مقاصد القرآن، مع اشتمالها على ما لا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى[341].
18. وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه.
19. بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللائي يتعففن عن الاختلاط بالرجال.

---

[340] آلسعدي: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آلسعدي (ت: 1376هـ)، (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط 1، (1422هـ): (229).

[341] القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: 1332هـ)، (محاسن التأويل)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (1418هـ): (513/7).

20. بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين.
21. فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه.
22. الوفاء بالعهد والإلتزام بشروط العقد، وإتقان العمل في حياتنا اليومية سواء كانت في الشراكات أو غير ذلك.
23. إذا اضطرت المرأة إلى الخروج من بيتها لحاجة اضطرارية، فإن عليها أن تكون في منأى عن الرجل، وهذا هو شرع الله تعالى للمرأة دائماً وأبداً في كل شرائع المرسلين.
24. الهجرة مطلوبة في كل جولة من الصراع بين الحق والباطل، وإن إنتهت بمفهومها المحدد في السيرة.
25. في القصة ترغيب للخير وحث على التعاون للبر وبذل المعروف مع الجهد[342].
26. إن الصالحين من الناس يقفون دائماً إلى جانب المظلوم ولو بالتأييد والمعاونة، ويقفون في وجه الظالمين حتى الانتهاء من ظلمه، ويساعدون المحتاجين ويقفون إلى جانب الحق والعدل ومكارم الأخلاق.
27. على الآباء قبول رأي الأبناء إن كان موافقاً للصواب، وهذا من حسن التربية.
28. أسلوب المرأة في قولها{ إِنَّ أَبِي يَدعُوكَ لِيَجزِيَكَ أَجرَ مَا سَقَيتَ لَنَا} حتى لا يخاف من هذه الدعوة، وتكون أدعى لقبولها وهذا من ذكائها[343].

### 2.2.2. المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في رجوع موسى (ט) إلى مصر ومواجهته لفرعون:

{فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلأَجَلَ وَسَارَ بِأَهلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارا قَالَ لِأَهلِهِ ٱمكُثُوٓاْ إِنِّي ءَانَستُ نَارا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنهَا بِخَبَرٍ أَو جَذوَة مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُم تَصطَلُونَ لَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلوَادِ ٱلأَيمَنِ فِي ٱلبُقعَةِ ٱلمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ وَأَن أَلقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهتَزُّ كَأَنَّهَا جَانّ وَلَّىٰ مُدبِرا وَلَم يُعَقِّب

---

[342] البقاعي: نظم الدرر: (267/14).
[343] العثيمين: أصول في التفسير: (101-102).

يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡما فَٰسِقِينَ}[344].

فلمّا قضى موسى (υ) أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما، كما مرّ معنا في حديث رسول الله (ρ) في المطلب السابق)، وكان موسى (υ) قد اشتاق إلى بلاده وأهله، فعزم على زيارتهم خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة، فنزل منزلا فجعل كلما أورى زنده[345] لا يضيء شيئا، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك أحسّ نارا تضيء له من جانب الجبل (ٱلطُّورِ هو الجبل في كلام العرب، والطور من الجبال ما أنبت، وما لم ينبت فليس بطور)[346]، فقال لأهله امكثوا حتى أذهب إليها، وذلك لأنه قد أضل الطريق، فلعله يأتي بخبر الطريق أو يأتي {جَذوَة}عود غليظ مشتعل بالنار يتدفؤون بها من البرد، فلمّا وصل موسى (υ) لذلك الضوء الذي رآه، وتلقى النداء المباشر من الله (Y)، ولا نعلم الكيفية والطريقة التي تلقى بها النداء، وكلم الله (I) موسى (υ) في البقعة المباركة، وأوحى إليه بالرسالة وصار نبياً مرسلا[347].

بمقارنة ما ورد في سورة النمل مع ما ورد في سورة القَصَص حول قصة موسى (υ) نلاحظ بعض الاختلاف في الألفاظ مثل:

{فَلَمَّا جَاءَهَا}،{لَمَّا أَتَىٰهَا}، في سورة النمل وصل وأصبح قريباً وأصبح الخطاب مباشراً وتلقى الرسالة من الله في هذا الموقف أي بمعنى وصل إليها، وفي

---

[344] سورة القَصَص: 28 \ 29-32

[345] زند: الزَّنْدُ والزَّنْدَةُ: خَشَبَتَانِ يُسْتَقْدَحُ بِهِمَا، فَالسُّفْلَى زَنْدَةٌ والأَعلى زَنْدٌ؛ الزَّنْدُ الْعُودُ الأَعلى الَّذِي يُقْتَدَحُ بِهِ النَّارُ، وَالْجَمْعُ أَزْنُدٌ وأَزْنادٌ وزُنودٌ وزِنادٌ، وأَزانِدُ جَمْعُ الْجَمْعِ. ابن منظور: لسان العرب: (195/3).

[346] الطبري: تفسير الطبري: (157/2-159).

[347] ابن كثير، تفسير ابن كثير: (234/6)؛ سيد قطب: في ظلال القرآن: ( )؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (112/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (570/19).

سور القصص ما إن لاح لموسى (ט) من بعيد وقبل أن يصل تلقّى التعليمات وآداب المقابلة فهو لم يصل بعد[348].

{إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ}،{إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ} بضمير عائد إلى الجلالة هنالك، وضمير الشأن هنا وهما متساويان في الموقع لأن ضمير الجلالة شأنه عظيم. {ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ}،{ رَبُّ ٱلعَٰلَمِينَ} يقتضي أن الأوصاف الثلاثة قيلت له حينئذ. والقول في نكتة تقديم صفة الله تعالى قبل إصدار أمره له بإلقاء العصا كالقول الذي تقدم في سورة النمل لأن وصف رب العالمين يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له ليثبت بذلك قلب موسى من هول تلقي الرسالة.{ وَأَلقِ عَصَاكَ}،{أَن أَلقِ عَصَاكَ} وتلك المخالفة تفنن في تكرير القصة لتجدد نشاط السامع لها[349].

والزيادة في سورة القَصَص:{ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلوَادِ ٱلأَيمَنِ فِي ٱلبُقعَةِ ٱلمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ} وهو جانب الوادي وعدوته وهذا واد في سفح الطور. وشاطئه: جانبه وضفته، واختلف في قصد ٱلأَيمَنِ هل هو يمين موسى أم يمين الجبل أم يمين الشجرة؟[350].

وصف الشاطئ بالأيمن، قد يكون الأيمن بمعنى المتصف باليمن والبركة ضد الأشأم، أو قد يكون حمل الأيمن على أنه ضد الأيسر فهو أيمن بإعتبار أنه واقع على يمين المستقبل القبلة على طريقة العرب من جعل القبلة هي الجهة الأصلية لضبط الواقع وهم ينعتون الجهات باليمين واليسار يريدون هذا المعنى، وعلى ذلك جرى اصطلاح المسلمين في تحديد المواقع الجغرافية ومواقع الأرضين، فيكون الأيمن يعني الغربي للجبل، أي جهة مغرب الشمس من الطور، ألا ترى أنهم سموا اليمن يمنا لأنه على يمين المستقبل باب الكعبة وسموا الشام شاما لأنه على شام المستقبل لبابها، أي على شماله، فاعتبروا إستقبال الكعبة، وهذا هو الملائم لقوله تعالى:{ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلغَربِيِّ إِذ قَضَينَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمرَ وَمَا كُنتَ مِنَ

---

[348] ملتقى أهل اللغة، رابط الموقع: http://ahlalloghah.com .ت.م(28-1-2021)

[349] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (112/20).

[350] الطبري: تفسير الطبري: (570/19)؛ الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (165/8)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5526/8)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (282/13).

ٱلشَّـٰهِدِينَ}[351]، وأما جعله بمعنى الأيمن لموسى فلا يستقيم مع قوله تعالى: {وَوَٰعَدنَٰكُم جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلأَيمَن}[(352)]، فإنه لم يجر ذكر لموسى هناك، وإن حمل على أنه تفضيل من اليمن وهو البركة فهو كوصفه {بِٱلوَادِ ٱلمُقَدَّسِ}[353-354].

{يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَف إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلمُرسَلُونَ}،{ يَٰمُوسَىٰ أَقبِل وَلَا تَخَف إِنَّكَ مِنَ ٱلأٰمِنِينَ} بزيادة أَقبِل وهي تصريح بمضمون قوله {لَا تَخَف}في سورة النمل لأنه لما أدبر خوفا من الحية كان النهي عن الخوف يدل على معنى طلب إقباله فكان الكلام هنالك إيجازا وكان هنا مساواة تفننا في حكاية القصتين، وكذلك زيادة {إِنَّكَ مِنَ ٱلأٰمِنِينَ }هنا في سورة القَصَص ولم يحك في سورة النمل وهو تأكيد لمفاد {وَلَا تَخَف}، وفيه زيادة تحقيق أمنه بما دل عليه التأكيد بـإِنَّكَوجعله من جملة الآمنين فإنه أشد في تحقيق الأمن من أن يقال: إنك آمن[355].

و{وَأَدخِل يَدَكَ} {وٱسلُك يَدَكَ} لأنه ساعة يُدخِل يده في جيبه يعني: في فتحة القميص، فإنْ كانت فتحة القميص مفتوحة أدخل يده بسهولة فيُسمّى (إدخال)، وإن كانت مغلقة (فيها أزرار مثلاً) احتاج أنْ يسلك يده يعني: يُدخلها برفق ويُوسِّع لها مكاناً، فنقول: سلك الشيء يعني: أدخله بلُطْف ورِفْق، ومنه السلك الرفيع حين تُدخِله في شيء، وساعةَ نسمع كلمة (الجيب) نجد أن لها معنىً عرفياً بين الناس، ومعنى لُغوياً: فمعناها في اللغة فتحة القميص العليا، والتي تكون للرقبة، وهي في المعنى العُرْفي فتحة بداخل الثوب يضع فيها الإنسان نقوده، يقولون (جيب) والعوام لهم عُذْر في ذلك؛ لأنهم اضطروا إلى حِفْظ نقودهم داخل الثياب، حتى لا تكون ظاهرة، وربما سرقها منهم النشالون والأشقياء[356].

---

[351] سورة القَصَص: 28 \ 44.
[352] سورة طه: 20 \ 80
[353] سورة النازعات: 79 \ 16
[354] الآلوسي: روح المعاني: (280/10)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (342/10)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (113/20).
[355] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (113/20).
[356] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10749/17).

وفي قوله تعالى: { وَٱضمُم إِلَيكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهبِ} والمراد بالجناح: اليد، لأنّ يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر،{ ٱلرَّهبِ} هو الخوف، لمّا قلب الله العصا حية فزع واضطرب (υ) فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء، فقيل له: إنّ اتقاءك بيدك فيه ذلّة ومنقصة عند الأعداء. فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو ذلّة عليك، وإظهار معجزة أخرى. وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضمّ جناحه إليه. أو أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدّده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب، استعارة من فعل الطائر، لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما. وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران، وهذا تمثيل بحال الطائر إذا سكن عن الطيران أو عن الدفاع جعل كناية عن سكون اضطراب الخوف. ويكون من هنا للبدلية، أي اسكن سكون الطائر بدلا من أن تطير خوفا.[357].

وفي هذين البرهانين خُولِفَ بين العبارتين وكرَّر المعنى لإختلاف الغرضين، وذلك أنَّ الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء، وفي الثاني إخفاء الرهب. والمعنى إذا هَالَك أمر يدك وما ترى من شعاعها، فأدخِلْها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى، أو أن يَضُمَّ يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، ما من خائف بعد موسى (υ) إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه[358].

{إِنَّهُم كَانُواْ قَوما فَٰسِقِينَ} تعليل للجملة التي قبلها لتضمنها أنهم بحيث يقرعون بالبراهين فبين أن سبب ذلك تمكن الكفر من نفوسهم حتى كان كالجبلة فيهم وبه قوام قوميتهم لما يؤذن به[359].

وهكذا يعطي الله (I) لموسى (υ) دربه معه، ودرّبه حتى يواجه فرعون وسحرته والملأ جميعاً دون خوف ولا وجل، وليكون على ثقة من نصر الله وتأييده في جولته الأخيرة[360].

---

[357] الزمخشري: الكشاف: (408/3)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (114/20)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (94/20).

[358] النعماني: اللباب في علوم الكتاب: (251/15).

[359] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (112/20).

{فقَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلتُ مِنهُم نَفسا فَأَخَافُ أَن يَقتُلُونِ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفصَحُ مِنِّي لِسَانا فَأَرسِلهُ مَعِيَ رِدءا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجعَلُ لَكُمَا سُلطَٰنا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيكُمَا بِـَٔايَٰتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلغَٰلِبُونَ}[361].

خشي موسى إن بدأهم بمثل ذلك أن يقتلوه، كونه قتل منهم نفساً وكان وحيداً ولا يستطيع أن يقيم الحجة، لأن الخوف الذي كان يملأ كيان موسى (υ) من فرعون هو الذي كان يمسك لسانه عن الإنطلاق، وهذا كالإعتذار وهو يعلم أن رسالة الله لا يتخلص منها بعذر، ولكنه أراد أن يكون في أمن إلهي من أعدائه. فهذا تعريض بالدعاء، ومقدمة لطلب تأييده بهارون أخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد، وهذا سؤال صريح يدل على أن موسى (υ) لا يريد بالأول التنصل من التبليغ ولكنه أراد تأييده بأخيه، وإنما عينه بالاسم ولم يسأل مؤيدا ما لعلمه بأمانة سيدنا هارون (υ) وإخلاصه لله ولأخيه وعلم سيدنا موسى (υ) بفصاحة لسانه، فأجاب ربه طلبه إليه وأيده بأخيه هارون، وبالآيات التي معكم لا يمسكم فرعون قومه بالسوء وتكونون أنتم الغالبون[362].

{فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰت قَالُواْ مَا هَٰذَا إِلَّا سِحر مُّفتَرى وَمَا سَمِعنَا بِهَٰذَا فِي ءَابَائِنَا ٱلأَوَّلِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعلَمُ بِمَن جَاءَ بِٱلهُدَىٰ مِن عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ}[363].

لم يذكر الله (I) ما بين نداء الله إياه وبين حضوره عند فرعون من الأحداث لعدم تعلق العبرة به. فلمّا جاء موسى وهارون (عليهما السلام) فرعون بأدلة الله وحجتهما قابلهما بالتكذيب والجحد، ورماهما بالخطأ والكذب والسحر، وهذا الذي

---

[360] الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، تفسير (الشعراوي -الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، (1997م): (1/ 10916).

[361] سورة القَصَص: 28 \33-35

[362] الرازي: مفاتيح الغيب: (596/24)؛ الطبري: تفسير الطبري: (579/19)؛ النعماني: اللباب في علوم الكتاب: (253/15)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (345/10)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (116/20).

[363] سورة القَصَص: 28 \ 36-37

تدعونا إليه من عبادة مَن تدعونا إلى عبادته ما سمعنا به في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا. وجاوباه بالحجة، بأن الله (I) وحده يعلم المحق منا يا فرعون من المبطل، ومن الذي جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا، وهذه معارضة من نبيّ الله موسى (υ) لفرعون، وجميل مخاطبة، ودعاه إلى سواء المحجة، فأبى إلا الجحد، وفي الآية أسلوب أدبي رفيع من الخطاب والجدل والمناظرة، فهو لم يعلن أنه المحق وغيره المبطل الضال، وإنما ردد ذلك ليجعل للعقل في النقاش دورا في الحكم النهائي وتغليب الأصح الأصوب، وهذا كقول رسولنا الكريم (ρ) للمشركين: {إِنَّا أَو إِيَّاكُم لَعَلَىٰ هُدًى أَو فِي ضَلَٰل مُّبِين}[364]، كما أن نهاية الآية زجر لهم عن العناد الذي ظهر منهم، وإيماء بأنهم خاسرون في هذا الجدال، وسيكون لهم الخيبة والفشل في المستقبل[365].

{وَقَالَ فِرعَونُ يَـٰأَيُّهَا ٱلمَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرِي فَأَوقِد لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجعَل لِّي صَرحا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلكَٰذِبِينَ وَٱستَكبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلأَرضِ بِغَيرِ ٱلحَقِّ وَظَنُّواْ أَنَّهُم إِلَينَا لَا يُرجَعُونَ فَأَخَذنَٰهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذنَٰهُم فِي ٱليَمِّ فَٱنظُر كَيفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ}[366].

قوله تعالى: {وَقَالَ فِرعَونُ يَـٰأَيُّهَا ٱلمَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِّن إِلَٰهٍ غَيرِي وقد قال قبلها بأربعين سنة فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلأَعلَىٰ }[367]، وكذب عدو الله بل علم أن له ربا هو خالقه وخالق قومه، وهامان (وزير فرعون) أمره أن يطبخ له الآجُرّ ويبن له قصراً عالياً، والصرح كل بناءٍ متَّسع مرتفع، أصعد إليه وانظر إلى معبود موسى، الذي يعبده، ويدعو إلى عبادته وأُشْرِفُ عليه، وَإِنِّي لأشك بأن موسى مِنَ الْكاذِبِينَ في ادِّعائه من أن له معبودا يعبده في السماء، وأنه هو الذي يؤيده وينصره، إلهاً غيري،

---

[364] سورة سبأ: 34 \ 24

[365] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (118/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (579/19-580)؛ القشيري: لطائف الإشارات، (68/3)؛ الثعلبي: الكشف والبيان: (250/7)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (288/13)؛ ابن الجوزي: زاد الميسر: (384/3)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (104/20).

[366] سورة القَصَص : 28 \ 38-40

[367] سورة النازعات: 79 \ 24

بل موسى من الكاذبين، تكبّر فرعون وجنوده في أرض مصر، والتكبّر هو ألَا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرًا، فكذّبوا بموسى (υ) واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية لفرعون بغير الحقّ، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة، فأغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحد، فانظر أيها المتأمل في قدرة الله وعظمته وآياته كيف كان مصير هؤلاء الظالمين الذي ظلموا أنفسهم، وكفروا بربهم، وادعى كبيرهم الألوهية من دون الله، وهذه الآية من الكلام المفحم الذي يدل على عظمة الله (I) وشأنه وكبرياء سلطانه، شبههم - استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم-وإن كانوا الجم الغفير- كحصيات أخذهن آخذ في كفه وطرحهُنَّ في البحر، وليس الغرض منها إلا تصوير أنَّ كلَّ مقدور وإن عظم فهو حقير بالنسبة إلى قدرته[368].

{وَجَعَلنَٰهُم أَئِمَّة يَدعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَومَ ٱلقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ وَأَتبَعنَٰهُم فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنيَا لَعنَة وَيَومَ ٱلقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلمَقبُوحِينَ وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ مِن بَعدِ مَا أَهلَكنَا ٱلقُرُونَ ٱلأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدى وَرَحمَة لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ}[369].

أي وجعلنا فرعون وأشراف قومه قادة ضلال في تكذيب الرسل وإنكار وجود الإله الصانع، لا لشرف لهم جعلهم أئمة ولكن لسبب كفرهم، قدمهم في الخزي والهوان على كل أمة، ولكن لم يرشدوا إلا إلى الضلال. ولم يدلوا الخلق إلا على المحال، وما حصلوا إلا على سوء الحال، وما ذاقوا إلا خزى الوبال، فلم يكتفوا بضلال أنفسهم، بل قاموا بإضلال غيرهم، فاستحقوا جزاءين: جزاء الضلال والإضلال، ولا أمل لهم في النجاة ونصرة الشفعاء، فهم يوم القيامة لا نصير ولا شفيع لهم ينصرهم من بأس الله ويدفع عنهم عذاب الله، فاجتمع عليهم خزي الدنيا وذل الآخرة أي وألزمناهم بصفة دائمة في الدنيا لعنة وخزيا وغضبا على ألسنة

---

[368] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (118/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (580/19)؛ الزجاج: معاني القرآن: (145/4)؛ الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (170/8)؛ النعماني: اللباب في علوم الكتاب: (260/15)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (288/13)؛ ابن الجوزي: زاد الميسر: (384/3).

[369] سورة القَصَص: 28 \ 41-43.

المؤمنين والأنبياء المرسلين، كما أنهم يوم القيامة من المطرودين المبعدين عن رحمة الله وأما موسى (υ) وجند الإيمان بعد إغراق فرعون وقومه، فلهم نور التوراة، فقد أنعم الله على عبده ورسوله موسى (υ) الكليم بإنزال التوراة بعد ما أهلك فرعون وقومه ومن تقدمهم من قوم نوح وهود وصالح ولوط، ليكون ذلك الكتاب مصدر إشعاع للحياة وأنوارا للقلوب، يميز به بين الحق والباطل، وهداية من الضلال والعمى، ورحمة لمن آمن به، وإرشادا إلى العمل الصالح، لعل الناس يتذكرون به ويتعظون، ويهتدون بسببه[370].

عن ابي سعيد الخدري عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **(مَا أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا، وَلَا قَرْنًا، وَلَا أُمَّةً، وَلَا أَهْلَ قَرْيَةٍ مُنْذُ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ غَيْرَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الَّتِي مُسِخَتْ قِرَدَةً أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:** وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ مِن بَعدِ مَا أَهلَكنَا ٱلقُرُونَ ٱلأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدى وَرَحمَة لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ)[371].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. محل العبرة من هذا الجزء من القصة التنبيه إلى أن الرسالة فيض من الله على من اصطفاه من عباده وأن رسالة محمد (ρ) كرسالة موسى جاءته بغتة فنودي محمد (ρ) في غار جبل حراء كما نودي موسى (υ) في جانب جبل الطور، وأنه اعتراه من الخوف مثل ما اعترى موسى (υ)، وأن الله ثبته (ρ) كما ثبت موسى (υ)، وأن الله يكفيه أعداءه (ρ) كما كفى موسى (υ) أعداءه[372].

---

[370] الزحيلي: التفسير المنير: (109/20-110)؛ الطبري: تفسير الطبري: (583/19)؛ الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (171/8)؛ القشيري: لطائف الإشارات: (69/3)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (290/13).

[371] الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، (المستدرك على الصحيحين)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (1990م): باب: تفسير سورة القَصَص، رقم الحديث (3534): (442/2).

[372] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (118/20).

2. يَسْتَدِلُّ من آية {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلأَجَلَ} عَلَى أَنَّ لِلزَّوْجِ أَنْ يُسَافِرَ بِامْرَأَتِهِ وَيَنْقُلَهَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ وَيُفَرِّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَبَوَيْهَا[373].
3. كان لترائي النار استدعاء من رب الكون لمائدة تكليم رب العزة وإيتائه النبوة والرسالة، وهنيئا لموسى (υ) بتلك الدعوة التي هي أكرم وأشرف دعوة على الإطلاق، إذ صار بضيافتها كليم الله، ورسول رب العالمين إلى عظيم الطغاة فرعون وحاشيته.
4. ناداه ربه بكلام لطيف في بقعة مباركة من شاطئ الوادي المقدس الأيمن، وكان مطلع النداء التعريف بالمنادي، ونفي الربوبية لغيره (I)[374].
5. بيان أن القصاص كان معروفا معمولا به عند أقدم الأمم، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية.
6. مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين.
7. مشروعية التلطف في خطاب الجبابرة وإلانة القول لهم، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يجهد عليه بالإغلاظ له[375].
8. ضرورة التسلح بمختلف القوى المادية والمعنوية عند لقاء العدو، فقد طلب موسى (υ) من ربه تأييده بأخيه هارون (υ)، ليكون له عونا ووزيرا، ومدافعا ومبينا حجج الله وبيّناته في دعوة فرعون وقومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فإنه إذا لم يكن له وزير ولا معين لا يكادون يفقهون عنه، وربما تعرّض لأذى، فيدفعه عنه.
9. إن السؤال المنطقي والدعاء المناسب للحال مستجاب متحقق، نتلمس ذلك في إجابة الله (Y) لطلب موسى (υ).

---

[373] الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: 370هـ)، (أحكام القرآن)، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1405هـ): (5/214-215).
[374] الزحيلي: التفسير المنير: (20/98).
[375] الجزائري: أيسر التفاسير: (4/73).

10. لقد أعمى فرعون وقومه إدراك الحق، فتمسكوا بالمكابرة والعناد، واعتصموا بتقليد الآباء والأسلاف الذي لا حجة ولا دليل عليه، وهذا مذموم عقلا وعادة، لذا قالوا: ما هذه المعجزات إلا سحر مكذوب مفترى، ولم نسمع بدعوة التوحيد والتخلي عن الإشراك في التاريخ الغابر، ولا قيمة لتلك الحجج العقلية التي أوردها موسى لإثبات توحيد الله تعالى.
11. لا بد من استعمال الحكمة في الإجابة والجدال والمناظرة للسلاطين والحكام الجبابرة، كفرعون الطاغية، توقيا من الأذى، وتأملا في اللين، والإذعان للحق، لذا كان جواب موسى حكيما حين أعلن أن الله أعلم بمن جاء بالرشاد من عنده سبحانه، ومن المستحق لدار الجزاء، وإنه لا يظفر الظالمون أنفسهم بالشرك والكفر والمعصية بشيء عند الله وفي الآخرة[376].
12. الأنبياء أوفياء فموسى (υ) قضى أوفى الأجلين وأتمها وهو العشر.
13. فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى (υ) وهي من جبل الطور.
14. مشروعية حمل العصا لا سيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها.
15. مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.
16. لا يلام على الخوف الطبيعي.
17. من خاف، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى.
18. التنديد بالفسق وأهله[377].

[376] الزحيلي: التفسير المنير: (105/20).
[377] الجزائري: أيسر التفاسير: (71/4).

## 3. الفصل الثالث: المقاصد القرآنية في ضرورة البعثة المحمدية:

عرضنا في الفصل السابق الصراع الأمد بين الفئة المؤمنة موسى (υ) ومن تبعه وبين الفئة الكافرة فرعون وأعوانه، فكان موسى وأعوانه في ذلك الوقت خير الناس، واصطفاهم الله (I) لحمل الرسالة الجديدة، وانتصار الحق وزهق الباطل، والأخبار الذي أخبرنا الله به في قصة موسى (υ) لا يقدر أحد من البشر أن يسرد تفاصيله إلّا من شاهدها وكان حاضراً في أحداثها، وسنتكلم في هذا الفصل على دعوة نبينا محمد (ρ) الصادق المصدوق الذي جاءه الوحي بقصة موسى (υ) التي لا تختلف كثيراً عما تعرض له (ρ) والمؤمنين من اضطهاد المشركين، واستكبار وطغيان المشركين ومن تحالف معهم واتهامهم للرسول (ρ) بالكذب والسحر والجنون، وكأن القرآن الكريم يخاطب قريش إن بقيتم على الباطل فمصيركم مثل مصير فرعون وجنوده.

وحسب ما تقتضيه الآيات الآتية م

ن السورة تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، تناول المبحث الأول الربط بين قصة سيدنا موسى (υ) بحياة النبي محمد (ρ) وأصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) والمقاصد القرآنية في ذلك، وتناول المبحث الثاني تناول المقاصد القرآنية في حال أهل الكتاب في ذلك الوقت تجاه الإسلام.

### 1.3. المبحث الأول: المقاصد القرآنية في ربط قصة موسى (υ) بحياة النبي (ρ):

إن نزول قصة موسى (υ) في هذه السورة وفي الوقت الذي نزلت به في نهاية العهد المكي وبيان أن سيرة سيدنا موسى (υ) لا تختلف كثيراً عن سيرة رسولنا الكريم (ρ)، فكما أن سيدنا موسى (υ) تلقى الرسالة في جبل الطور وحيداً، تلقى سيدنا محمد (ρ) الرسالة في غار حراء في أعلى الجبل، وأخرج سيدنا موسى (υ) من مدينته إلى مدين، ورسولنا أخرج من مكة إلى المدينة، وتكذيب قوم فرعون

من موسى (υ) والسخرية منه، كذلك تكذيب المشركين لرسولنا الكريم والسخرية منه. وسنتناول في هذا المبحث مقاصد القرآن الكريم في الآيات التالية لقصة موسى (υ) وما فيها من دلائل على نبوة محمد (ρ).

تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين، تناول المطلب الأول المقصد القرآني في بيان أو الوحي من عند الله (I)، وتناول المطلب الثاني المقاصد القرآنية في عناد كفار مكة ومجادلتهم للنبي (ρ).

### 1.1.3. المطلب الأول: المقصد القرآني في بيان أن الوحي من عند الله (I):

قال تعالى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلغَربِيِّ إِذ قَضَينَا إِلَىٰ مُوسَى ٱلأَمرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ وَلَٰكِنَّا أَنشَأنَا قُرُونا فَتَطَاوَلَ عَلَيهِمُ ٱلعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيا فِي أَهلِ مَدينَ تَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذ نَادَينَا وَلَٰكِن رَّحمَة مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوما مَّا أَتَـٰهُم مِّن نَّذِير مِّن قَبلِكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ}[378].

لما بطلت شبهة المشركين التي حاولوا بها تكذيب رسالة محمد (ρ) بنقل الكلام إلى إثبات رسالته (ρ) بالحجة الدامغة وذلك بما أعلمه الله به من أخبار رسالة موسى (υ) مما لا قبل له بعلمه (ρ) لولا أن كان ذلك وحي إليه من الله (I). فهذا تخلص من الاعتبار بدلالة الالتزام في قصة موسى (υ) إلى الصريح من إثبات نبوة محمد (ρ).

وجاء في الإستدلال بطريقة الإنتفاء كون النبي (ρ) كان موجودا في المكان الذي قضى الله (I) فيه أمر الوحي إلى موسى (υ)، لينتقل منه إلى أن مثله ما كان يعمل ذلك إلا عن مشاهدة لأن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه إذ لم يكونوا أهل معرفة بأخبار الرسل كما كان أهل الكتاب، فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله تعين أن طريق علمه هو إخبار الله (I) إياه بخبر موسى (υ). ولما كان قوله {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلغَربِيِّ} نفيا لوجوده (ρ) هناك وحضوره تعين أن يكون من الشاهدين، أي من عنده الخبر اليقين، والذين هم علماء بني إسرائيل كونهم الذين

---

[378] سورة القَصَص: 28 \44-46.

أشهدهم الله على التوراة وما فيها، ونرى أن الله (I) ذمهم بكتمهم بعض ما تضمنته التوراة من البشارة بالنبي (ρ) بقوله: {وَمَن أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ}[379]. والمعنى ما كنت من أهل ذلك الزمن ولا ممن تلقى أخبار ذلك بالخبر اليقين المتواتر من كتبهم يومئذ فتعين أن طريق علمك بذلك وحي الله (I). والأمر المقضي: هو أمر النبوة لموسى (υ)[380]. والجانب الغربي هو الذي ذكرنا سابقاً بوصف شاطئ الواد الأيمن في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل السابق.

وأنشأ الله (I) أمما مختلفة من بعد موسى (υ) فبعد بهم الأمد وطال عمرهم، ونسوا العهود، وحرّفت الأخبار، وتغيرت الشرائع، وانقرضت العلوم، وانقطع الوحي، وما كنت يا محمد (ρ) مقيما، في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا التي فيها قصتهم، فتخبر بها بعد معرفتها، ولكننا أرسلناك بالرسالة المتضمنة أخبار المتقدمين[381].

جاءت هذه الآيات تأكيداً لرسالة الرسول (ρ) وإنما تلقى هذا القرآن الذي بين يديه وحيا من الله (I) فهو (ρ) لم يكن حاضراً مناداة الحق (I) وتعالى لموسى (υ) وهو بجانب الطور، حتى ينقل إلى الناس هذا الحديث الذي يحدثهم به، ويقصه عليهم من أمر موسى (υ) ولكن هذا الذي بين يديه هو رحمة من الله (I) إلى هؤلاء المشركين، الذين بعث الله نبياً فيهم، إذ لم يأتهم رسول من قبله، كما أتى غيرهم من الأمم، فليذكروا هذه النعمة، وليأخذوا حظهم منها، وليكن لهم فيها موعظة وذكرى[382].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. الآيات تقر بالنبوة لسيدنا محمد (ρ) بأقوى الأدلة العقلية، وتنبيه على المعجزة، إذ الإخبار عن قصة مضى عليها مئات السنوات، دون مشاهدة ولا حضور لأحداثها، دليل واضح على نبوة المخبر.

---

[379] سورة البقرة: 28 \ 140
[380] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (129/20).
[381] الزحيلي: التفسير المنير: (113/20).
[382] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (354/10).

2. إن الله (I) علم محمد (ρ) وأخبره الأخبار وأنزل عليه القرآن، وأرسله رحمة مهداة للعباد المرسل إليهم، لينذر قوما هم العرب لم ينذروا قبل.
3. إن بأس الله (Ψ) وعذابه نازل على الكفار إن لم يؤمنوا به، ويبقوا على وثنيتهم وضلالهم، فجاءهم بهذه الآيات لعلهم يهتدون بها، فيصيروا من أهل السعادة.
4. بعثة الرسول محمد (ρ) جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها.
5. البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين[383].

### 2.1.3. المطلب الثاني: عناد كفار مكة ومجادلتهم للنبي (ρ):

يبعث الله (I) الرسل والأنبياء إلى الخلائق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويدعوهم إلى عبادة الله، والهداية إلى الطريق الصحيح، فمنهم من يهتدي ومنهم من يكابر ويتعنت ويطلب طلبات خارقة[(384)]، ولكثرة طلبات المشركين التي طلبوها من الرسول (ρ) قمنا بتقسيم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع عن كيفية عنادهم لرسول الله (ρ) وكما يلي:

#### 1.2.1.3. أولاً: العناد:

{لَولَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَت أَيدِيهِم فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَولَا أَرسَلتَ إِلَينَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلمُؤمِنِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلحَقُّ مِن عِندِنَا قَالُواْ لَولَا أُوتِيَ مِثلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَم يَكفُرُواْ بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبلُ قَالُواْ سِحرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُواْ إِنَّا بِكُلّ كَٰفِرُونَ قُل فَأتُواْ بِكِتَٰب مِّن عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهدَىٰ مِنهُمَا أَتَّبِعهُ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ}[385].

من طبيعة الناس ومنهم العرب إذا أصابتهم مصيبة العذاب على كفرهم وخص الأيدي بالذكر، لأن الغالب من الكسب إنما يقع بها: يقولوا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبين لنا صحة الإعتقاد أو التوحيد، فنؤمن بك رباً واحداً، ونعمل

---

[383] الزحيلي: التفسير المنير: (114/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (79/4).
[384] حطيبة، تفسير أحمد حطيبة: (12/173).
[385] سورة القَصَص: 28 \ 47-49.

بشريعتك، ونتبع كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك، ولذلك بعثناك يا محمد رسولاً نذيراً تقيم عليهم الحجة، وتبلغهم رسالة الله (Y) في العقيدة والأخلاق ودستور الحياة، وتقطع عذرهم وتبطل حجتهم بأنه لم يأتهم رسول ولا نذير، كما قال تعالى: { رُّسُلا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُ بَعدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيما}[386]، وقال (I): {أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ ٱلكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَينِ مِن قَبلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِم لَغَٰفِلِين أَو تَقُولُواْ لَو أَنَّا أُنزِلَ عَلَينَا ٱلكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهدَى مِنهُم}[387]، وهذا كله من رحمة الله بعباده ألا يعذب إنسانا إلا من بعد أن يبين له، ولا يعاقب إلا بعد أن يكلف وأن يرسل رسولاً[388].

فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك إليهم نذيرا بالرسالة من الله إليهم، قالوا تمرّدًا أي كفار مكة على الله، وتماديا في الغيّ: هلا أوتي هذا الذي أرسل إلينا، مثل ما أوتي موسى بن عمران من الكتاب من العصا واليد البيضاء، وأنزل عليه القرآن جملة واحدة كالتوراة؟ يجاوبهم الله تبارك وتعالى عن طريق نبيه محمد (ρ): بأن يقول لهم أي لكفار قريش، أَوَ لم يكفر الذين علّموكم هذه الحجة من اليهود بما أوتي موسى منْ قبل. فقالوا ساحران أي موسى (υ) ومحمد (ρ) تعاونا على السحر. أو أن المقصود هم اليهود حين قالوا في موسى وهارون أنهما ساحرين، وقالوا سواءً اليهود أم المشركين إنا كافرون بهم جميعاً[389].

فإن كانوا يستطيعون أن يأتوا بكتاب آخر غير كتابي موسى (υ) ومحمد (ρ)، فليأتوا به، وما أنزل القرآن منجمًا إلا لتجديد الذكرى والعبرة، فقل لهم يا محمد: هاتوا كتاب من عند الله يهدي البشر من غير التوراة والقرآن، فأتبعه إن كنتم صادقين فيما تقولون أو تدّعون، وتدافعون به الحق، وتعارضون به من الباطل، وهذا دليل على عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، وهو مبالغة في التعجيز لأنه إذا وعدهم اتباع ما

---

[386] سورة النساء: 4 \ 165

[387] سورة الأنعام: 6 \ 156-157

[388] الزحيلي: التفسير المنير: (116/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (587/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (293/13)

[389] الطبري: تفسير الطبري: (590/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (294/13)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (80/4).

يأتون به فسوف يتبعه أنفسهم وهذا مما يحفزهم على الإتيان بكتاب أهدى من كتابه إن قدروا فإن لم يفعلوه فقد وقع عليهم الحق وغلبوا وكان ذلك دليلاً على عجزهم، وليس لهم سبيل ولا لغيرهم أن يأتوا بمثل التوراة والقرآن، فإنه ما أنزل على العالم منذ خلقه الله (Y)، مثل هذين الكتابين، علما وهدى، وبيانا، ورحمة للخلق، وهذا من كمال الإنصاف من الداعي أن قال: غايتي الحق والهدى والرشد، وقد أنزل الله (Y) عليّ هذا الكتاب المشتمل على ذلك، الموافق لكتاب موسى (υ)، الذي يجب علينا جميعا أن نتبعهما فإن جئتموني بكتاب من عند الله (Y) هو أهدى منهما اتبعته، وإن لم تأتوني فلا أترك الهدى والحق لغير هدى وحق[390].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. إن الإشراك ليس فيه عذر لصاحبه لأن توحيد الله (I) قد دعي إليه الأنبياء والرسل من عهد آدم (υ) بحيث لا يعذر بجهله عاقل فإن الله (Y) قد وضعه في الفطرة إذ أخذ عهده به على ذرية آدم (υ) كما أشار إليه قوله تعالى:{وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَأَشهَدَهُم عَلَىٰ أَنفُسِهِم أَلَستُ بِرَبِّكُم قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدنَا أَن تَقُولُواْ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَٰذَا غَٰفِلِينَ}[391].
2. من رأفة الله (I) بعباده إذا طالت السنون وانقرضت القرون وصار الناس مظنة الغفلة يتعهدهم ببعثة الرسل للتذكير بما في الفطرة وليشرعوا لهم ما به صلاح الأمة[392].
3. الله (I) قد حكم بأن لا يعاقب عبدًا إلا بعد أن يكمل له البيان والحجة وبعثة الرسل[393].
4. مشركي مكة ومشركي القبط يجمع بينهما الشرك فتظهر أصول تفكيرهم واحدة وتتحد ضعف حجتهم، فإن القبط أقدم من مشركي مكة في دين الشرك

---

[390] الزحيلي: التفسير المنير: (120/20)؛ السعدي: تيسير الكريم الرحمن: (617)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (140/20).
[391] سورة الأعراف: 7 \ 172.
[392] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (136/20).
[393] القرطبي: تفسير القرطبي: (293/13).

فهم أصول فيه والفرع يتبع أصله ويقول بقوله، كما قال تعالى: { كَذَٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَو مَجنُونٌ}[394]، أي متماثلون في سبب الكفر والطغيان فلا يحتاج بعضهم إلى وصية بعض بأصول الكفر[395].

5. خطة الكفار في كل زمان واحدة، صفتهم المكابرة والإنكار والعناد، وطلب المعجزات المادية المحسوسة، فبالرغم من حدوثها أمامهم يكذبوها لأن المكذب بمعجزة واحدة مكذب بكل المعجزات.
6. حجة الكفار في تكذيب كتب الله ورسله واحدة، فسرعان ما يدعون أن تلك الكتب سحر مختلق، وأولئك الرسل ما هم إلّا سحرة مبطلون، بل إنهم متواطئون على السحر والتدجيل.
7. من يعاند ويتحدى الله (I) يتحداه الله (Y) بأمر لا يطيقه حتى يقهره ويقيم عليه الحجة، ظهر هذا واضحاً بتحدي الله (Ψ) للمشركين بأن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة والقرآن[(396)].
8. الذين استجابوا للرسول (ρ) اتبعوا الهدى، والذين لم يستجيبوا له اتبعوا الهوى، قال تعالى: {وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلَٰمِ دِينا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي ٱلأخِرَةِ مِنَ ٱلخَٰسِرِينَ}[397].
9. إلزام الحجة على من تبلغه الموعظة والبراهين ولم ينصر الحق على الباطل.
10. من كفر وأشرك فقد ظلم نفسه، ويحرم التوفيق من الله (Y).
11. قوة حجة النبي (ρ) بتحديهم بأن يأتوا بكتاب أهدى من التوراة والقرآن، كونه متأكد بعدم استطاعتهم ولو بذلوا بذلك أموالهم وأنفسهم[398].

---

[394] سورة الذاريات: 51 \ 52
[395] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (138/20).
[396] الزحيلي: التفسير المنير: (120/20).
[397] سورة آل عمران: 3 \ 85.
[398] السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)، (تفسير القرآن)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط 1، (1997م): (146/4).

### 2.2.1.3. ثانياً: اتباع الأهواء والظلم:

{فَإِن لَّم يَستَجِيبُواْ لَكَ فَٱعلَم أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهوَاءَهُم وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيرِ هُدى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهدِي ٱلقَومَ ٱلظَّٰلِمِينَ}[399].

فإن لم يأتوك يا محمد بكتاب أهدى من التوراة والقرآن فكن على علم بأنهم يتبعون أهواءهم ولو اتبعوا حجة لأتوا بها. ومن أكثر ضلالاً ممن اتبع ما تهوى نفسه (هذا استفهام بمعنى النفي)، وانقاد لشهواته بغير حجة مأخوذة من كتاب الله، وعلى غير هدى من الله تأكيد أن لاتباع النفس بغير هدى، فإن هوى النفس قد يوافق الحق. والله لا يوفق للحق والرشاد القوم الذين ظلموا أنفسهم بالإنهماك في اتباع الهوى والشرك والعصيان وتكذيب الرسل[400].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. أنزل هذا القرآن ليهدي الناس، فمن كفر به هو من أهل الضلال والأهواء، يتبع ما تملي عليه شهواته وآراؤه الخاصة وشياطينه، دون حجة له ولا دليل.
2. الذي يسير مع هواه هو أضل الناس، وهو ظالم لنفسه، والله لا يوفق الظالمين للخير، وهداية الله تعالى خاصة بالمؤمنين[401].
3. تناقض المشركين واختلافهم وهذا حال كل من يسير مع الهوى ويترك الهدى الإلهي[402].

### 3.2.1.3. ثالثاً: لابد من توصيل القول إلى المشركين:

{وَلَقَد وَصَّلنَا لَهُمُ ٱلقَولَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ}[403].

التوصيل معناه المبالغة في الوصل، والوصل هو ضم بعض الشيء إلى بعض مثل وصل الحبل إذا ضم قطعه بعضها إلى بعض فصار حبلا، أي أتممنا

---

[399] سورة القَصَص: 28 \ 50

[400] البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685هـ)، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، (1418هـ): (180/4)؛ الطبري: تفسير الطبري: (592/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (295/13)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (120/20).

[401] الزحيلي: التفسير المنير: (122/20).

[402] الجزائري: أيسر التفاسير: (82/4).

[403] سورة القَصَص: 28 \ 51

كصلتك الشيء، وله أحوال كثيرة فهو للقرآن الكريم بإعتبار ألفاظه فقد وصل بعضه ببعض ولم ينزل جملة واحدة، فهو عبارة عن نصائح وإرشادات يعقب بعضها بعضا وينتقل من أسلوب إلى أسلوب وفي كل ذلك ليعين نشاط الذهن للتذكر والتدبر، فإن المشركين جهلوا حكمة الله (I) في نزول القرآن منجماً التي جاءت هنا بما ترجع الفائدة إليهم عسى أن يتدبروا[404].

ومجمل المعنى أن الله (I) وصل لقريش ولليهود من بني إسرائيل القول بما مضى من أخبار الذي مضوا وعما أحللنا للذين كذبوا من بأس، وعما نحن فاعلون بمن يعمل بعملهم، ويحتذي بهم في الكفر بالله، وتكذيب الرسل، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا، فبلغنا الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأن الآخرة أمام أعينهم، وشهدوها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهها. والله (I) منجزهم ما وعدهم في الآخرة كما أنجز للأنبياء ما وعدهم[405].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. تتابع إنزال الكتب من عند الله، وإرسال الرسل، وأخبار الأنبياء بعضها ببعض، كتابا بعد كتاب، ورسولاً بعد رسول، وخبراً بعد خبر، وتتابع أيضا نزول القرآن منجمًا مقسطًا بحسب الوقائع والمناسبات، وعلى وفق الحكمة والمصلحة، ليستمر صوت التذكير والتنبيه، وتتجدد الدعوة إلى الإيمان حالاً بعد حال، وزمانًا إثر زمان.
2. خلد الله صوت الحق الإلهي بهذا القرآن، وجعله ذكرى متجددة دائمة للأجيال، بما له من الصون والحفظ عن التغيير والتبديل، والتحريف والتصحيف، وبما اشتمل عليه من التنوع في الأسلوب والخطاب وعدًا ووعيدًا، وقصصًا وعبراً، ونصائح ومواعظ، إرادة أن يتذكر الناس به فيؤمنوا به ويعملوا بموجبه، فيفلحوا، ويقلعوا عن اتباع الأديان الباطلة المنسوخة، وعن الأهواء والشهوات

[404] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (142/20)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (295/13).
[405] الطبري: تفسير الطبري: (595/19).

البائدة الفارغة، والوثنية البدائية المنافية لكرامة الإنسان، والمصادمة للعقل البشري السوي[406].

3. الله (I) بلغ القول لأهل مكة مفصلا مبينًا لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم[407].

## 2.3. المبحث الثاني: المقاصد القرآنية في بيان حال أهل الكتاب تجاه الإسلام:

بعد أن انتهينا في المباحث السابقة من قصة موسى (υ) وما فيها من افتراءات وتكذيب من المشركين لرسول الله موسى (υ)، وما قابله من افتراءات وتكذيب من قبل مشركي مكة وأهل الكتاب في ذلك الوقت وهم اليهود، للرسول الكريم (ρ)، نستعرض في هذا المبحث ما تأخذنا به الآيات لفريق من أهل الكتاب نيتهم خالصة لله وطبعهم الإستقامة حول طريقة استقبالهم للقرآن الكريم وأن إيمانهم بمحمد (ρ) جاء عن إقتناع تام بصدق وصحة ما أنزل عليه، فقد قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين: الأول: عن المقاصد القرآنية في بيان حال أهل الكتاب تجاه الإسلام، والمطلب الثاني: المقاصد القرآنية في بيان السنن الإلهية في الهداية.

### 1.2.3. المطلب الأول: المقاصد القرآنية في بيان حال أهل الكتاب المخلصين:

في هذه الآيات القادمة يبين الله (Y) نماذج من أصحاب النفوس الطيبة التي تلقت القرآن الكريم بصدق وإخلاص، فنزلت الآيات تصف وتمدح فيهم، وعليه فقد قسمنا هذا المطلب إلى عدة فروع حسب الوصف القرآني لهم وكما يلي:

#### 1.1.2.3. أولاً: التسليم لله (I):

{ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ}[408].

ذكرنا في المطلب الأول من المبحث الثاني في الفصل الأول أن سورة القَصَص مكية إلّا هذه الآيات من (52-54) نزلت في المدينة.

---

[406] الزحيلي: التفسير المنير: (122/20).
[407] الجزائري: أيسر التفاسير: (82/4).
[408] سورة القَصَص: 28 \ 52-53.

ذكر المفسرون[409] عدة أسباب لنزول هذه الآيات منها: أنها نزلت في نفر من النصارى قدموا مع جعفر بن أبي طالب (τ)[410] بعثهم النبي (ρ) الى النجاشيّ ، وقيل: أنها نزلت في عبد الله بن سلام (τ)[411] وأصحابه الذين أسلموا من اليهود، وعلى العموم فإنهم يكونون بعض اليهود والنصارى، من الذين أسلموا، وعرفوا أن الذي جاء به محمد (ρ) هو الحق من الله (I)، وأن هذا الرسول هو الذي كانوا ينتظرونه، والذي بشرت به التوراة والإنجيل[412].

والآيات الكريمة تمدح قوما من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) أسلموا، وتعرض بالمشركين الذين أعرضوا عن دعوة الإسلام، مع أن في اتباعها سعادتهم ورشدهم. وهم الذين أنزلنا عليهم الكتاب (التوراة والإنجيل) قبل نزول القرآن الكريم على النبي (ρ)، ومعنى الآيات إن الذين أسلموا من الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول القرآن عليك -أيها الرسول الكريم- آمنوا بالقرآن الكريم، لأنهم رأوا فيه من الحق الذي لا باطل معه، ومن الهداية التي لا تشوبها الضلالة، وإذا يُقرأ عليهم هذا القرآن يقولون بفرح وسرور نؤمن بأنه كلام الله (Ψ) إنه الكتاب المشتمل على الحق الكائن من عند ربنا وخالقنا وكنا قبل نزوله قد اسلمنا وجوهنا لله (Y) وأخلصنا له العبادة، فكانوا مقرين بنبوة النبي محمد (ρ) قبل نزول القرآن[413].

إن الفرق بين الاستئنافين إِنَّهُ وإِنَّا له سببان: الأول التعليل بالإيمان به، كونه حقا من الله (Y) حريٌ بأن يؤمن به. والثاني: بيان أن يكون إيمان قريب العهد

---

[409] القرطبي: تفسير القرطبي: (279/13)؛ الماوردي: النكت والعيون: (257/4)؛ الآلوسي: روح المعاني: (301/10)؛ المراغي: تفسير المراغي: (71/20).

[410] جعفر بن أبي طالب: ابن عم رَسُول اللَّهِ (ρ) وأخو علي بْن أَبِي طالب لأبويه، وهو جَعْفَر الطيار، وكان أشبه الناس برسول الله (ρ) خلقًا وخلْقا، أسلم بعد إسلام أخيه علي بقليل. هاجر إلى الحبشة وقدم المدينة عند فتح خيبر. الجزري: أسد الغابة: (541/1).

[411] عبدالله بن سلام: بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي حليف الأنصار أسلم وصحب النبي (ρ) وشهد له بالجنة وروى عنه أحاديث، وشهد مع عمر بن الخطاب الجابية وفتح بيت المقدس. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ)، (تاريخ دمشق)، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1995م): رقم الترجمة: (3334): (97/29).

[412] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (362/10).

[413] القرطبي: تفسير القرطبي: (279/13)؛ طنطاوي: التفسير الوسيط: (420/10)؛ الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط 1، (1415هـ): 821.

وبعيده، فبينوا أن إيمانهم به متقادم، لأن آباءهم وأبناءهم من بعدهم القدماء قرأوا في الكتب الأولى ذكره[414].

وضمير مِن قَبلِهِۦ عائد إلى الآية التي قبلها وَلَقَد وَصَّلنَا لَهُمُ ٱلقَولَ أي هؤلاء أهل الكتاب الذين آمنوا يوقنون بخلاف هؤلاء الذين وصلنا لهم القول، وللدلالة على استمرار إيمانهم وتجدده جاء الإسناد بالفعل المضارع، وأما استعمال الفعل ءَامَنَّا في زمن الماضي مع أن زمن سماعهم القرآن في الحاضر فيدل على أنهم آمنوا من قبل بأنه سيجيئ رسول من عند الله معه كتاب مصدق لما بين يديه[415].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب هم الذين تنفع شهادتهم، ويسمع لقولهم، لأن ما يقولونه صادر عن علم وبصيرة، كونهم أصحاب إيمان وأهل الكتب.
2. إيمان هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب حجة على غيرهم من الذين كذبوا.
3. الذين كذّبوا بالقرآن من أهل الكتاب نقضوا إيمانهم بالكتب السابقة للقرآن[416].
4. بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين[417].

### 2.1.2.3. ثانياً: الصبر لله (I):

{أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤتَونَ أَجرَهُم مَّرَّتَينِ بِمَا صَبَرُواْ}[418].

هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب بعد أن سمعوا دعوتنا وقابلوها بالتصديق، وانقادوا بحسن الإستسلام، فجزاءهم أن يؤتون أجرهم مرتين، بالذي صبروا به على الأوامر وبما صبروا على المحارم في عاجلهم وآجلهم، مرة في الآخرة وهي المثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة، أو يجزون مرة على الإيمان بكتابهم بسبب صبرهم وثباتهم، ومرة على الإيمان بالقرآن بعد نزوله، أو يجزون على الإيمان بالقرآن قبل وبعد نزوله، أو يجزون على أذى من هجرهم وعاداهم من أهل دينهم

---

[414] الزمخشري: الكشاف: (421/3)؛ المراغي: تفسير المراغي: (71/20).
[415] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (143/20).
[416] السعدي: تيسير الكريم الرحمن: (620).
[417] الجزائري: أيسر التفاسير: (84/4).
[418] سورة القَصَص: 28 \ 54

ومن المشركين، فهم بهذا جمعوا بين الحسنيين، الإحسان في الدّين الذين كانوا يدينون به، ولم يخلطوه بزيف أو ضلال، والإحسان في الدين الجديد الذي استجابوا له[419].

عن أبي موسى الأشعري (τ) عن رَسُولَ اللهِ (ρ) قَالَ: **(ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ (ρ) فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ)**[420].

لما خوطب كل واحد بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين، فالكتابي خوطب من جهة نبيه (υ)، ثم إنه خوطب من جهة نبينا (ρ) فاستجاب فله أجر الملتين، وكذلك العبد هو مأمور من جهة الله (Y) ومن جهة سيده، ورب الأمة لما قام بتربية أمته وأدبها فقد أحياها إحياء التربية، ثم إنه لما أعتقها وتزوجها أحياها إحياء الحرية، فقد قام ما أمر فيها، فأجر كل واحد منهم أجرين. وإن الله (I) يضاعف الحسنة بعشر أمثالها فتتضاعف الأجور[421].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. عبر (I) عن مضاعفة الأجر بالمرتين تشبيها للمضاعفة بتكرير الإيتاء.
2. إظهار العناية كأن المثيب يعطي ثم يكرر عطاءه[422].
3. عظم أجر الصبر، الذي هو عسير على النفوس، وأعسره ما كان الصبر على الهوى والشهوة والانحراف، والصبر على السخرية والإيذاء، وهذا دائم الوقوع للمستقيمين على دينهم في كل زمان ومكان[423].

---

[419] القشيري: لطائف الإشارات: (73/3)؛ مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1787/7)؛ السعدي: تيسير الكريم الرحمن: (620)؛ الآلوسي: روح المعاني: (302/10)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (364/10).

[420] صحيح مسلم: كتاب: الإيمان، باب: وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (ρ) إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، رقم الحديث: (154): (134/1).

[421] القرطبي: تفسير القرطبي: (298/13).

[422] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (144/20-145).

### 3.1.2.3. ثالثاً: يدرؤون بالحسنة السيئة:

{وَيَدرَءُونَ بِٱلحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ}[424].

الدرء الدفع، درأت أي دفعت، يدفعون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها ما فعلوه من سيئات، ويدفعون بالصبر والكلام الحسن الأذى، وهذا وصف لمكارم الأخلاق، أي من يقول لهم سوءا يقابلونه بما يدفعه من القول الحسن فهذه آية مهادنة، ويدفعون بالاستغفار والتوبة الذنوب، ومنه الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ (τ)، أَنَّ النَّبِيَّ (ρ) قَالَ لَهُ: **(اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)**[425]، ومن الخلق الحسن دفع المكروه والأذى، والصبر على الجفا بالإعراض عنه[426].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. الإستعلاء على كبرياء النفس، في رد الأذى ودفع السخرية، وإظهار السماحة الراضية، بالرد الجميل للقبيح، وطمأنينة القلب بمقابلة الساخر، من درجات الصبر العليا، وهو مبلغ من العظمة لا يبلغه إلّا المؤمنون[427].
2. درء السيئة بالحسنة من أعظم خصال الخير وأفضلها إلى حسن المعاشرة قال تعالى: {وَلَا تَستَوِي ٱلحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدفَع بِٱلَّتِي هِيَ أَحسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَينَكَ وَبَينَهُ عَدَٰوَة كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم}[428]،والنتيجة دفع مضرة المسيء عن النفس[429].

### 4.1.2.3. رابعاً: الإنفاق في سبيل الله:

{وَمِمَّا رَزَقنَٰهُم يُنفِقُونَ} [430].

---

[423] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2701/5).
[424] سورة القَصَص: 28 \ 54.
[425] مسند الإمام أحمد بن حنبل: حديث أبي ذر الغفاري (τ): رقم الحديث: (21354): (284/35).
[426] الطبري: تفسير الطبري: (597/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (298/13)؛ البيضاوي: أنوار التنزيل: (181/4).
[427] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2701/5).
[428] سورة فصلت: 41 \ 34
[429] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (145/20)، الجزائري: أيسر التفاسير: (84/4).
[430] سورة القَصَص: 28 \ 54

أثنى عليهم الله (Y) بأنهم ينفقون مما آتاهم الله من أموالهم في الطاعات وفي سبيل الله، وفي ذلك حض على الصدقات. والإنفاق ليس فقط بالمال بل ربما يكون من الأبدان بالصوم والصلاة[431]،

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. سماحة النفس بالمال من سماحتها بالإحسان فهما من منبع الاستعلاء على الشهوة، والجود بما هو أكثر قيم الأرض قيمة وهما النفس والمال.
2. في الآية تشجيع للمؤمنين على الإنفاق في سبيل الله[432].

### 5.1.2.3. خامساً: الإعراض عن اللغو:

{وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغوَ أَعرَضُواْ عَنهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعمَٰلُنَا وَلَكُم أَعمَٰلُكُم}[433].

واللغو الحديث الفارغ، الذي لا طائل منه، ولا تحصيل من وراءه، وهو بمعنى الهذر الذي يضيع الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل إيماناً أو علماً جديدا، وهو البذيء من القول الذي يؤدي إلى إفساد اللسان، سواء كان موجه إلى مخاطب أم تكلم عن غائب، وهو ما يصدر عن قلب غافل[434].

ولمّا تطاول المشركون واليهود على الذين آمنوا من أهل الكتاب وآذوهم، قالوا لهم أعمالنا مردودة علينا، سيحاسبنا الله (I) عليها وأنتم أيضاً لكم أعمالكم، سيحاسبكم الله (I) عليها[435].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. القلوب المؤمنة مشغولة بتكاليف الإيمان متطهرة بنوره لا تلغو ذلك اللغو، ولا تستمع إلى ذاك الهذر، ولا تعنى بهذا البذاء.
2. المؤمن الكامل الإيمان شأنه الاشتغال بمرضاة الله (Y)، فيبادر إلى الطاعات البدنية والمالية، ويتحلى بالخلق الفاضل.

---

[431] القرطبي: تفسير القرطبي: (298/13).
[432] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2701/5).
[433] سورة القَصَص: 28 \ 55
[434] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2701/5)؛ القشيري: لطائف الإشارات: (73/3).
[435] طنطاوي: التفسير الوسيط: (421/10).

3. المؤمنون لا يغتاظون ولا يجارون أهل اللغو فيردون عليهم بمثله، ولا يقحمون أنفسهم في جدل معهم، لأن الجدل مع أهل اللغو لغو إنما يتركونهم في موادعة وسلام[436].
4. الإبتعاد عن الكلام القبيح، والإلتزام بالكلام الطيب[437].

### 6.1.2.3. سادساً: عدم ابتغاء الجاهلين:

{سَلَٰمٌ عَلَيكُم لَا نَبتَغِي ٱلجَٰهِلِينَ}[438].

أي لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة، وهذا سلام متاركة، وإعراض عن سفاهتكم، فليس المراد بالسلام هنا: سلام التحية، وإنما المقصود به سلام المتاركة والإعراض، وإن ديننا ينهانا عن صحبة الجاهلين، وينهانا عن المجادلة معهم، وهذه من صفات عباد الرحمن قال تعالى: {وَعِبَادُ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمشُونَ عَلَى ٱلأَرضِ هَونا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰما}[439]، قولا يسلمون به[440].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. مهادنة لبني إسرائيل، بقصد فتح جسور المودة والتفاهم والقناعة، بصدق الرسالات الإلهية، أوّلها وآخرها، فإذا ما تجرّدوا من العصبية والهوى، وعادوا لنداء العقل الصائب، توصّلوا إلى الحقيقة، لأن المصدر واحد، والغاية واحدة، فالله (I) هو مرسل الرّسل، ومنزل الكتب كلها، والغرض منها تحقيق السعادة والطمأنينة والنجاة للعالم كله[441].
2. من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول ما يسلم به من القول، له من الأجر والفضيلة[442].

---

[436] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2701/5).
[437] الزحيلي: التفسير المنير: (128/20).
[438] سورة القَصَص: 28 \ 55
[439] سورة الفرقان: 25 \ 63
[440] القرطبي: تفسير القرطبي: (299/13)؛ طنطاوي: التفسير الوسيط: (421/10)؛ الواحدي: التفسير الوجيز: (822).
[441] الزحيلي: التفسير الوسيط: (1928/3).
[442] الجزائري: أيسر التفاسير: (84/4).

### 2.2.3. المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في بيان السنن الإلهية في الهداية:

تبين لنا الآيات القادمة سنن الله (I) في هداية الناس إلى الإيمان به، وكيف علل المشركون عدم اتباعهم للهدى، وما هو جزاء من بطر في معيشته، وكيف أرسل الله الرسل ليقيم الحجة على الكافرين، وأن الذين يتبعون الهدى لهم سعادة الدنيا والآخرة، لذلك قسمنا هذا المطلب إلى ستة فروع وكما يلي:

#### 1.2.2.3. أولاً: الهداية من الله (I):

{إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ}[443].

كان النبي (ρ) يحزن بإعراض قريش وهم أخص الناس به عن دعوته، أنزل الله (Y) خطاب على نبيه (ρ) يسلي نفسه ويزيل كمده بأن ذكره بأن الهدى بيد الله. وهو كناية عن الأمر بالتفويض في ذلك إلى الله تعالى (Ψ)[444].

هذه الآية نزلت على رسول الله (ρ) تسلية له (ρ) لامتناع عمه أبي طالب من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، فإنك يا محمد لا تهدي من أحببت أن يهتدي ولكن الله (I) يهدي الذي يرغب به بالهداية (والإشارة هنا إلى عمه العباس (τ))، وأن الله (I) أعلم لمن قدر له أن يهتدي[445].

وفي صحيح البخاري[446]: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ: **(أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)** فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ (ρ) يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): **(وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)** فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {مَا كَانَ

---

[443] سورة القَصَص : 28 \ 56

[444] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (147/20).

[445] القرطبي: تفسير القرطبي: (299/13)؛ الطبري: تفسير الطبري: (598/19)؛ الآلوسي: روح المعاني: (302/10).

[446] البخاري: صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ }، رقم الحديث: (4772)، (112/6).

لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَستَغفِرُواْ لِلمُشرِكِينَ}[447]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ρ): إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعَمُ بِٱلمُهتَدِينَ[448].

إن الإنسان ليتحير أمام صرامة هذا الدين واستقامته، فهذا أبو طالب عم رسول الله (ρ) وكافله وحاميه، لا يكتب الله له الإيمان، على شدة حبه لرسول الله (ρ) وشدة حب الرسول له أن يؤمن، ذلك إنما قصد أبو طالب إلى عصبية القرابة وحب الأبوة، ولم يبتغ بذلك العقيدة، وقد علم الله منه ذلك فلم يقدر له ما كان يحبه له (ρ) ويرجوه، فأخرج الله (I) أمر الهداية من خاصة رسوله (ρ) وجعله خاصا بإرادته (I) وتقديره. وما على الرسول إلا البلاغ، وما على الداعين بعده إلا النصيحة، والقلوب بعد ذلك بين أصابع الرحمن والهدى والضلال وفق ما يعلمه من قلوب العباد، واستعدادهم للهدى والضلال[449].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. إن الله (I) يخلق من يشاء وجعله قابلا للاهتداء في وقت معين وبدعوات محدودة إلى أن ينشرح صدره للإيمان، فإذا تدبر ما خلقه الله عليه وحدده كثر في علمه وإرادته جعل منه الاهتداء، فالمراد الهداية بالفعل.
2. الله (I) هو أعلم بكل واحد من المهتدين في أمورهم ومقادير استعدادهم على حسب ما جبلت عليه فطرهم من صحيح النظر وقبول الخير واتقاء العاقبة والانفعال لما يلقى إليها من الدعوة ودلائلها.
3. لأسباب الهداية حال ومدى ولكليهما أحوال تكوينية في الشخص وأسلافه وأسباب نمائه أو ضعفه من الكيان والوسط والعصر والتعقل[450].

---

[447] سورة التوبة: 9 \ 113

[448] سورة القَصَص: 28 \ 56

[449] طنطاوي: التفسير الوسيط: (423/10)؛ سيد قطب: في ظلال القرآن: (2703/5).

[450] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (148/20).

4. الهداية في حقيقتها تحويل القلب من الباطل إلى الحق، وذلك من خصائص قدرة الحق (I)، وقد تكون الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق، وذلك جائز بل واجب في صفته (ρ)[451]، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَىٰ صِرَٰط مُّستَقِيم}[452].
5. الهداية من الله (I) هدايتان: الأولى هي إنارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات، وترك الشرك والمعاصي. والهداية الثانية هداية الدعوة والوعظ والإرشاد[453].
6. الله (I) يميز بعض خلقه بخلق الهداية ومعرفة الطريق إلى الجنة، ويمنع البعض منها، ولا يسأل عما يفعل.
7. الله (I) هو المختص بعلم الغيب، فيعلم من يهتدي من بعد ومن لا يهتدي[454].

### 2.2.2.3. ثانياً: حجة واهية:

{وَقَالُواْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّف مِن أَرضِنَا أَوَلَم نُمَكِّن لَّهُم حَرَمًا ءَامِنا يُجبَىٰ إِلَيهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيء رِّزقا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكثَرَهُم لَا يَعلَمُونَ}[455].

في هذه الآية معاذير المشركين قالها فريق منهم ممن غلبه حياءه على أن يكابر ويجاهر بالتكذيب، وغلبته ما هو عليه من الألفة حال الكفر على أن يعترف بالحق، فاعتذروا بهذه المعذرة، {نُتَخَطَّف} مبالغة في الخطف، وهو انتزاع شيء بسرعة، وهذا من قول مشركي مكة أي: إن نتبع الحقّ الذي جئت به، ونترك ما نعبد من الآلهة، يأسرنا الناس من أرضنا سوف يجتمعون جميعهم على خلافنا وحربنا، ويأخذونا أسرى إلى ديارهم، فرد الله (I) عليهم بأن قريشا مع قلتهم عددا وعدة جعل الله (I) لهم بلدا آمناً وحرماً آمن يكونون فيه آمنين من العدو على كثرة قبائل العرب واشتغالهم بالغارة على جيرانهم، وليس هذا فقط وإنما مكن أن تصل إلى حرمهم ثمرات كل شيء بالرغم من كونه وادٍ غير ذي زرع، فكان الأحرى بهم أن يعتبروا

---

[451] القشيري: لطائف الإشارات: (73/3).
[452] سورة الشورى: 42 \ 52.
[453] الجزائري: أيسر التفاسير: (87/4).
[454] الزحيلي: التفسير المنير: (137/20).
[455] سورة القَصَص: 28 \ 57

بهذه المنعة الربانية وأن الله (Y) الذي أمنهم في القرون الخالية يؤمنهم إن استجابوا لله ولرسوله (ﷺ)[456].

وكانت العرب في الجاهلية حول أهل مكة يغير بعضهم على بعض ويتناحرون وأهل مكة آمنون مطمئنون في حرمهم، وبحرمة البيت هم مستقرون بواد غير ذي زرع، والثمرات والأرزاق تجبى إليهم من كل مكان، فإذا خولهم الله ما خولهم من الأمن والرزق بحرمة البيت وحدها، وهم كفرة عبدة أصنام، فكيف يستقيم أن يعرضهم للأخذ والأسر والخوف، ويسلبهم الأمن، إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة، الإسلام[457].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. المشركين أقروا في هذه الآية أن الرسول (ρ) جاء بالحق، وأنه على الهدى، لكن تبقى علة امتناعهم أنْ يتخطفوا، وكان عليهم أنْ يقارنوا بعقولهم بين أن يكونوا مع رسول الله (ρ) على الحق وعلى الهدى ويُتخطَّفوا وبين أنْ يظلُّوا على كفرهم.
2. أقصى ما سيصيب مشركي مكة إن آمنوا خسارة عَرَض فانٍ من الدنيا، وهذا الخير الذي سيذهب من الدنيا محدود على مقتضى قوة البشر[458].
3. دمج الإمتنان عليهم بهذه النعم (الحرم الآمن وجبي الثمرات) حتى يحصل لهم وازعان عن الكفر بالمنعم: وازع إبطال معذرتهم عن الكفر، ووازع التذكير بنعمة المكفور به.
4. لم يتفطن المشركون إلى مكنون هذه النعمة فحسبوا أن الإسلام سيؤدي إلى اعتداء العرب عليهم ظنا بأن حرمتهم بين العرب صفة أسداها إليهم قبائل العرب[459].

---

[456] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (148/20-150)؛ الطبري: تفسير الطبري: (601/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (300/13).
[457] الزمخشري: الكشاف: (422/3)؛ طنطاوي: التفسير الوسيط: (423/10).
[458] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10967/18).
[459] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (149/20-150).

5. مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهليين من تعظيم الحرم وأهله ليمكن بذلك لسكان حرمه أمنا وعيشا[460].

### 3.2.2.3. ثالثاً: البطر في المعيشة يؤول إلى الهلاك:

{وَكَم أَهلَكنَا مِن قَريَةِۭ بَطِرَت مَعِيشَتَهَا فَتِلكَ مَسَٰكِنُهُم لَم تُسكَن مِّن بَعدِهِم إِلَّا قَلِيلا وَكُنَّا نَحنُ ٱلوَٰرِثِينَ}[461].

{كَم} هنا خبرية تفيد الكثرة، وتركَ الجواب ليدل بنفسه على الكثرة،{ بَطِرَت} نسيت شُكْر المُنعم على نعمه، بمعنى أنه (I) لم يرد ذكره على بالك وأنت تتقلَّبَ في نِعمه، أو البطر يكون باستخدام النعمة في معصية المنعم (Y)[462].

كم من قوم كفروا وكذبوا الرسل فحل بهم البوار، والتجبّر والتكبّر والطغيان بالنعمة، فتلك دور القوم الذين أهلكناهم جزاءً بكفرهم، ومنازلهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا، خربت من بعدهم، فلم يعمر منها إلا أقلها، وأكثرها خراب، ولم يكن لما خرّبنا من مساكنهم منهم وإرث، وعادت كما كانت قبل سُكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السماوات والأرض[463].

لم يعرف الكفار قدر نعمة الله (Y) عليهم، ولم يشكروا الله (I) على سلامة أحوالهم، وانتظام أمورهم، فتاهوا على وجوههم في أودية الكفر، فخروا على أذقانهم في أودية الصغار، وأذاقهم الله من كاسات الهوان ما كسر خمار بطرهم فأماكنهم منهم خالية، وسقوفها عليهم خاوية، وتنعق فيها غربان الدمار[464].

---

[460] الجزائري: أيسر التفاسير: (87/4).
[461] سورة القَصَص: 28 \ 58

[462] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10973/18).
[463] الطبري: تفسير الطبري: (603/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (301/13)؛ البيضاوي: أنوار التنزيل: (182/4).
[464] القشيري: لطائف الإشارات: (74/3).

**تحقيق المقصد من الآية:**

1. تخويف لمشركي قريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر[465].
2. من البطر أن يتعالى المرء ويتجبّر ويتكبّر على النعمة، أو يستقلها ويراها أقلّ من مستواه، كالذي يتنقص من الطعام البسيط.
3. سنة الله في خلقه من بطر نعمة الله فلا بُدَّ أن يسلبها الله (Y) منه، وإنْ سُلبتْ نِعم الله من بلد هلكوا، أو رحلوا عنها.
4. ألا يذكر العاقلون ما فعل الله (I) بتلك القرى فيعلموا بذلك قدرته فيتقوه ويتوكلوا عليه ويؤمنوا به ويوحدوه ويستقيموا على منهج الحق الذي جاء به الرسول (ρ)[466].
5. ليعلم هؤلاء الذين اعتذروا عن الإيمان من أهل مكة خوفا من زوال النعم أن عدم الإيمان هو الذي يزيل النعم، فكثيرة هي القرى التي أهلكها الله (I) رفضت الإيمان، وكفرت، وطغت وبغت وجحدت بأنعم الله وأرزاقه فأصبحت مساكنهم خاوية على عروشها، لا يسكن فيها أحد إلا لمدة قليلة، يبيت فيها المارة يوما أو بعض يوم، وأصبح الوارث هو الله لأنها رجعت خرابا ليس فيها أحد يخلفهم فيها. ويقال للشيء الذي ترك بلا مالك: إنه ميراث الله، لأنه المالك الحقيقي للكون، والباقي بعد فناء خلقه[467].

**4.2.2.3. رابعاً: إرسال الرسل لقطع الحجج، فلا يهلك إلّا بعد الظلم:**

{وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهلِكَ ٱلقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولا يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهلِكِي ٱلقُرَىٰ إِلَّا وَأَهلُهَا ظَٰلِمُونَ}[468].

{فِي أُمِّهَا} إن كان يقصد بها المدن التي في عصر النبي (ρ) فمكة هي أم القرى قال تعالى: {هَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلنَٰهُ مُبَارَك مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَينَ يَدَيهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلقُرَىٰ

---

[465] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (152/20).
[466] الجزائري: أيسر التفاسير: (86/4).
[467] الزحيلي: التفسير المنير: (135/20).
[468] سورة القَصَص: 28 \ 59

وَمَن حَولَهَا}[469]، وإن كانت القصد بها بالعموم في كل زمن ففي هذا الموضع أعظمها وأفضلها الذي هو بمثابة مكة في عصر محمد (ρ)، وإن كانت أم القرى كلها أيضاً من حيث هي أول ما خلق من الأرض ومن حيث فيها البيت. ومعنى الآية أن الله (I) يرسل الرسل ليقيم الحجة على عباده فلا يعذب إلا بعد أن ينذر وبعد أن يتمادى أهل القرى في الظلم والطغيان، {وظَٰلِمُونَ} هنا تجمع بين الشرك والكفر والمعاصي بالعموم وضع الباطل موضع الحق[470].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. بعد أن أمرنا الله (I) أن نعتبر بالقرى التي هلكت من قبل، بين شرط الهلاك وسببه ليبطل أعذار مشركي العرب، فبين لهم أن ليس من عادة الله تعالى أن يهلك القرى التي يحق عليها العذاب حتى يبعث رسولا في أكبر قرية فيها لأن القرية الكبرى هي مهبط أهل القرى والبوادي المجاورة لها فلا تخفى دعوة الرسول (ﷺ) فيها ولأن أهلها قدوة لغيرهم في الخير والشر فهم أكثر استعدادا لإدراك الأمور على وجهها فهذا بيان أشراط الإهلاك.
2. القصد بإهلاك القرى يعني إهلاك أهلها. وإنما جاء مجاز الإهلاك بالقرى للإشارة إلى أن شدة الإهلاك أتى على الأمة وأهلها وهو الإهلاك بالحوادث التي لا تبقى معها الديار بخلاف إهلاك الأمة فقد يكون بطاعون ونحوه فلا يترك أثرا في القرى.
3. الإسناد في قوله تعالى: وَمَا كَانَ رَبُّكَ للنبي (ρ)، أن المقصود بهذا الإنذار هم أمة محمد الذين كذبوا فالخطاب للنبي (ρ) لهذا المقصد. ولهذا وقع الالتفات عنه

---

[469] سورة الأنعام: 6 \ 92.

[470] ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، (1422هـ): (293/4)؛ الطبري: تفسير الطبري: (602/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (302/13)؛ الزمخشري: الكشاف: (424/3).

إلى ضمير المتكلم في قوله {ءَايَٰتِنَا} للإشارة إلى أن الآيات من عند الله وأن الدين دين الله[471].

4. من رحمة الله وعدله أن لا يهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لهلاكها شرطان:
   - أن يبعث فيهم رسولا يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور.
   - أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والإصرار على الكفر والمعاصي[472].
5. وخص أعظم قرية ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف من القوم، الذين يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها[473].

### 5.2.2.3. خامساً: الهداية سبب للسعادة في الآخرة:

{وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيء فَمَتَٰعُ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَير وَأَبقَىٰ أَفَلَا تَعقِلُونَ}[474].

ما آتاكم الله (Y) أيها الناس من أي شيء من مُقوّمات الحياة، ومن كمالياتها من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تتمتعون به في هذه الحياة الدنيا قال تعالى: {قُل مَتَٰعُ ٱلدُّنيَا قَلِيل}[475]، وهو من زينتها التي يتزين بها الناس، لا يغني عنكم هذا المتاع عند الله شيئا، ولا ينفعكم شيء منه في آخرتكم، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما عندكم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها، وهذا الذي في الآخرة باقٍ لأهله؛ ودائم لا ينفد، هلّا تتعظون وتعقلون أن الباقي أفضل من الفاني[476].

---

[471] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (152/20-153).
[472] الجزائري: أيسر التفاسير: (87/4).
[473] الواحدي: التفسير الوسيط: (404/3).
[474] سورة القَصَص: 28 \ 60
[475] سورة النساء: 4 \ 77.
[476] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10976/18)؛ الطبري: تفسير الطبري: (604/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (3:425).

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. آفة النعيم في الدنيا إلى مآلين إما أن يتركك وإما تتركه، وأن العمر في الدنيا ليس هو عمر الدنيا، إنما هو مدة بقاء الإنسان فيها، ومهما بلغ الإنسان من الدنيا فلا بُدَّ من الموت[477].
2. ما في الدنيا كله إلى زوال لا دوام له، ومهما كثر فهو إلى نفاد، ولا بُد أن يأتي اليوم الذي ينتهي فيه[478].
3. هذه الآية تظهر حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم[479].
4. فائدة العقل هو أن يعقل صاحبه عن ما يضره، ويدلّه على ما ينفعه فإن لم يعقل ما يضره ولم يدلّ على ما ينفعه فوجوده كعدمه.
5. إظهار فضل الآخرة على الدنيا[480].
6. لا يظن الكفار والمشركون أن الأمن والرزق هو الغاية المطلوبة، فلا يطلبوا تحصيل النعيم الأبدي، الذي يأتي بالإيمان.
7. لا يجعل الكفار والمشركون موازنة لاتباع الهدى وإن كان في اتباع الهدى ذهاب ما هم فيه من أرضهم وخيراتها.
8. {أَفَلَا تَعقِلُونَ} استفهام توبيخي وتقريري على عدم عقل المخاطبين لأنهم لما لم يستدلوا بعقولهم على طريق الخير نزلوا منزلة من أفسد عقله[481].

### 6.2.2.3. سادساً: التذكير بنعم الله سبب للهداية:

{أَفَمَن وَعَدنَٰهُ وَعدًا حَسَنا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَا ثُمَّ هُوَ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلمُحضَرِينَ}[482].

---

[477] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10977/18).
[478] طنطاوي: التفسير الوسيط: (426/10).
[479] مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1794/7).
[480] الجزائري: أيسر التفاسير: (89/4).
[481] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (154/20).
[482] سورة القَصَص: 28 \ 61.

كان المشركون من دأبهم التفاخر بما هم فيه من النعمة، قال تعالى: {وَذَرنِي وَٱلمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعمَةِ وَمَهِّلهُم قَلِيلًا}[483]، { وَإِذَا ٱنقَلَبُواْ إِلَىٰ أَهلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ}[484]، فلما أخبرهم الله (I) بأن ما هم فيه من النعيم إن هو إلا لفترة قليلة، قابل ذلك بالنعيم الأخروي الفائق الذي لا يفنى ذلك النعيم الذي أعده للمؤمنين[485].

في الآية دعوة للإنسان أن يقارن بين ما عند الله وما أعده للمؤمنين وبين زينة الدنيا، أما كيفية المقارنة: أن يسأل نفسه من كان مؤمناً بكتاب الله مصدقاً بوعد الله وثوابه على صالح الأعمال بالجنة والنعم الكثيرة، يكون مثل الكافر المكذب بلقاء الله ووعده ووعيده، الذي يتمتع في الحياة الدنيا أياما قليلة، ثم مصيره يوم القيامة في نار جهنم؟![486] والجواب معروف طبعاً للعاقل كما ورد في الآية السابقة.

المؤمن الساعي للآخرة سعيها، عمل على وعد الله (I)، بحسن الثواب، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم الأبدي، سيلاقيه من غير شك ولا ارتياب، فإن وعد الله (I) صادق، ولا يخلف وعده، لعبدٍ عمل برضا الله (Y) وتجنب الأعمال التي تسخطه، وهذا المؤمن لا يكون مثل الكافر الذي يأخذ فيها ويعطي، يأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، وانشنغل بالدنيا عن الآخرة، ولم يتبع هدي الله (Ψ)، ولم يتبع المرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يأخذ من الدنيا إلا الخسارة والهلاك، ثم يأتي للحساب يوم القيامة، وقد علم أنه لم يقدم لنفسه إلّا ما يضره ولا ينفعه، فهذه دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم في الجزاء؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار[487].

---

[483] سورة المزمل: 73 \ 11

[484] سورة المطففين: 83 \ 31.

[485] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (155/20).

[486] الزحيلي: التفسير المنير: (137/20).

[487] السعدي: تيسير الكريم الرحمن: (621).

هذه الآية نَزَلَتْ في محمد (ρ) وأبي جَهْل ابْنِ هِشَام فالنبي (ρ) وُعِدَ وَعْداً حسناً فَهو لاَقِيه في الدنيا بأنه نُصِرَ على عَدوِّهِ في الدنيا، وهو في الآخرة في أعلى المراتب من الجنة، وأبو جهل من الهالكين في الدنيا والمعذبين في الآخرة[488].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. سموم حنظل الدنيا تتلو طعوم عسلها، والتلف الحاصل من شرابها يغلب اللطف الظاهر من إربها، وليس مَنْ أكرمَ بوجدان نعيم عقباه كمَنْ مُنَّى بالوقوع في جحيم دنياه[489].
2. وعد الله (I) المؤمن بالجنة هو خير مما يحصل عليه من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا[490].
3. يعطي الله (I) من تعجل نصيبه في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب، والدنيا من نصيب المتكبرين ويجعل الله (I) الآخرة للمتقين، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيهِم أَعمَٰلَهُم فِيهَا وَهُم فِيهَا لَا يُبخَسُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيسَ لَهُم فِي ٱلأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِل مَّا كَانُواْ يَعمَلُونَ}[491].
4. حال الكافر في الدنيا واستمتاعه بنعيمها الزائل ونسيانه طاعة الله (Y)، فليس له نصيب في الآخرة إلّا النار، وأن المؤمن الذي صبر على البلاء في الدنيا واتقى الله (Y) وأطاعه فإن الله (I) يوفي ما وعده به ألا وهي الجنة.
5. في هذه الآية تذكرة لقريش التي فضلت الحياة الدنيا على الآخرة، ورفضت الإسلام مخافة على مصالحها الاقتصادية والأمنية، وهو تذكرة لكل الناس في كل الأماكن والأزمان بأن يعتبروا.
6. ليس على المؤمن أن يحزن إذا فاته شيء من هذه الدنيا وحظي به الكافر، فإنهم في الآخرة لا يستوون.

---

[488] الزجاج: معاني القرآن: (150/4).
[489] القشيري: لطائف الإشارات: (75/3).
[490] الجزائري: أيسر التفاسير: (89/4).
[491] سورة هود: 11 \ 15-16

7. الدنيا لا تساوي شيئاً عند الله (Y)، وإذاً لأعطى نبيه (ρ) شيئاً منها، ولنام (ρ) على الفرش والديباج، ولأكل أحسن الطعام وأفخره، وما نام (ρ) على الحصير، وشد الحجر على بطنه من الجوع.
8. لو كانت الدنيا وما فيها تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء.
9. العاقل يترك لذة عاجلة فانية للذة آجلة باقية، ويفضل نعيم الآخرة على متاع الدنيا.
10. العاقلون فقط هم من يختارون الآخرة على الدنيا[492].

[492] الشعراوي: تفسير الشعراوي: (10978/18).

## 4. الفصل الرابع: المقاصد القرآنية في قدرة الله (I) في الثواب والعقاب:

في هذ الفصل نصل إلى الآيات القرآنية الكريمة التي تعرض لنا مشهداً جديداً من حال الذين أشركوا وما وصلوا إليه بعد سوء اختيارهم للطريق الصحيح، تجول الآيات في مشهد من مشاهد يوم القيامة يصوّر ما هم فيه من الشرك والغواية، حيث الخزي والفضيحة على رؤوس الأشهاد، ثم انتقلت الآيات إلى عرض قصة أحد رموز البغي والفساد وهو قارون، ثم تنتهي السورة بوعد الله (I) لنبيه بالعودة إلى موطنه وتوجيه الخطاب له ولمن خلفه من المسلمين بضرورة القيام بمجموعة من التكاليف والنواهي بينها لهم الله (I). فقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول المقاصد القرآنية في المحاور بين رب العباد والعباد يوم القيامة، وتناول المبحث الثاني ختام السورة بقصة قارون والتوصيات الإلهية للرسول (ρ) وللمؤمنين.

### 1.4 المبحث الأول: المقاصد القرآنية في المحاورة بين رب العباد والعباد يوم القيامة:

بعد أن بين الله (I) حال المشركين والكفار عند تكذيبهم للرسل وتذرعهم بحجج واهية في الدنيا، ينتقل بنا المشهد إلى يوم القيامة وأهواله وكيف يكون حال المشركين وكيف ستكون حججهم بعد أن يروا قدرة الله (Y) وسطوته. فكان هذا المبحث على ثلاثة مطالب، تناول المطلب الأول بطلان حجج وأعذار المشركين على شركهم وتوبيخهم والتهكم والاستهزاء بهم، وتناول المطلب الثاني أن الله (I) يخلق ويختار ما يشاء، وتناول المطلب الثالث تقرير التوحيد وإبطال التنديد.

#### 1.1.4. المطلب الأول: بطلان الشرك بالله (I):

بعد أن خلصت الآيات السابقة إلى إثبات بعثة الرسل والوعد للمؤمنين والوعيد للمشركين يوم الحساب، تشير هذه الآيات على إبطال الشرك بالله وإبطال مزاعم المشركين، وسنقسم هذا المطلب إلى ثلاثة أفرع:

### 1.1.1.4. أولاً: توبيخ المشركين:

{وَيَومَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ أَينَ شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيهِمُ ٱلقَولُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغوَينَا أَغوَينَٰهُم كَمَا غَوَينَا تَبَرَّأنَا إِلَيكَ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعبُدُونَ}[493]

ينادي رب العزة يوم القيامة المشركين ويسألهم سؤال توبيخ وتعجيز فيقول أين شركائي الذين أنهم في الدنيا شركائي، فأشركتموهم في عبادتي، قال الذين حق عليهم غضب رب العزة، ووجب عليهم العذاب، وهم رؤساء الكفر وأئمته الذين أضلوا أتباعهم، والشياطين الذين دعوهم إلى الإشراك بالله، ربنا هؤلاء الذين أضللنا، أضللناهم، كما ضللنا، نتبرأ إليك من إطاعتهم لنا فهم ما كانوا يتبعونا بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوناهم بالوسوسة إلى ما هم عليه[494]، قال تعالى: {وَقَالَ ٱلشَّيطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلأَمرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُم وَعدَ ٱلحَقِّ وَوَعَدتُّكُم فَأَخلَفتُكُم وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيكُم مِّن سُلطَٰنٍ إِلَّا أَن دَعَوتُكُم فَٱستَجَبتُم لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصرِخِكُم وَمَا أَنتُم بِمُصرِخِيَّ إِنِّي كَفَرتُ بِمَا أَشرَكتُمُونِ مِن قَبلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم}[495].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. تجسيد حقيقة مهمة للعباد، مفادها أن الخوف ينبغي أن يكون من الله (Y)، فهو القاهر فوق عباده ويبطل الخوف من غيره، فما قدره الله كائن لا محالة، وما لم يقدر لم يقع أبداً، فعلام الخوف من المرض، والفقر، والموت إذا كان كلّ شي مقدر ومكتوب[496]؟

---

[493] سورة القَصَص: 28 \ 62-63.

[494] ابن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: 200هـ)، (تفسير يحيى بن سلام)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 (2004م): (604/2)؛ الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (186/8)؛ الواحدي: التفسير الوسيط: (405/3).

[495] سورة إبراهيم: 14 \ 22.

[496] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: مشاهد من يوم القيامة وتوبيخ المشركين على مزاعمهم، https://shamela.ws.ت.م (9-2-2021)

2. المراد بالسؤال التوبيخ لهم، وإلا فقد علموا في ذلك اليوم بطلان ما كانوا عليه من الشرك، وتيقنوا أن أولئك الشركاء الذين كانوا يعبدونهم لا ينفعونهم بشيء[497].
3. هذا المشهد أريد به التهويل وإبطال كيد أهل التضليل، وإلا فمن أين لهم الجواب؟ فضلاً عن الصواب! والسائل رب العزة الذي ما شاء جعلهم، فما ورد فعل إلا على فعله، وما صدر ما صدر إلا من أصله.
4. وتبرأُ بعضهم من بعض ولم يكن للأصنام استحقاق العبودية، ولا لأحد من النفي والإثبات بالإيجاد والإحداث ذرة أو منه شظية[498].
5. لما كان هذا السؤال مسكتاً لهم مبهتاً فكأنه لا متعلق لجمهور الكفرة إلا بالمغوين لهم الرؤوس منهم وبالشياطين المغوين فكأن هؤلاء المغوين إنما أتت الكفرة على علم فالقول عليهم متحقق وكلمة العذاب ماضية لكنهم طمعوا في التبري من كل أولئك الكفرة الأتباع فقالوا رَبَّنا هؤُلاءِ إنما أضللناهم كما ضللنا نحن باجتهاد لنا ولهم وأرادوا هم اتباعنا وأحبوا الكفر كما أحببناه.
6. التوقيف والسؤال يعم جميع الكفرة، والمجيبون هم كل مغوٍ داعٍ إلى الكفر من الشياطين ومن الإنس الرؤساء والعرفاء والسادة في الكفر[499].
7. الإستفهام بهذه الآية ظاهره الإستفهام عن المكان الذي يوجد فيه الشركاء ولكنه استفهام كنايةً عن انتفاء وجود الشركاء المزعومين يومئذ، فالإستفهام مستعمل في الانتفاء.
8. المقصد من هذه الآية أسلوب من الله لهم ليعلنوا تنصلهم من ادعاء أنهم شركاء على رؤوس الملإ، أو حَمَلهم على ذلك ما يشاهدون من فظاعة عذاب كل من

---

[497] القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5560/8).
[498] القشيري: لطائف الإشارات: (76/3).
[499] ابن عطية، المحرر الوجيز: (295/4).

ادعى المشركون له الإلهية باطلا لما سمعوا قوله تعالى[500]:{ إِنَّكُم وَمَا تَعبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُم لَهَا وَٰرِدُونَ}[501].

### 2.1.1.4. ثانياً: التهكم والاستهزاء بالمشركين:

{وَقِيلَ ٱدعُواْ شُرَكَاءَكُم فَدَعَوهُم فَلَم يَستَجِيبُواْ لَهُم وَرَأَوُاْ ٱلعَذَابَ لَو أَنَّهُم كَانُواْ يَهتَدُونَ}[502]

خطاب رب العزة موجه إلى جميع الذين نودوا أن يستغيثوا بآلهتهم التي عبدوها في الدنيا لتنصرهم وتدفع عنهم، فاستغاثوا بهم، فلم يجيبوهم ولم ينتفعوا بهم، وودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا لأنجاهم الهدى، ولما صاروا إلى العذاب[503].وفي قوله تعالى:{وَرَأَوُاْ ٱلعَذَابَ لَو أَنَّهُم كَانُواْ يَهتَدُونَ} لها معاني كثيرة فصلها المفسرون نجمعها في خمسة وجوه[504]:

**أحدها:** العذاب عذاب الآخرة، والرؤية بصرية، أي رأوا العذاب ليتيقنوا أن شركاءهم لا يغنون عنهم شيئا.

**الثاني:** أيضاً رؤية بصرية والعذاب عذاب الآخرة، أي رأوا العذاب فارتبكوا في الاهتداء إلى سبيل الخلاص فقيل لهم: ادعوا شركاءكم لخلاصكم.

**الثالث:** الرؤية علمية، والعذاب عذاب الآخرة. أي علموا العذاب نازلاً بهم، وكأن سائلا يسأل: ماذا صنعوا حين تيقنوا أنهم معذبون؟ فالجواب: بأنهم لو أنهم كانوا يهتدون سبيلا لسلكوه ولكنهم ليس لهم سبيل إلى النجاة.

**الوجه الرابع:** المراد اهتداؤهم في حياتهم الدنيا حتى لا يقعوا في هذا العذاب، وصيغة المضارع في يَهتَدُونَ لقصد تجدد الهدى المتحسر على فواته عنهم فإن الهدى لا ينفع صاحبه إلا إذا استمر إلى آخر حياته.

---

[500] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (20/156-159).
[501] سورة الأنبياء: 21 \ 98
[502] سورة القَصَص: 28 \ 62-67.
[503] القرطبي: تفسير القرطبي: (13/304)
[504] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (20/160-161)

**الخامس:** المراد بالعذاب عذاب الدنيا، والرؤية بصرية، أي هم رأوا العذاب في حياتهم أي رأوا آثار عذاب الأمم الذين كذبوا الرسل وهذا في معنى قوله تعالى {وَسَكَنتُم فِي مَسٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُم وَتَبَيَّنَ لَكُم}[505].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. سؤال ثانٍ تابع للأول، وجاء بصيغة المجهول، تهكماً بهم وإظهاراً للاستهانة لعجزهم وتحسرهم وعظم تأسفهم.
2. إشارة إلى أنه لا خلاص من ذلك العذاب في الآخرة إلا بالهدى[506].
3. حالة اليأس والندم التي وصل إليها المشركون مما كانوا فيه من ضلال، وتعلقهم بهؤلاء المعبودين في الدنيا، ويرجون منهم ما يرجو المؤمنون من الله (Y) وحين جاء وقت الإمتحان ووقف المشركون على النار، لم يجدوا أحداً يدفع عنهم العذاب[507].
4. القصد من هذا السؤال التوبيخ والتقريع للمشركين وكشفهم أمام الناس، بالإستغاثة بمن لا نفع له ولا فائدة ترتجى منه، فهم لو استغاثوا بهم لم يجدوا منهم إجابة في النصرة، وأن العذاب واقع عليهم. وفي ذلك ردع وزجر عن الشرك وخرافاته في الدنيا[508].

### 3.1.1.4. ثالثاً: بطلان حجة المشركين:

{وَيَومَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبتُمُ ٱلمُرسَلِينَ فَعَمِيَت عَلَيهِمُ ٱلأَنبَاءُ يَومَئِذ فَهُم لَا يَتَسَاءَلُونَ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صٰلِحا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلمُفلِحِينَ}[509].

يسأل الله (Y) المشركين سؤال توبيخي آخر ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين بدعوتهم لتوحيد العبودية لله (I) وترك الإشراك به؟ فلم يستطيعوا الإجابة لأن الحجج خفيت عليهم، وهو مأخوذ من عمى البصر لأنه يجعل صاحبه لا يتبين

---

[505] سورة إبراهيم: 14 \ 45
[506] البقاعي: نظم الدرر: (335/14).
[507] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (373/10).
[508] الزحيلي: التفسير المنير: (144/20).
[509] سورة القَصَص: 28 \ 62-67.

الأشياء، كونهم قد أعذروا في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة، وسمى حججهم أنباء لأنها أخبار يخبرونها، ولا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج، لأن الله تعالى قد دحضها، فلا ينطقون بحجة ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة، وكذلك لا يتساءلون بالأنساب أي لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل من ذنوبه شيئا. وتخلل بين حال المشركين ذكر حال الفريق المقابل وهو فريق المؤمنين على طريقة الاعتراض لأن الأحوال تزداد تميزا بذكر أضدادها، فمن أقلع وتاب عن الشرك وندم على فعله، والمقصود حصول إقلاع عن عقائد الشرك وإحلال عقائد الإسلام محلها، وعمل صالحا لأن بعض أهل الشرك كانوا يعلمون بفساد دينهم، وصدق وأدى الفرائض وأكثر من النوافل وجب له الفوز بالسعادة، و{فَعَسَىٰ} ترجي لتصوير حالهم بحال من يرجى منه الفلاح[510].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. تكرار تهويل يوم القيامة وتبشيعه وتعظيمه وتفظيعه، سائلاً عن حق رسله عليهم الصلاة والسلام بعد السؤال عن حقه سبحانه، منادياً بعجز الشركاء في الآخرة كما كانوا عاجزين في الدنيا[511].
2. من هول يوم القيامة وتعدد ما يقع فيه من الحوادث تكرر النداء كون مقام الموعظة يقتضي الإطناب في تعداد ما يستحق به التوبيخ. والتكرار من مقتضيات مقام الموعظة. وهذا توبيخ لهم على تكذيبهم الرسل بعد انقضاء توبيخهم على الإشراك بالله[512].
3. المقصود {بِـفَعَسَىٰ} أن يكونوا من المفلحين إن داموا على التوبة والإيمان لجواز أن لا يدوموا، وهي من الله موجبة، فالفلاح واقع بفضله ومنته، وهذ من حسن الظن بالله تعالى[513].

---

[510] القرطبي: تفسير القرطبي: (304/13).
[511] البقاعي: نظم الدرر: (335/14).
[512] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (162/20).
[513] الرازي: مفاتيح الغيب: (10/13)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: (397/3)؛ ابن عطية: المحرر الوجيز: (181/12).

4. من هيبة السؤال لم يبق لهم تمييز ولا قوة عقل ولا تمكين للجواب، فقد استولت عليهم الحيرة واستمكن منهم الدهش فلا يستطيعون النطق[514].
5. لما تسبب السؤال بسكوت المشركين على ما يعلمون أنه ليس عند أحد منهم ما يغني في جوابه من حسن القول وصوابه، وأنهم يتذرعون بحجة إلا عادت عليهم بالوبال، فبقوا لا يسأل أحد منهم أحداً عن شيء يحصل به خلاص، لعلمهم أنه قد عمهم الهلاك، ولات حين مناص، ولأن كل منهم أبغض الناس في الآخر[515].
6. أمام الصورة الكئيبة والحالة المفجعة للمشركين يوم القيامة، فتح الله أمام أولئك المشركين والكفار باب الأمل بالفوز والفلاح وإحراز السعادة، وهو باب التوبة، وطريق أهل الحق والإيمان، وحكم (I) أنه بالرغم من سوء حال المشركين الماضية لو تابوا من الشرك في الدنيا، وصدقوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، لكانوا بالتأكيد من جانب الله من الفائزين بالسعادة.
7. في الآية الثانية ترغيب في التوبة والتخلص من ظلمة الكفر، وضلال الشرك، والإسراع بالعمل في طريق العودة إلى الله إيمانا بوجوده ووحدانيته، وتصديقا بالكتب والرسل والبعث، ومبادرة إلى القيام بالتكاليف الإلهية[516].

### 2.1.4. المطلب الثاني: الاختيار لله (Y):

{وَرَبُّكَ يَخلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَختَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلخِيَرَةُ سُبحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُم وَمَا يُعلِنُونَ وَهُوَ ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلحَمدُ فِي ٱلأُولَىٰ وَٱلأخِرَةِ وَلَهُ ٱلحُكمُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ}[517].

في هذه الآيات يرد أمر المشركين وأمر كل شيء إلى إرادة الله (Y) واختياره فهو خالق كل شيء، عالم بكل شيء، وإليه مرد الأمر كله، والحمد كله، والحكم كله في الأولى الدنيا وفي الآخرة دار القرار، وإليه الرجعة والمآب.

---

[514] القشيري: لطائف الإشارات: (76/3).
[515] البقاعي: نظم الدرر: (338/14).
[516] الزحيلي: التفسير المنير: (147/20).
[517] سورة القَصَص: 28 \ 68

الخطاب للرسول (ρ) بأن الله (I) يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح والطاعة لله من خَلْقه في سابق علمه من هو من خيرتهم، ويختار الرسل والأنبياء، وهو الذي يختار الشفعاء، وليس للمشركين أن يختاروا الشفعاء، ولا أن يختاروا الرسل والأنبياء، وقد تكون هذه الآية نزلت جواباً على قول المشركين في قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَولَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلقُرءَانُ عَلَىٰ رَجُل مِّنَ ٱلقَريَتَينِ عَظِيمٍ}[518]، فإن الله (Y) خالق المخلوقات هو الذي يختار لنفسه ويجتبي ويصطفي لخدمته وطاعته، خيار مملكته وخلقه، ويختار الذي كان لهم فيه الخير، وكون المقام في تقرير انفراده (I) بالخلق والتقدير والاختيار، ولا وجود لنظير له في ذلك، فقد نزّه (I) نفسه في منازعة أحد في سلطانه، تنزيها لله (Y) وتقديسا وتعاليا عن ما يشرك به المشركون، وأن ينازعه أحد في اختياره وخلقه من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا[519].

الإختيار لله (I) كونه عالم بالخفايا والظواهر، وأنه المستحق للعبادة، فلا يستحقها إلا هو (Ψ)، وأنه صاحب القضاء النافذ في كل شيء، وأن إليه المرجع والمآب للسؤال والحساب، فقد بيّن الله (I) أن اختياره مبنيا على علم ثابت صحيح، فإنه (I) يعلم ما تخفيه صدورهم وما يكايدون عليه في ضمائرهم وسرائرهم من عداوة لرسول الله (ρ)، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق، فهو الذي يجازي بما يعلم من أمرهم، يختار لهم ما هم له أهل، من هدى أو ضلال، ولا شريك له في الخلق ولا في الإختيار، وهو وحده المختص بالحمد والثناء على اختياره، وعلى نعمائه، وعلى حكمته وتدبيره، وعلى عدله ورحمته، يقضي في عباده بقضائه، لا راد له ولا مبدل لحكمه، وإليه يرجع الأمر كله[520].

---

[518] سورة الزخرف: 43 \ 31 .

[519] الطبري: تفسير الطبري: (608/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (305/13)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (164/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (93/4)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (148/20).

[520] الزحيلي: التفسير المنير: (148/20)؛ سيد قطب في ظلال القرآن: (2707/5).

**تحقيق المقصد من الآيات:**

1. إقرار لمبدأ "ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختاره الله له".
2. تأكيد سنة الاستخارة فعَنْ جَابِرٍ (τ)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (ρ) يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: **(إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)**[521]، التي هم بها من سفر أو زواج أو بناء أو تجارة أو غراسة[522].
3. وهذه حقيقة كثيرا ما ينساها الناس، أو ينسون بعض جوانبها. إن الله يخلق ما يشاء لا يملك أحد أن يقترح عليه شيئا ولا أن يزيد أو ينقص في خلقه شيئا، ومرد الأمر كله إلى الله في الصغير والكبير، هذه الحقيقة لو وعاها الناس لما سخطوا على شيء يحل بهم، ولا استخفهم شيء ينالونه بأيديهم، ولا أحزنهم شيء يفوتهم أو يفلت منهم. فليسوا هم الذين يختارون، إنما الله هو الذي يختار.
4. ولا يعني هذا أن يلغوا التفكير والإرادة والنشاط. ولكن معناه أن يتقبلوا ما يقع -بعد أن يبذلوا ما في وسعهم من التفكير والتدبير والاختيار- بالرضى والتسليم والقبول. فإن عليهم ما في وسعهم والأمر بعد ذلك لله[523].
5. أن يعلم أن الخلق والإختيار والإعزاز والإذلال مفوض إلى الله تعالى، ليس لأحد فيه شركة ومنازعة[524].

---

[521] صحيح البخاري: كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الاستخارة، رقم الحديث: (6382): (81/8).
[522] الجزائري: أيسر التفاسير: (94/4).
[523] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2707/5).
[524] الزحيلي: التفسير المنير: (149/20).

6. إن الله (I) يخلق ما يشاء من المخلوقات، ويختار لكل مخلوق طريقه الذي يأخذه، إلى الهدى أو الضلال، وإلى الجنة أو النار، ولا يكون لأحد مع إرادة الله إرادة، ومع اختياره اختيار[525].
7. في الآية تكرار ليس شائبة فإن الله (Y) يخلق ما يشاء باختياره فلا يخلق شيئا بلا اختيار، وهذا مما يشاء[526].
8. الإختيار للحق (I) استحقاق عز وجب أن يكون له ذلك، فإن في نفاذ مشيئته واختياره العزة والحكم، فمن بقي عن مراده لا يكون إلا ذليلا.
9. الاختيار للخلق صفة نقص وقصور وبلاء فاختيار العبد غير مبارك عليه لأنه صفة هو غير مستحق لها، ومن اتصف بما لا يليق به افتضح في نفسه[527].
10. الدارس لطبائع الناس يدرك أن الإنسان سريع التأثر باللحظة التي يعيشها، فساعة تلين له الدنيا، فيشعر أنه صاحب الأمر والنهي، وساعة تميل عنه الدنيا، وتكشر له من أنيابها، فيحسد النمل على طمأنينته وسعيه. لحظات تنتاب الضعاف من الناس فيتناسوا حقيقتهم. فإذا وصل الإنسان إليها، أو قاربها، جاء القرآن معالجاً، وجاءت آياته تخفف عن النفس غرورها الذي انحدر بها إلى التعالي. في مثل هذا المقام، يسوق القرآن الآيات التي تجرد الإنسان حتى من ملكية نفسه فكل شيء بيد الله، وكل الدنيا ليس لها من الأمر شيء. بهذه الحقائق يعالج القرآن نشوز النفس، ويعيدها إلى حجمها من الاعتدال .[528]
11. إيحاء إلى أن الله (I) أعلم بمخلوقاته، وهذا علم شامل مطلق صادر ممن له خصائص الألوهية وكونه الإله الفرد الصمد[529].
12. بداية الآية تمهيداً للمقصود منها وهو بما أن الخلق من خصائص الله (Y) فهو الذي يختار[530].

---

[525] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (376/10).
[526] الآلوسي: روح المعاني: (310/10).
[527] القشيري: لطائف الإشارات: (77/3).
[528] غريب: محمود محمد غريب، (منهج القرآن في القضاء والقدر)، دار القلم للتراث، القاهرة، ط 2، (1998م): (26).
[529] الزحيلي: التفسير المنير: (149/20).

13. الله (I) منفرد بالألوهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار غيره، فهو العليم بكل شيء القادر على كل شيء.
14. وكونه قادرا على كل الممكنات، عالمًا بكل المعلومات، منزها عن كل النقائص والآفات، فكان هو المستحق للحمد والشكر[531].

### 3.1.4. المطلب الثالث: المقاصد القرآنية في تقرير التوحيد:

تأخذنا الآيات إلى أسلوب جديد لتقريع المشركين بأن تحداهم بأمور واضحة للعيان تجري أمامهم كل يوم فإن أوقفها الله (I) هل لكم إله يعيدها؟ تم تقسيم هذا المطلب إلى فرعين وكما يلي:

#### 1.3.1.4. أولاً: دليل العظمة والسلطان الإلهي:

{قُل أَرَءَيتُم إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيكُمُ ٱلَّيلَ سَرمَدًا إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ مَن إِلَٰهٌ غَيرُ ٱللَّهِ يَأتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسمَعُونَ قُل أَرَءَيتُم إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرمَدًا إِلَىٰ يَومِ ٱلقِيَٰمَةِ مَن إِلَٰهٌ غَيرُ ٱللَّهِ يَأتِيكُم بِلَيلٍ تَسكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبصِرُون وَمِن رَّحمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضلِهِۦ وَلَعَلَّكُم تَشكُرُونَ}[532].

السرمد: الدائم الذي لا ينقطع، وتقوله العرب لكل ما كان متصلاً لا ينقطع من رخاء أو بلاء، ويقصد به في هذه الآية: دوام الزمان من ليل أو نهار، ومعنى الآيات: أيها الرسول الكريم بلغ الناس أن يعتبروا ويتعظوا وينتبهوا إلى مظاهر قدرة ورحمة الله (I)، ماذا سيحصل لكم إن جعل الله (I) عليكم الزمان ليلا دائما إلى يوم القيامة، هل لكم من إله يأتيكم بالنور الذي تبصرون به عجائب هذا الكون، وتقضون فيه حوائجكم، وبنهار تبصرون فيه معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات، فاسمعوا إلى ما أرشدناكم إليه سماع تدبر وتفهم واعتبار يهديكم إلى طاعة الله (Y) وشكره على نعمه، ويبين (I) أنه هو الذي يهدي إلى أسباب المعيشة حيث يأتي بالنور الذي يطلب فيه الناس أسباب المعيشة، وفي الآية الأخرى أخبرهم يا أيها الرسول الكريم

---

[530] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (164/20).
[531] الزحيلي: التفسير المنير: (149/20).
[532] سورة القَصَص: 28 \ 71-73.

ماذا لو جعل الله (I) عليكم الزمان ضياء دائمًا إلى يوم القيامة هل لكم من إله يأتيكم بليلٍ تستريحون فيه من عناء العمل والكد والتعب بالنهار، أفلا ترون هذه الدلائل الساطعة الدالة على قدرة الله (Y) ورأفته بكم، أن جعل الليل للسكنى والراحة والنهار للعمل والمشقة ابتغاء فضل الله، ولنقوم بشكره على نعمه[533].

**تحقيق المقصد من الآيات:**

1. تسفيه المشركين في صرف العبادة والشكر إلى الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها مع علمهم أنها لا تملك شيئا مما ذكره (I) من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا، وصدهم عن عبادة من يعرفون أنه يملك ذلك كله.
2. تذكير من الله (Y) بعظيم نعمه ومنته حيث خلق هذا الكون محتاجاً إلى ما به قوام أنفسهم وأبدانهم في دينهم ودنياهم، ثم جعل ذلك كله على التعاون والتظاهر بعضهم بعضا[534].
3. الله (I) قرن الضياء بالسمع لأنّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن الليل بالإبصار لأنّ الرجل يبصر من منفعة الظلام ما يبصره غيره.
4. والمزاوجة بين الليل والنهار هنا لغرض السكنى في الليل، والعمل في النهار ولطلب الشكر على النعم[535].
5. إن دوام الزمان على هيئة واحدة من ليل أو نهار، يؤدى إلى إختلال الحياة، وعدم توفر أسباب المعيشة السليمة، بل ربما يؤدي إلى الهلاك.
6. المشاهد لأحوال الناس، أنه مع وجود الليل لساعات محدودة، فإنهم يشتاقون إلى طلوع الفجر، لقضاء مصالحهم، ومع وجود النهار لساعات محدودة فإنهم يتطلعون إلى حلول الليل، ليستريحوا فيه من عناء العمل.

---

[533] طنطاوي: التفسير الوسيط: (432/10)؛ القيرواني: الهداية إلى بلوغ النهاية: (5567/8)؛ الطبري: تفسير الطبري: (612/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (308/13).

[534] الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (192/8).

[535] الزمخشري: الكشاف: (429/3).

7. قوله تعالى: {أَفَلَا تَسمَعُونَ} كون حاسة السمع في الليل هي أكثر الحواس استعمالا في تلك الحالة المفترضة، وفي قوله تعالى:{ أَفَلَا تُبصِرُونَ} كون حاسة البصر في النهار من أكثر الحواس استعمالا في هذه الحالة.
8. في الآيات الكريمات إنتقال بديع من الإستدلال على انفراد الله (I) بالألوهية بصفات ذاته العلية إلى الإستدلال على ذلك ببديع خلقه، وتضمين هذا الإستدلال بإدماج الامتنان على الناس والتعريض بكفر المشركين بجلائل نعمه.
9. من دلائل وحدانية الله (I) هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذي يدركه كل مميز، ومن أجلى مظاهر التغير في هذا العالم فهو دليل الحدوث وهو مما يدخل في التكيف به جميع الموجودات في هذا العالم حتى الأصنام فهي تظلم وتسود أجسامها بظلام الليل وتشرق وتضيء بضياء النهار.
10. كأن دليل تعاقب الضياء والظلمة على الناس أقوى وأوضح من دليل أحدهما لو كان دائما، لأن قدرة خالق الضدين وكون أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر فيما لو لم يخلق إلا أقواهما وأنفعهما، ولأن النعمة بتعاقبهما دوما أشد من الإنعام بأفضلهما وأنفعهما لأنه لو كان دائما لكان مملاً ولأنتفع منه طائفة من المنافع، وفقدت منافع ضده. فالتنقل في النعم مرغوب فيه ولو كان تنقلا إلى ما هو دون[536].
11. السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج وهذا يحدث في الليل، وإن الإبصار يكون مع الضوء، ولا يتم مع الظلام بحال من الأحوال.
12. رحمة الله (I) أن النهار والليل ظرفان للسكون وطلب العيش وهذا أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والإعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولا يسخطه[537].

---

[536] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (169/20).
[537] الجزائري: أيسر التفاسير: (97/4).

### 2.3.1.4. ثانياً: تأكيد التوبيخ للمشركين:

{وَيَومَ يُنَادِيهِم فَيَقُولُ أَينَ شُرَكَاءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ وَنَزَعنَا مِن كُلِّ أُمَّة شَهِيدا فَقُلنَا هَاتُواْ بُرهَٰنَكُم فَعَلِمُواْ أَنَّ ٱلحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنهُم مَّا كَانُواْ يَفتَرُونَ}[538].

كررت جملة{ وَيَومَ يُنَادِيهِم} مرة ثانية لأن التكرار هنا من مقتضيات مقام التوبيخ، وأعاد الضمير لإختلاف الحالين، ينادون مرة، فيدعون الأصنام فلا يستجيبون، فتظهر حيرتهم، ثم ينادون مرة أخرى فيسكتون، وهو توبيخ وزيادة خزي، وأكد ذلك بالإشهاد عليهم، ليعلم أن التقصير منهم، فيكون ذلك زائدا في غمهم، وقوله تعالى: {شُرَكَاءِيَ} لكونهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم[539].

النزع : جذب شيء من بين ما هو مختلط به واستعير هنا لإخراج أناس من جماعة كما في قوله تعالى { ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُم أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحمَٰنِ عِتِيّا}[540]، أحضرنا من كلّ جماعة شهيدها وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة، والقصد من مجيء الفعل بصيغة الماضي للدلالة على تحقيق وقوعه حتى كأنه قد وقع، والقصد منه بصيغة الجمع لإظهار عظمة المتكلم، فكل رسول يشهد على قومه بأعمالهم في الدنيا، ويشهد محمد (ρ) على الأنبياء جميعا، وبعد أن يأتي نبيهم ويشهد عليهم يطالبهم رب العزة ببرهان على صحة ما ادعوه من شركاء لله (Ψ)، فعجزوا ولم يتمكنوا من الإجابة، وعلموا علم اليقين حينئذ أن الحق في الألوهية لله وحده، فلا إله غيره، ولا رب سواه، ولا شريك له في ملكه وسلطانه، وذهب عنهم أو تبدد باطلهم وافتراؤهم، وتضليلهم وكذبهم الذي كان منهم في الدنيا بنسبة الشريك لله، فلم ينفعهم شيئا، كما غابت عنهم آلهتهم غيبة الشيء الضائع، فلم ينفعوهم[541].

---

[538] سورة القَصَص: 28 \ 74-75.

[539] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (172/20)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (309/13)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (156/20).

[540] سورة مريم: 19 \ 69.

[541] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (172/20)؛ الطبري: تفسير الطبري: (614/19)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (156/20)؛ الآلوسي: روح المعاني: (315/10).

**تحقيق المقصد من الآيات:**

1. في تصدير الآيات بالسؤال التعجيزي {أَينَ شُرَكَاءِيَ}، ثم ختامها بنفس السؤال مما يشير إلى أهمية القضية، التي جاءت بها الآيات للفصل فيها، وهي قضية التوحيد بالله[542].
2. القصد من تأكيد النداء مرة ثانية التنبيه أنه لا شيء أجلب لغضب الله (Y) من الشرك، ولا شيء أدعى لمرضاته من التوحيد له (I) بالعبادة.
3. {وَيَومَ يُنَادِيهِم} الأولى في الآية (65) السابق ذكرها في المطلب الأول هي لبيان فساد رأيهم لقوله تعالى: {حَقَّ عَلَيهِمُ ٱلقَولُ} في الآية (63)، وفي هذا الموضع الثاني لبيان أن إشراكهم لم يكن عن سند بل عن محض هوى لقوله تعالى: {فَقُلنَا هَاتُواْ بُرهَٰنَكُم}[543].
4. بيان أهوال القيامة، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها.
5. إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق[544].
6. لا حجة للمشركين، ولا جواب يعذرهم، ولا شفيع يرحمهم، ولا ناصر يعينهم، فقد اشتهرت ضلالتهم، واتضحت للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد، وحاق بهم وبال السرمد[545].
7. الآيات الكريمة إنذاراً للمشركين بما ينتظرهم يوم القيامة عن جدالهم في وحدانية الله (I)، وتعاميهم عن نعمه عليهم ورحمته بهم[546].
8. النزع من الحركات الشديدة، والمقصود بها إقامة الشهيد وإبرازه وإفراده من بينهم ليشهده الجميع وليشهد قومه جميعا[547].

---

[542] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (380/10).
[543] الآلوسي: روح المعاني: (315/10).
[544] الجزائري: أيسر التفاسير: (97/4).
[545] القشيري: لطائف الإشارات: (79/3).
[546] مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1805/7).
[547] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2709/5).

## 2.4 المبحث الثاني: المقاصد القرآنية في ختام السورة:

دلّت الآيات السابقة من سورة القصص على عجز المشركين والكفار في الدار الآخرة والتيقن بأن المتصرف في جميع الأقدار إنما هو الله الواحد القهار بعد أن تخلى عنهم شركاؤهم، يبين الله (Ψ) في هذه الآيات تخلى المال عن صاحبه المغتر به، وانتفاء الإنتفاع به، وانعدام الفائدة له في إنقاذه من عقاب الله تعَالَىَ، ثم تبين الآيات وعد الله (I) لرسوله الكريم بالنصر والتمكين كما نصر سيدنا موسى (υ) من قبله، ليستكمل المعنى أنه لا ناصر إلا الله، ولا معز إلا الله، فنلاحظ الترابط بين الآيات والتلازم بين المعاني. لذلك قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، الأول في الطغيان بالثروة والمال، والمطلب الثاني في التوصيات الإلهية لرسوله الكريم (ρ) والمؤمنين.

### 1.2.4. المطلب الأول: المقاصد القرآنية في الطغيان بالثروة والمال:

من صنوف أذى أئمة الكفر للنبي (ρ) والمسلمين، وتصلبهم في إعراضهم عن دعوته هو اعتزازهم بأموالهم فبين الله (I) في هذه الآيات مآل الطغيان بالمال حتى وإن كانت له قرابة مع الرسول، فقد قسمنا هذا المطلب إلى فروع وكما يلي:

#### 1.1.2.4. أولاً: كنوز قارون:

{إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَومِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيهِم وَءَاتَينَٰهُ مِنَ ٱلكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوأُ بِٱلعُصبَةِ أُوْلِي ٱلقُوَّةِ إِذ قَالَ لَهُۥ قَومُهُۥ لَا تَفرَح إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلفَرِحِينَ}[548].

كثرت الروايات في قصة قارون مع موسى (υ) في زمان ومكان وقوع القصة، ولسنا في حاجة إلى تحديد الزمان والمكان. فالقصة كما وردت في القرآن كافية لأداء الغرض منها في سياق السورة، ولتقرير القيم والقواعد التي جاءت

[548] سورة القَصَص: 28 \ 76.

لتقريرها، فلنستعرضها إذن في صورتها القرآنية، بعيدة عن تلك الروايات التي لا طائل وراءها.

وهو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب، كان من عشيرة موسى بن عمران النبيّ (υ)، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن موسى: هو موسى بن عمران بن قاهث، وكان أيضا ابن خالته. وكان يسمى المنوّر لحسن صورته، وكان أحفظ بني إسرائيل للتوراة وأقرأهم، فنافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله.

هو من بني إسرائيل فصار عدوا لموسى (υ) ولأتباعه، فأمره أغرب من أمر فرعون، فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم، مما آتاه الله من الكنوز ونسبها إلى نفسه بعلمه وحيلته، واستخفافه بقومه بكثرة ماله وولده، وزاد في طول ثوبه شبرا[549].

هذا الخبر الإلهي دليل على ما كان للطاغية قارون من أموال وأعطاه الله من كنوز الأَموال ما دفعه إلى التكبر والتعالي على قومه وظلمهم، والمقصود من الكنوز الأموال المدخرة، ومن كثرتها فإن مفاتيحها تثقل كاهل العصبة أي الجماعة من الرجال لو حملوها كلها وذلك لثقلها. والمقصود من المفاتيح الخزائن، فتكون ثقيلة لا يستطيع حملها العصبة من الرجال، والمقصود بالعصبة الجماعة الكثيرة من غير تعيين بعدد خاص[550].

فقال له الأتقياء من قومه من بني إسرائيل ناصحين له وواعظين لا تفرح بأموالك فرح البطرين الذي يورث البغي، فهذا هو المنهي عنه وليس المقصود منه فرح السرور بنعمة الله (Y) ورضوانه مع أداء الحقوق المشروعة فلا ينهى عنه؛ لأنه نوع من الشكر على النعم، لأن الله (I) لا يحب الفرحين البطرين الذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون يكفرون ولا يشكرون، بل يطردهم من رحمته، واطلب بهذه

---

[549] الطبري: تفسير الطبري: (615/19)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (159/20)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (310/13) ؛ التحرير والتنوير: (176/20) .

[550] الجزائري: أيسر التفشاسير: (99/4)؛ مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1806/7).

الأموال التي أعطاك الله (Y) ثواب الدار الآخرة بِصَرْفها في مصارف البر والتقوى، وأن تتصدق منها وتنفق في سبيل الله في أوجه البر والإحسان. ولا تترك حظك من الدنيا ترك المنسي، فلك أن تأخذ من زينتها وطيباتها ورزقها ما تتجمل به ويعينك على تقوى الله (Y) ويقيك شر الحاجة، فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن بالشكر والطاعة عبادة الله (Ψ) وأحسن إلى عباده بالقول والعمل كما فضل الله تعالى إليك، تأسى بصنيعه معك، ولا تطلب بهذه الكنوز الفساد في الأرض والبغي على العباد بترك الفرائض وارتكاب المحرمات فإن الله لا يحب المفسدين، بل ببغضهم وينتقم منهم، ومن لم يحبه الله أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة[551].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. أعطى الله (I) المشركين والكفار المال وبين لهم أنه متاع الحياة الدنيا وزينتها، ثم بين أن قارون آتيناه أكثر مما آتيناكم واغتر بها ولم تعصمه من عذاب الله، ولم تنفعه قرابته من موسى (υ) ولا كنوزه.
2. قصة قارون لها ارتباط مع الآيات السابقة التي كانت تتناول مواقف المشركين من رسول الله (ρ)، ومن الكتاب الذي بين يديه، فجمعت قارون وهامان وفرعون والمشركين بملة واحدة، تمثل الكفر، والعناد، والعتوّ، والفساد في الأرض.
3. قصة قارون إنذار ليهود المدينة من قبل أن يلقاهم رسول الله (ρ) لقاءاً مباشرا، حتى لا يقفوا موقف قارون، حين يدعوهم الرسول (ρ) إلى الله، فإنهم إن فعلوا أخذهم الله كما أخذ قارون من قبل[552].
4. البغي عاقبته وخيمة، والظلم نهايته خراب العمران والديار.
5. كثرة المال محنة وبلاء، وسبب للطغيان والفساد.

---

[551] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (178/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (99/4)؛ الآلوسي: روح المعاني: (316/10)؛ مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1807/7).

[552] الخطيب: التفسير القرآني: للقرآن: (383/10).

6. المغترّ بماله جاهل ليس لديه علم، أو علمه ناقص، ويبطر عند النعمة، فإن الله تعالى يعاقب الأشرين البطرين الذين لا يشكرون نعمة الله تعالى عليهم.
7. أصول الحضارة الإسلامية أربعة: العمل الصالح ابتغاء ثواب الآخرة، وعمارة الدنيا بإتقان دون أن تستولي على مشاعر الإنسان، والإحسان إلى الناس إحسانا ماديا ومعنويا أو خلقيا، وقمع الفساد والعصيان والخراب.
8. من حق المؤمن أن يصرف الدنيا بما ينفعه في الآخرة، لا في البغي والتجبر، وألا يصرف الوقت في غير العمل الصالح في دنياه.
9. نصيب الإنسان من عمره عمله الصالح فيها، وأن يطيع الله ويعبده كما أنعم عليه، وألا يعمل بالمعاصي والإفساد، فإن الله يجازي المفسدين[553].

### 2.1.2.4. ثانياً: المقاصد القرآنية في رفض قارون للنصيحة:

{قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلمٍ عِندِي أَوَ لَم يَعلَم أَنَّ ٱللَّهَ قَد أَهلَكَ مِن قَبلِهِۦ مِنَ ٱلقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنهُ قُوَّة وَأَكثَرُ جَمعا وَلَا يُسـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلمُجرِمُونَ}[554].

بعد الموعظة التي تلقاها قارون من قومه الصالحين أهل العلم والبصيرة كان رده في جملة واحدة، تحمل معاني الفساد والإفساد فقال إنما أوتيت هذا المال استحقاقا على علمي الذي طوع لي جمعه وتحصيله. لماذا تملون عليّ طريقة التصرف فيه، وتتحكمون في ملكيتي الخاصة، وأنا حصلت على هذا المال بجهدي وعلمي الخاص فلا تهددوني بسلب المال ولا تخوفوني، ولولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا المال، رد الله (Y) عليه في زعمه هذا ألم يعلم في جملة ما عنده من الدراية والعلم أنه قد كان من هو أكثر منه جمعاً للمال، وما كان ذلك منا عن محبة له، أو أنه أهل له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم، ولا يسأل المجرمون عن كثرة ذنوبهم، أي إذا عاقب الله تعالى المجرمين فلا حاجة

---

[553] الزحيلي: التفسير المنير: (163/20).
[554] سورة القَصَص:28 \ 78.

به إلى أن يسألهم عن أنواع ذنوبهم ومقدارها لأنه تعالى عالم بكل المعلومات، فلا حاجة به إلى السؤال. فالمراد بذلك سؤال الاستفسار والاستعلام[555].

ثم جاءه الرد بالتهديد قبل ختام الآية، ردا على مقولته المغرورة، وما يقوله من الزعم الكاذب، فقد أهلك الله (Ψ) من قبله أمماً كانت أشد منه قوة وأكثر أموالاً، فلو كانت كثرة المال دليلاً على حب الله (Y) ورضاه عن أهله، ما أهلك عاداً وثمود وقوم نوح من قبل وكانوا شديدي القوة واكثر جمعاً فكان عليه أن يعلم هذا، وليعلم أنه هو وأمثاله من المجرمين أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم. فليسوا هم الحكم ولا الأشهاد، وقد يكون السؤال كناية عن عدم الحاجة إلى السؤال عن ذنوبهم فإن الله (I) على علم بذنوبهم، وهو تهديد لهم ليكونوا حذرين من أن يؤخذوا بغتة، وقد يكون السؤال بمعناه الحقيقي، أن لا يسأل المجرم عن جرمه قبل عقابه لأن الله (I) قد بين للناس على ألسنة الرسل بحدَّي الخير والشر، وأمهل المجرم فإذا أخذه أخذه بغتة كقوله تعالى {حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ}[556]، وفي الحديث: **(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ)**[557]، فإذا أكثر الإنسان من الإجرام بالشرك والمعاصي حقت عليه كلمة العذاب، فلا يسأل عن ذنوبه بل يؤخذ فجأة، ويدخلون النار بغير حساب فلا يسألون ولا يحاسبون[558].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. مصدر الخير والرزق بيد الله (I)، والعبد عليه أن يعمل ويكتسب، والله (Ψ) هو الرازق المسبب أسباب الرزق، مانح الثراء والمال، وهو المستحق للشكر على تلك النعمة.

---

[555] الزحيلي: التفسير المنير: (162/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (99/4)؛ سيد قطب: في ظلال القرآن: (2712/5).

[556] سورة الأنعام: 6 \ 44.

[557] البخاري: صحيح البخاري: كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: { وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ} ١٠٢هُود الآية رقم الحديث: (4686): (74/6).

[558] سيد قطب: في ظلال القرآن: (5712/5)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (182/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (99/4)؛ الطبري: تفسير الطبري: (627/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (316/13).

2. إنّ من جهل الإنسان أن ينسب الخير والفضل لنفسه ومواهبه، أو يدعي أنه جدير بما أعطي، أو أن ما أعطاه الله هو دليل على محبة الله ورضاه عنه، فقد يكون العطاء فتنة واستدراجا، وليس معناه الرضا والمودة، لذا كان من العبث اغترار قارون بكثرة ماله.
3. لو كان المال يدل على فضل لما أهلك الله (I) كثيرا من الأمم الخالية الكافرة، الذين هم أشد قوة من قارون، وأكثر جمعا للمال منه.
4. الله (Ψ) عليم بكل شيء، فلا يسأل الذين أجرموا عن ذنوبهم سؤال استعلام واستعتاب، ولا يقبل منهم اعتذارهم، وإنما يكون السؤال سؤال تقريع وتوبيخ[559].
5. المقصود بهذا المشهد من القصة تجلي صورة البغي والتطاول، والصد عن النصح، والتكبر على الموعظة، والإصرار على الفساد، والغرور بالمال، والبطر الذي يمنع بالنفس عن الشكران[560].

### 3.1.2.4. ثالثاً: بيان مواقف أهل الدنيا وأهل الآخرة من الطغاة بالمال:

{فَخَرَجَ عَلَىٰ قَومِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلحَيَوٰةَ ٱلدُّنيَا يَٰلَيتَ لَنَا مِثلَ مَا أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيم وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلعِلمَ وَيلَكُم ثَوَابُ ٱللَّهِ خَير لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحا وَلَا يُلَقَّىٰهَا إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ} [561].

لم يتعظ قارون بتلك المواعظ بل أعقبها بخروجه مباشرة فَخَرَجَ هذا الخروج المليء صلفا وازدراء برفضه الموعظة بقوله وفعله، خرج من داره على بني إسرائيل فيما يرى هو والمفتونين بالدنيا من زينة متاع الحياة الدنيا، من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد، وأياً كان نوع الزينة فيكفي وصفها في القرآن زينة، فطارت لها قلوب فريق بني إسرائيل، وتهاوت لها نفوسهم، وتمنوا لأنفسهم مثل ما عند قارون، ويحسبون أنه أعطي حظا عظيما يشتهيه المحرومين، تمنوا أن يكون

---

[559] الزحيلي: التفسير المنير: (164/20).
[560] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2712/5).
[561] سورة القَصَص: 28 \ 79-80

عندهم مثل ما عند قارون وكان ذلك التمني على سبيل الغبطة والغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه، كهذه الآية والحاسد هو الذي يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه[562].

فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع الشرعي الديني العالمون بالدنيا والآخرة، وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما زجروهم وقالوا لهم {وَيلَكُم} كلمة تستعمل للدعاء بالهلاك ثم استعملت في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى، أي ويحكم هلكتم إن كنتم تؤثرون هذه الدنيا الفانية على الدار الآخرة الباقية وثواب الجنة خير من هذا الزخرف الزائل، فإن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (τ)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ρ): **(قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** {فَلَا تَعلَمُ نَفس مَّا أُخفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعيُن جَزَاءَ بِمَا كَانُواْ يَعمَلُونَ }[563]، هذا الثواب عند الله لا يجده إلّا الصابرون من أهل الإيمان والتقوى الذين كان عملهم صالحاً في الدنيا بأداء الفرائض والنوافل وترك المحرمات والرذائل، هم الذين يلقنهم الله إياها فيتلقونها بصفاء أرواحهم وزكاة أنفسهم[564].

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. في الآيات دليل قوي على أن الجهل بشرائع الله ووعده ووعيده هو سبب كل شر وفساد في الأرض، وأن العلم بالشرائع هو سبيل الإصلاح في الأرض.
2. من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عالمون ينصحون ويرشدون ويوجهون[565].

---

[562] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (183/20)؛ القرطبي: ، تفسير القرطبي: (316/13)؛ سيد قطب: في ظلال القرآن: (2712/5)؛ حوى: الأساس في التفسير: (4113/7).

[563] سورة السجدة: 32 \ 17

[564] حوى: الأساس في التفسير: (4113/7)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: (255/6)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (102/4)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (166/20).

[565] الجزائري: أيسر التفاسير: (102/4).

3. استبداد البغي والغرور والبطر والكبر لقارون، فتعالى على قومه بني إسرائيل، وأراد إظهار أبهته وعظمته أمامهم، فخرج عليهم في يوم عيد في موكب مهيب مزدان بمتاع الحياة الدنيا من الثياب والتجمل والدواب.
4. انقسام الناس في شأن قارون فريقين: فريق انبهر بسطحيات الأمور، فأعجبه المظهر، وتمنى أن يكون مثل قارون في الثروة والمال والعزة والجاه، وهؤلاء هم الماديون في كل زمان. وفريق آخر نور الله قلبه، ولم يلتفت إلى مظاهر الدنيا وزخارفها، وإنما نظر إلى الحقائق، وأدرك أن الدنيا فانية، وأن السعادة بالفوز في الآخرة[566].
5. الصبر وسيلة لنوال الأمور العظيمة يحتاج السعي لها إلى تجلد لما يلاقي خلاله من مصاعب وعقبات فإن لم يكن المرء متخلقا بالصبر خارت عزيمته فترك ذاك لذاك[567].

### 4.1.2.4. رابعاً: الهلاك للطغاة:

{فَخَسَفنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلأَرضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَة يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلمُنتَصِرِينَ}[568].

خسف المكان غارت به الأرض وخسف الله به الأرض خسفا أي غاب به في الأرض، وهو انقلاب بعض ظاهر الأرض إلى باطنها، فانخسفت، وإنما يكون الخسف بقوة الزلزال. فخسفنا بقارون وأهل داره وبداره، ذكر أن الله (I) أوحى إلى موسى (υ) أن يأمر الأرض بأن تأخذ قارون، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى (υ)، ولا داعي لبيان الأسباب المروية في التفاسير التي أدت إلى هذا الأمر، فإنها متعارضة ومضطربة، والأولى تركها، والإكتفاء بما جاء به النص القرآني، وتفويض سائر

---

[566] الزحيلي: التفسير المنير: (168/20).
[567] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (185/20).
[568] سورة القَصَص: 28 \ 81

التفاصيل إلى عالم الغيب [569].فخرق الله (I) بقارون وبداره الأرض وغيبهم في جوفها، فما كان له من جماعة غير الله يدفعون عنه نقمة الله ونكاله، وما أغنى عنه ماله وخزائنه ولا خدمه وحشمه وأنصاره، وما صح ولا استقام أن يكون من الممتنعين من بطش الله بأي سبب من أسباب الامتناع، فإنه لا بد واقع، ليس له من دافع، بل كان من الأذلين الذين تلقوا عقوبة الله- تعالى- باستسلام وخضوع وخنوع، دون أن يستطيع هو أو قومه رد عقوبة الله [570].

عن النبي (ρ) قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)[571].

هكذا في جملة بسيطة قصيرة، ولحظة خاطفة ابتلعته الأرض وابتلعت داره، وهوى في بطن الأرض التي علا وتكبر فيها واستطال فوقها، ذهب ضعيفا عاجزا، لا أحد ينصره، ولا ينتصر بجاه أو مال[572].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. يدور الزمن دورته، ويسقط حساب قارون مع دنياه هذه، وما جمع فيها، وإذا هو وما جمع في حفرة عميقة في الأرض، قد فتحت فاها، وابتلعته في غمضة عين، كما يبتلع الحيوان فريسته.
2. فَخَرَجَ وفَخَسَفنَا دلالة الفاء هنا على سرعة التعقيب في ساعة خروج قارون في ازدهائه وفي لحظة تعجيل عقابه في الدنيا، وما جرى بين هذين الزمنين من تمني قوم أن يكونوا مثله.
3. هكذا تطوى صفحة الضلال، وتذهب معالمه، دون أن يكون له من ينصره من بأس الله ويدفع عنه هذا المصير، فقد ذهب عن قارون سلطانه، ولم يغن عنه ماله[573].

---

[569] القرطبي: تفسير القرطبي: (13/ 318)؛ الطبري: تفسير الطبري: (629/19)؛ الرازي: مفاتيح الغيب: (17/25)؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير: (185/20).

[570] طنطاوي: التفسير الوسيط: (440/10)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: (256/6)؛ مجمع البحوث: التفسير الوسيط: (1815/7).

[571] صحيح البخاري: كتاب: اللباس، باب: من جرّ ثوبه من الخيلاء، رقم الحديث: (5789): (141/7).

[572] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2713/5).

4. عقوبة خسف الأرض للطغاة لم تحدث إلّا لقارون ومن ظاهره وداره، وهي من معجزات سيدنا موسى (υ)[574].
5. هوى الطاغية وهوت معه الفتنة التي جرفت بعض الناس، وردتهم هذه الضربة القاضية إلى الله وكشفت عن قلوبهم قناع الغفلة والضلال[575].
6. في مقارنة بين سيدنا عيسى (υ) وقارون عبرة لمن اعتبر؛ فإن عيسى (υ) من زهده في الدنيا، لم يتخذ لنفسه مسكنًا يسكنه، ولا اتخذ لنفسه ما يتعيش به، ولا اشتغل بشيء من الدنيا، فرفعه اللَّه (I) إلى العلياء إلى السماء، فجعل عيشه ومقره فيها في كرامة اللَّه وجواره. بينما قارون كان يرغب في هذه الدنيا رغبة، وجهد في طلبها بكل طاقته ووسعه، وركن إليها ركونًا، حتى خسف اللَّه به في الأرض، وأدخله فيها مع كنوزه وأتباعه، فيكون فيها إلى يوم القيامة؛ ففي ذلك عبرة وآية لكل راغب وزاهد، فيرغب الزاهد في الزهد فيها، وينزجر الراغب عن الرغبة فيها[576].

### 5.1.2.4. خامساً: العبرة والاتعاظ عند معاينة آيات الله (Y):

{وَأَصبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّواْ مَكَانَهُۥ بِٱلأَمسِ يَقُولُونَ وَيكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبسُطُ ٱلرِّزقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِۦ وَيَقدِرُ لَولَا أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَينَا لَخَسَفَ بِنَا وَيكَأَنَّهُۥ لَا يُفلِحُ ٱلكَٰفِرُونَ}[577].

تلك العيون التي كانت ناظرة لموكب قارون وما يجر وراءه، وتمنت في الماضي القريب أن يكون لهم مثل ما لقارون، فإذا بها شاخصة في ذهول مما حدث، أين قارون الذي تعلقت بأذيال موكبه أمانيّ القوم؟ وأين كنوزه وأمواله، وقصوره؟ لا شيء من هذا، اختفى كل شيء في لحظة خاطفة، فأخذوا يقولون بأعجب أداة للتعجب والانبهار (وي)، تعجب من تصاريف القدر، فأيقنوا أن الله (Y) وحده من يمدّ الرزق لمن يشاء من خلقه ويضيقه على من يشاء، وليس كثرة المال دليل على

---

[573] الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (390/10).
[574] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (185/20).
[575] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2713/5).
[576] الماتريدي: تأويلات أهل السنة: (202/8).
[577] سورة القَصَص: 28 \ 82

رضا الله (I) عن صاحبه، فإن الله بحكمته وعلمه يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضيق ويوسّع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة، وكذلك يقولون لولا أن لطف الله بنا، وأحسن إلينا، لخسف بنا الأرض، كما خسف بقارون لأننا تمنينا أن نكون مثله، فقد كان من فضل الله علينا أنه لم يستجب لأمنياتنا، ألم تر أن الله لا يحقق الفوز والنجاح للكافرين به، المكذبين رسله، المنكرين ثواب الله وعقابه في الآخرة، مثل قارون، ويعودون إلى التعجب والانبهار مرة أخرى ويتيقنون علن اليقين أنه لا فلاح للكافرين، وإن كثرت أموالهم، وملكوا الدنيا في أيديهم، فهم الخاسرون خسرانا مبينا، في الدنيا والآخرة جميعا[578].

الذين تمنوا مكانة قارون بالأمس وقفوا اليوم يحمدون الله (Y) أنه لم يستجيب لهم ما تمنوه، ولم يعطهم ما أعطى قارون، وهم يشاهدون عياناً وسمعاً المصير البائس الذي انتهى إليه بلحظة خاطفة، وأيقنوا إلى أن الثراء ليس آية على رضى الله. فهو يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه لأسباب أخرى غير الرضى والغضب. ولو كان دليل رضاه ما أخذ قارون هذا الأخذ الشديد العنيف. إنما هو الابتلاء الذي قد يعقبه البلاء. وعلموا علم اليقين أن الكافرين لا يفلحون، مع العلم أن قارون لم يجهر بكلمة الكفر، ولكن غروره وطمعه بالمال، ونسبته إلى ما عنده من العلم جعلهم يدرجونه في عداد الكافرين، ويرون في نوع هلاكه أنه هلاك للكافرين[579].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. الله يَبْسُطُ يمدّ ويعطي وَيَقْدِرُ يضيق ويقتر بمقتضى مشيئته، لا لكرامة تقتضي البسط، ولا لهوان يوجب القبض[580].
2. التعجيل بالعقوبة في الدنيا إنذار وتحذير ينتفع به بعض العصاة، فينتهوا عن معصيتهم، وينتفع به ضعاف الإيمان حيث يتقوى إيمانهم.

---

[578] الزحيلي: التفسير المنير: (167/20)؛ الخطيب: التفسير القرآني للقرآن: (391/10).
[579] سيد قطب: في ظلال القرآن: (2714/5).
[580] الزحيلي: التفسير المنير: (165/20).

3. من خلال رجوع الذين تمنوا أن يكون لهم مثل ما أوتي قارون من المال، تتجلى بوضوح فضيلة الرجوع عن الخطأ[581].

### 6.1.2.4. سادساً: عدم التكبر وعدم الإفساد سبب للفوز بالآخرة:

{تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادا وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡر مِّنۡهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ}[582]

{تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ} على جهة التعظيم لها والتفخيم لشأنها، دار القرار ودار الثواب في الجنة، تلك التي سمعت بذكرها، وبلغك وصفها، نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحقّ في الأرض وتجبرا وتكبرا على الإيمان والمؤمنين ولا فسادا ولا ظلم الناس بغير حقّ، ولا نجعلها للذين يقترفون المعاصي، من أخذ المال بغير حق، والدعاء إلى غير عبادة الله، الذين لا يجزعون من ذلّ الدنيا. ولم ينافسوا في عزها، وأشدهم تواضعا أرفعهم عند الله، وأعزهم غدا ألزمهم لذل اليوم[583].

قوله تعالى:{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ} من أتى يوم القيامة بالطاعات لله ورسوله فجزاءه مضاعفا الحسنة بعشر أمثالها وقد تضاعف إلى أكثر بشرط أن يكون عملها في الدنيا، أي أن لا تكون حسنة أعطيت له من حسنات ظالم في الدنيا فهذه لا تتضاعف، وأفضل حسنة يأتي بها العبد يوم القيامة هي (لا إله إلّا الله) فليس شيء خيراً منها، ومن أتى يوم القيامة بالسيئة وهي معصية الله (I) ورسوله (ρ) في الدنيا فيجزى مثلها أي لا تضاعف عليه وذلك من عدالة الله (I) ورأفته بعباده، فإن الدنيا هي دار العمل والآخرة دار الجزاء، وأعظم معصية يأتي بها العبد يوم القيامة هي الشرك بالله (I)، والذين يعملون السيئات في الدنيا يعاقبون حسب أعمالهم[584].

---

[581] مطني: سورة القَصَص دراسة تحليلية: هلاك قارون وماله، https://shamela.ws.ت.م (25-2-2021)

[582] سورة القَصَص: 28 \ 83-84

[583] الطبري: تفسير الطبري: (637/19)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (320/13).

[584] القرطبي: تفسير القرطبي: (320/13)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (104/4).

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. انتهت قصة قارون بما فيها من العبر من خير وشر، فجاءت الآيات التي بعدها باستئناف كلام عن الجزاء على الخير والشر في الحياة الأبدية وأنها معدة للذين حالهم بضد حال قارون، مع مناسبة ذكر الجنة بعنوان الدار لذكر الخسف بدار قارون للمقابلة بين دار زائلة ودار خالدة.
2. بدأت الآيات بابتداء مشوق وهو اسم الإشارة ليستشرف السامع إلى معرفة المشار إليه[585].
3. هذه الآيات تعقيب على قصة قارون، التي كان مدارها قائما على هذه الدنيا، وقد انتهى المشهد، بالخسف في الدنيا والخذلان في الآخرة. فلِمَ الالتفات إلى هذه الدنيا والاشتغال بها؟ بل لتلتفت النفوس وتشتغل القلوب في الدار الآخرة الدار الباقية.
4. نعيم الدار الآخرة الدائم الذي لا يحول ولا يزول، ولا مشقة ولا عناء فيه، يجعلها الله (I) لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون ترفعا على خلق الله وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم بغير حق، ولا فساداً بأخذ أموالهم بغير حق.
5. الوعد بالنعيم ليس فقط بترك العلو والفساد، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب إليهما[586].
6. حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والفساد في الأرض، والعمل بالمعاصي.
7. بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.
8. العاقبة الحسنى وهي الجنة لأهل الإيمان والتقوى[587].

---

[585] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (189/20).

[586] الشحود: علي بن نايف الشحود، (دُروسٌ وعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ قارونَ)، دار المعمور، بهانج، ماليزيا،ط 2، (بدون تاريخ): (78).

[587] الجزائري: أيسر التفاسير: (105/4).

### 2.2.4. المطلب الثاني: المقاصد القرآنية في التوصيات الإلهية للرسول (ρ):

بعد استعراض القَصَص في هذه السورة قصة موسى (υ) مع فرعون وربطها مع بعثة الرسول (ρ) إلى أهل مكة، واستعراض قصة موسى (υ) مع قارون والعبر والعظات منها، تأتي الآيات التالية بتوصيات وتوجيهات للرسول (ρ) نستعرضها في الفروع التالية:

#### 1.2.2.4. أولاً: الوعد بالعودة والنصر والتمكين:

{إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيكَ ٱلقُرءَانَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد قُل رَّبِّي أَعلَمُ مَن جَاءَ بِٱلهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَٰل مُّبِين}[588].

لما خرج النبي (ρ) مهاجراً من مكة إلى المدينة، فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة، فأنزل الله (I) هذه الآية تسلية له (ρ)، وردت عدة معاني في كتب التفاسير عن {لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَاد} فقد تكون العودة إلى مكة، أو إلى الجنة، أو إلى الموت، أو إلى يوم القيامة، كما اختلف من القصد في معنى مَعَاد فقد تكون أصلها من العادة، أي إعادتك إلى عادتك من الموت أو إلى عادتك حيث ولدت، أو قد تكون بمعنى العود فيكون تأويلها أن تعود إلى مكة مفتوحة[589].

ويميل الباحث إلى أن معنى الآية أن الله (I) الذي أنزل عليك القرآن سيردك إلى مكة فاتحاً ومنتصراً.

يتضح لنا من سياق السورة الكريمة أنها تدعو إلى أصول الدين الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء، وفي هذه الآيات الكريمة لخاتمة السورة يبلغ رب العباد (I) رسوله الكريم أن الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، لمرجعك إلى مكة بعد خروجك منها واشتياقك إلى العودة إليها، وإلى الجنة بعد وفاتك لأنك دخلتها ليلة عرج بك إلى السماء، وفي هذا تأكيد لنبوته (ρ) بالوحي إليه، وعلم الله (I) رسوله الكريم (ρ) كيف يرد على المشركين الذين اتهموه بأنه ضال في دعوته وخروجه عن دينهم، فيقول لهم إن ربي أعلم بمن

---

[588] سورة القَصَص: 28 \ 85

[589] الطبري: تفسير الطبري: (638/19-641)؛ القرطبي: تفسير القرطبي: (321/13).

جاء بالهدى وهو رسول الله (ρ)، ومن هو في ضلال مبين وهو أنتم أيها المشركون[590].

**تحقيق المقصد والهدف من الآية:**

1. ختم السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ برده إلى مكة قاهرًا لأعدائه[591].
2. ابتداء الآية , تنبيه بشأن الرسول (ρ) , وتثبيتاً لفؤاده , ووعده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة.
3. إن إنكار أهل الضلال لرسالة الرسول (ρ) لا يضره , لأن الله (I) أعلم بأنه على الهدى , والمشركون على الضلال , بعد أن تقدم من أحوال رسالة موسى (υ) وما فيها من عبر, بالمقارنة بين حالي الرسولين وما لقياه من المعرضين.
4. الذي أعطى الرسول (ρ) القرآن ما كان إلا مقدرًا أن ينصره ويكرمه لأن إعطاء القرآن شيء لا نظير له فهو دليل على كمال عناية الله (Y) بالمعطى له[592].
5. استخدام القرآن الكريم لأسلوب اللين والحكمة وإثارة الانتباه، للتفكير في حقيقة دعوة الإسلام، فلا يحسم الأمر بل يترك مجالاً للمناقشة والأخذ والرد، لذا أمر الله (I) نبيه أن يقول: {قُل رَّبِّي أَعلَمُ مَن جَاءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَٰل مُّبِين} قل لكفار مكة وأمثالهم إن ربي هو العالم بالمهتدي والضال: أنا أم أنتم[593].
6. الإخبار بوقوع الغيب من معجزات القرآن وذلك حيث عاد الرسول (ρ) إلى مكة بعد الخروج منها.
7. مشروعية الملاينة في الجدال والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال أسلوب التشكيك[594].

---

[590] الجزائري: أيسر التفاسير: (106/4).
[591] القرطبي: تفسير القرطبي: (321/13).
[592] ابن عاشور التحرير والتنوير: (192/20).
[593] الزحيلي: التفسير المنير: (179/20).
[594] الجزائري: أيسر التفاسير: (107/4).

### 2.2.2.4. ثانياً: مقاصد القرآن الكريم في التوجيهات الإلهية:

{وَمَا كُنتَ تَرجُواْ أَن يُلقَىٰٓ إِلَيكَ ٱلكِتَٰبُ إِلَّا رَحمَة مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرا لِّلكَٰفِرِينَ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَن ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعدَ إِذ أُنزِلَت إِلَيكَ وَٱدعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلمُشرِكِينَ وَلَا تَدعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُۥ لَهُ ٱلحُكمُ وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ}[595].

ما كنت يا محمد تظن أن الوحي سينزل إليك من قبل أن يوحى إليك، وأن القرآن سينزل على قلبك، لكن رحمة ربك عليك اقتضت إنزاله عليك لتكون رسول الله للعالمين، وهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم، فتعلم به أخبار الماضين، وتعرف منه دستور الحياة، وتشريع المجتمع الذي فيه سعادتهم ونجاتهم، ولكن إنما أنزل ربك الوحي عليك وألقى عليك الكتاب، رحمة منه بك وبالعباد بسببك[596].

تضمنت الآيات بالثواب الجزيل والنصر المبين، فكما حمّلك (I) تبليغ القرآن فكان ذلك علامة على إعداد الجزاء بالنصر في الدنيا والآخرة. وكذلك إنزال الكتاب عليك من غير ترقب منك بل بمحض رحمة الله (I)، فهو كذلك علامة لك على أن الله لا يترك نصرك على أعدائك فإنه (I) ما اختارك إلا لأنه أعد لك نصرا مبينا وثوابا جزيلا[597].

ثم جاءت التوصيات من العلي القدير[598]:

1. {فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرا لِّلكَٰفِرِينَ} لا تكن عونا لهم بحال من الأحوال.
2. {وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَن ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعدَ إِذ أُنزِلَت إِلَيكَ } لا تترك تلاوة القرآن وتبليغه والعمل بها وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية.
3. {وَٱدعُ إِلَىٰ رَبِّكَ} ادع الناس إلى توحيد الله (Y) والعمل بشرعه.

---

[595] سورة القَصَص: 28 \ 87-88

[596] الطبري: تفسير الطبري: (642/19)؛ الزحيلي: التفسير المنير: (177/20)؛ الجزائري: أيسر التفاسير: (106/4).

[597] ابن عاشور: التحرير والتنوير: (194/20).

[598] الجزائري: أيسر التفاسير: (106/4-107).

4. {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} تبرأ من المشركين ولا ترضى بشركهم وادعهم إلى التوحيد.
5. { وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}لا تعبد مع الله إلها آخر لا بالدعاء ولا بالنذر ولا بالذبح ولا بتقديم أي قربان أو طاعة لغير الله (Y)، وفي هذا تقرير للتوحيد وإبطال أن يكون هناك إله مع الله (Ψ).

ثم بيّن الله تعالى صفات الألوهية التي تفرد بها فقال[599]:

1. {كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ}كل ما في الوجود يذهب ويفنى إلا ذات الله المقدسة، فهو الدائم الباقي، الحي القيوم، الذي يميت الخلائق ولا يموت، كما قال (I): {كُلُّ مَن عَلَيۡهَا فَانٖ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ}[600]، وفي الحديث قَالَ رسول الله (ρ): **(أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلٌ)**[601].
2. {لَهُ ٱلۡحُكۡمُ} له الملك والتصرف والقضاء النافذ في الخلق، ولا معقب لحكمه.
3. {وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ} مصير جميع الخلائق إلى الله (I)، فإليه الرجعى والمعاد، ويجزي الناس بأعمالهم، فإن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

**تحقيق المقصد والهدف من الآيات:**

1. القرآن الكريم رحمة خالصة من عند الله (Y)، يختص بها من يشاء من عباده، ويحجبها عمن يشاء عمن يشاء بعلمه في خلقه:{ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ}[602].
2. هذه الرحمة التي وضعها الله (I) بين يدي رسوله الكريم (ρ) ليجعلها قوة تظاهر المؤمنين، وتقوّى جبهتهم، إزاء الكافرين والمشركين وأهل الضلال جميعا، لأنها قوة من قوى الحق، ومن شأنها أن تخلص لأهل الحق وحدهم.

---

[599] الزحيلي: التفسير المنير: (178/20-179)
[600] سورة الرحمن: 55\ 26-27
[601] البخاري: صحيح البخاري: كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، رقم الحديث: (3841): (42/5).
[602] سورة الأنعام: 6 \ 124

3. تثبيت لقلب الرسول (ρ)، وترسيخ إقدامه في القيام على الدعوة، وألا يلفته شيء عنها، المهم أن تبقى راية الحقّ قائمة في يده.
4. إذا سلم المرء على دينه، وخسر كل شيء، فهو الذي ربح كل شيء ولم يخسر شيئا، لأن كلّ شيء هالك وإلى زوال، ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام[603].
5. حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لا سيما ضد المؤمنين.
6. الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها.

[603] الخطيب: التفسير القرآني: للقرآن: (397/10).

## الخاتمــة

الهدف من هذا البحث هو الكشف عن مقاصد لسورة عظيمة من سور القرآن الكريم وكل سور القرآن الكريم عظيمة، هي سورة القَصَص، وإظهار أبعادها وامتداداتها في حياة الناس وتحويل الإرادة في نفوسهم وتحويل القرآن الكريم إلى سلوك عملي واقعي ينقل الأمة من حالتها السلبية إلى الحالة الإيجابية من خلال البعد الإيماني والبعد العملي.

وفي خاتمة هذا البحث المتواضع لا يسعني إلا أن أحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات,وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له,وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبده ورسوله,خير البشر أجمعين,وشفيعنا يوم الكرب العظيم؛من علَّم البشرية مكارم الأخلاق,وهاهي القطرات الأخيرة في مشوار كتابة البحث،الذي تكلَّم فيه الباحث عن ( المقاصد القرآنية من خلال سورة القصص ) وبدل الباحث جهداً كبيراً ؛ لكي يخرج بهذا الشكل،ويرجو من الله التوفيق والسداد ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإن وُفِّقَ فمن الله عزَّ وجل وإن أخفقَ فمن نفسه، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وفي الختام نستعرض بعض النتائج التي توصل إليها الباحث:

**النتائج:**

1. علم مقاصد الآيات القرآنية هو العلم الذي يقف على المعاني والأغراض الأساسية والموضوعات الرئيسة التي تدور عليها سورة معينة. وقد يُعبِّر المفسرون عن مصطلح (مقاصد السور) بمصطلحات أُخر، مثل: مغزى السورة، أو غرض السورة، أو الوحدة الموضوعية، أو الحكمة أو الأسرار أو الغايات.
2. جمعت مقاصد القرآن الكريم في الكليات الخمس وهي (حفظ الدين، أو العقيدة والنفس والعقل والنسل، أو النسب والمال) والعلل المتصلة بأحكامها وأدلتها.
3. الصحابة (رضوان الله عليهم) أفهم الأمة في مقاصد القرآن الكريم والمراد منه، لهذا هو ليس بالعلم الذي اكتشفه اللاحقون من العلماء.

4. أهمية علم مقاصد القرآن من كونه الوسيلة لتحقيق الغاية من إنزال هذا القرآن كله وهو التفكر فيه والاهتداء بما تضمنه.
5. للقَصَص القرآني تأثير عظيم في تربية النفس؛ وقَصَص السابقين التي ذُكِرَتْ في الكتاب والسنة الصحيحة ثُثَبِّت قلوب المؤمنين، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال.
6. سورة القَصَص مكية كلها إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي من الآية (52) إلى الآية (55)، والآية (85) نزلت بين مكة والمدينة في وقت هجرة الرسول (ρ)، وسياق السورة عموماً يدل على أنها مكية.
7. محور سورة القَصَص يدور حول توضيح أصول عقيدة التوحيد والرسالة والبعث من خلال العبر في قصص الأنبياء، وهي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي عرضت قصة سيدنا موسى من بداية حياته (من الحمل ثم الولادة)، ومرحلة الشباب والزواج ومرحلة التكليف بالرسالة.
8. من مقاصد القرآن الكريم في سورة القَصَص، أهمية الدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس، وهداية الناس إلى طريق الحق، والتربية الإسلامية الهادفة للأجيال، وإقراراً لحقيقة يوم القيامة وما يحتويه من أهوال، وفي السورة أسلوب الجمع بين الثواب والبشارة للمؤمنين، والعقاب والإنذار للطغاة والمتكبرين والمشركين.
9. إرادة الله (I) فوق إرادة أيّ من مخلوقاته مهما بلغ هذا المخلوق من الاستعلاء والطغيان والتكبر، ومهما استضعف الناس وأذّلهم، فإن الله (I) ناصرهم إذا صبروا وتمسكوا بدينهم.
10. الأنبياء (عليهم السلام) أشد ابتلاءً ثم الذين يلونهم.
11. في سورة القَصَص تسلية للرسول (ρ) وبشارة له وللمؤمنين من خلال السرد القَصَصي، بأن النصر آت لا محالة متى تمسك المسلمون بدينهم وصبروا وأحسنوا الظن بالله.

12. لابد للداعي إلى الله (Ψ) أن يبلغ رسالة الله (Y)، وأن يقول كلمة الحق مهما كان الحاكم ظالماً ومتكبراً.
13. في السرد القصصي لسورة القَصَص تشابه كبير بين ما لقيه قوم موسى (υ) من فرعون وقارون وبين ما عاناه الرسول (ρ) والمؤمنون من المشركين.
14. ذُكِرت سورة القَصَص قصة قارون بالتفصيل من حيث نسبه ومكانته في قومه وبغيه على قومه وهلاكه، ولم تذكر في أي سورة من سور القرآن الكريم مفصلاً.

**التوصيات:**

1. الحرص على العلم النافع لاسيما القرآن أشرف العلوم وأجلُّها فيه خير الدنيا والآخرة.
2. تحفيز الدارسين وطلاب العلم من قبل الجهات المختصة على الاستمرار بدراسة وتحليل القرآن الكريم وإستنباط ما فيه من الخير لتعم الفائدة للجميع، ويزداد الذين آمنوا إيمانا.
3. واجب على من تعلَّم هذا العلم أن يُعلِّم به غيره فهذه زكاة العلم.
4. واجب على الأمة أن تهتم بكتاب الله لأنّ فيه ما ينفعها في كل ميادين الحياة.
5. القرآن نور زكله بركة فيه طمأنينة للقلب وبركة في العمر وسعة في الرزق لِمن تعلَّمه وعلَّمه.
6. كما يوصي الباحث بإجراء المزيد من البحوث في مجال المقاصد القرآنية والشرعية فلا زال م بال البحث فيه رحباً.

وفي الختام لا أملك إلّا أن أقول بأني قد بينت رأيي وأوضحت فكرتي وأدعو الله (Y) أن أكون قد وُفقتُ في كتابته، وما أنا إلّا بشر يصيب ويخطئ، فإن كنت مخطأً فإني أستغفر الله عن كل زلّة أو خطأ غير مقصود، وإن كنت مصيباً فهذا رجائي من ربي لا إله إلّا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، فإن أي كاتب

مهما بلغ من التعبير والبلاغة فإن في كتابته نقص، وإن أصدق كتاب كتاب الله (Ψ) إذ يقول في أوله:{ الم ذَٰلِكَ ٱلكِتَٰبُ لَا رَيبَ فِيهِ هُدى لِّلمُتَّقِينَ}[604].

([604]) سورة البقرة: الآيات (1-2).

## المصادر والمراجع:


- القران الكريم.

1. الجزري ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ)، (أُسُد الغابة في معرفة الصحابة)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (1415هـ-١٩٩4م).
2. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، (زاد المسير في علم التفسير)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (1422هـ).
3. ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، (الموضوعات)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، (1386هـ-1966م): (234/2).
4. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ)، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، (1406هـ-1986م).
5. ابن القيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة)، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
6. ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ): (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1411هـ-1991م).

7. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، (مجموع الفتاوى)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1416هـ-1995م).
8. ابن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت: 241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (ب. م)، (1420هـ-1999م).
10. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (المتوفى: 681هـ)، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، (1971م).
9. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (1425هـ-2004م).
10. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، (التحرير والتنوير) (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، (بدون طبعة)، (1984م).
11. ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (أليس الصبح بقريب)، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، الطبعة الثانية، (1988م).
12. ابن عبدالسلام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، (قواعد الأحكام في مصالح الأنام)، مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، (1414هـ-1991م).

13. ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)، (تاريخ دمشق)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1415هـ-1995م).
14. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1422هـ).
15. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، (معجم مقاييس اللغة)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (1399هـ-1979م).
16. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، (غريب القرآن)، تحقيق: سعيد اللحام، دار الكتب العلمية، (1398هـ-1978).
17. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت: 776هـ)، (تفسير القرآن العظيم)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
18. ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت: 711هـ)، (لسان العرب)، تحقيق: (بدون تحقيق)، الناشر: دار صادر بيروت، ط 3، (1414هـ-2002م).
19. ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، (السيرة النبوية لابن هشام)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 2، (1375هـ-1955م).
20. الأرمي: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي (ت: 871هـ)، (تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم

القرآن)، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1421هـ-2001م).
21. آلسعدي: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آلسعدي (المتوفى: 1376هـ)، (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (1422هـ).
22. الآلوسي: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (المتوفى: 1342هـ): (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
23. الأنجري: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، (بدون طبعة)، (1419هـ).
24. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ρ) وسننه وأيامه) (صحيح البخاري)، تحقيق: د. محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، (1422هـ).
25. البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بدون تاريخ).
26. بن سلام: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ)، (تفسير يحيى بن سلام)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1425هـ-2004م).

27. البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (1418هـ).
28. التربانى: جهاد التُربانى، (مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ)، تقديم: الشيخ محمد بن عبد الملك الزغبي، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، (1431هـ-2010م).
29. التنبكتي: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (المتوفى: 1036 هـ)، (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، (2000م).
30. الثعلبي: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (1422هـ-2002م).
31. الجزائري: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، (1424هـ-2003م).
32. الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، (أحكام القرآن)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1405هـ).
33. الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، (1407هـ-1987م).

34. الحاكم: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، (المستدرك على الصحيحين)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1411هـ-1990م).
35. حامدي: عبدالكريم حامدي، (مقاصد القرآن من تشريع الأحكام)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، (1429هـ-2008م).
36. الحجازي: محمد محمود الحجازي، (التفسير الواضح)، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، (1413هـ): (814/2).
37. الحموي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، المكتبة العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
38. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، (معجم البلدان)، دار صادر، بيروت، ط 2، (1995).
39. حومد: أسعد حومد، (أيسر التفاسير)، (بدون دار نشر)، دمشق، الطبعة الرابعة، (1419هـ-2009م).
40. حوّى: سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، (الأساس في التفسير)، دار السلام، القاهرة الطبعة السادسة، (1424هـ).
41. الخادمي: نور الدين بن مختار الخادمي، (علم المقاصد الشرعية)، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، (1421هـ-2001م).
42. الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، (لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن))، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1415هـ).
43. الخطيب: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، (التفسير القرآني للقرآن)، دار الفكر العربي، القاهرة، (بدون تاريخ).

44. الخطيب، عبد الكريم الخطيب، (القصص الْقُرْآني في منظومه ومفهومه). بيروت، لبنان، (د. ت).
45. خلف الله: محمد أحمد خلف الله، (الفن القصصي في القرآن الكريم)، (بدون دار نشر)، (بدون مكان)، الطبعة الأولى، (1950-1951م).
46. د. طه عبدالرحمن، (تجديد المنهج في تقويم التراث)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الثانية، (دون تاريخ).
47. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، (مفاتيح الغيب (تفسير الرازي))، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1421هـ-2000م).
48. الريسوني: أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، (1412هـ-1992م).
49. الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، (معاني القرآن وإعرابه)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (1408هـ-1988م).
50. الزحيلي: د. وهبة الزحيلي، (الأحوال العامة لوحدة الدين)، الطبعة الأولى، (1972م).
51. الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية ، (1418هـ).
52. الزحيلي: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير الوسيط للزحيلي)، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، (1422هـ).
53. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، (البرهان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، (1376هـ-1957م).
54. الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، (الأعلام)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (2002م).
55. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، (1407هـ).
56. سالم، أحمد موسى سالم، (قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح)، دار الجيل، بيروت، (د.ت.).
57. السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ): (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ-2000م).
58. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، (بحر العلوم)، (بدون دار نشر)، (بدون تاريخ).
59. السمعاني: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، (تفسير القرآن)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، (1418هـ-1997م).
60. سيد قطب، (في ظلال القرآن)، دار الشروق: الطبعة الثانية عشر، القاهرة، (1986م): (55/1).
61. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، (الإتقان في علوم القرآن)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون طبعة، (1394هـ-1974م).

62. السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (1426هـ).
63. الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، (الموافقات)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، (1417هـ-1997م).
64. الشحود: علي بن نايف الشحود، (دُروسٌ وعِبَرٌ مِنْ قِصَّةِ قارونَ)، دار المعمور، بهانج، ماليزيا، الطبعة الثانية، (بدون تاريخ).
65. الشربيني: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، (السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير)، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، (1285هـ).
66. شرف الدين: جعفر شرف الدين، (الموسوعة القرآنية، خصائص السور)، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، (1420هـ).
67. الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، تفسير (الشعراوي - الخواطر)، مطابع أخبار اليوم، (1997م).
68. شلبي رؤوف: (الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها)، دار القلم، الطبعة الثالثة، (بدون تاريخ).
69. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان، (1415ه-1995م).

70. الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي الطبراني (ت: 360هـ)، (المعجم الكبير)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1415هـ-1994م).
71. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، (الروض الداني) (المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان الطبعة الأولى، (1405هـ-1985م).
72. الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري (ت: 210هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1420هـ-2000م).
73. الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ)، (شرح مشكل الآثار)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (1415هـ-1994م).
74. طنطاوي: محمد سيد طنطاوي، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، (1998م).
75. الطنطاوي، عبد الله الطنطاوي، (بديع الزمان النورسي)، مجلة المنار، العدد (63)، شوال (1423ه).
76. الطيار: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، (المحرر في علوم القرآن)، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، الطبعة الثانية، (1429هـ-2008م).
77. العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، (شرح رياض الصالحين)، دار الوطن للنشر، الرياض، (بدون طبعة)، (1426هـ).

78. عرجون: محمد الصادق عرجون، (القرآن الكريم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية، (1410هـ-1989م).
79. علماء نجد الأعلام، (الدرر السنية في الأجوبة النجدية)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، (1417هـ-1996م).
80. العليمي: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 927 هـ)، (فتح الرحمن في تفسير القرآن)، تحقيق وتخريج الأحاديث: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة، إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، الطبعة الأولى، (1430هـ-2009م).
81. عمر: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، (معجم اللغة العربية المعاصرة)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (1429هـ-2008م).
82. غريب: محمود محمد غريب، (منهج القرآن في القضاء والقدر)، دار القلم للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، (1419هـ-1998م).
83. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، (المستصفى في علم الأصول)، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1417هـ-1997م).
84. الفاسي: علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، دار الغرب الإسلامي، مؤسسة علال الفاسي، الطبعة الخامسة، (1993م).
85. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، (كتاب العين)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (بدون تاريخ).
86. القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، (محاسن التأويل)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (1418هـ).

87. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي))، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، (1384هـ-1964م).
88. القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، (لطائف الإشارات، تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، (بدون تاريخ).
89. القنوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، (فتحُ البيان في مقاصد القرآن)، قدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، بَيروت، (1412هـ-1992م).
90. القيرواني: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، (الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، (1429هـ-2008م).
91. القيعي: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، (الأصلان في علوم القرآن)، (بدون دار نشر)، الطبعة الرابعة، (1417هـ-1996م).
92. كرد علي: محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي (المتوفى: 1372هـ)، (خطط الشام)، مكتبة النوري، دمشق، الطبعة الثالثة، (1403هـ-1983م).
93. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، (النكت والعيون (تفسير الماوردي))،

تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).
94. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (التفسير الوسيط للقرآن الكريم)، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)-(1414هـ-١٩٩٣م).
95. المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، (تفسير المراغي)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، (1365هـ-1946م).
96. مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ρ)) (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ).
97. مطاوع: أ.د. سعيد عطية علي مطاوع، (الإعجاز القصصي في القرآن الكريم)، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، (2006م).
98. المظهري: محمد ثناء الله المظهري، (التفسير المظهري)، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، الباكستان، بدون طبعة، (1412هـ).
99. المغراوي: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، (موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية)، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، النبلاء للكتاب، مراكش، المغرب، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ).
100. مقاتل: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي (ت: 150هـ)، (تفسير مقاتل بن سليمان)، تحقيق: عبدالله محمود شحاتة، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، (1324هـ).
101. الملا الهروي: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، (شرح مسند أبي حنيفة)، تحقيق: الشيخ خليل

محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1405هـ-1985م).
102. النجدي: فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى: 1376هـ)، (توفيق الرحمن في دروس القرآن)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم، بريدة، الطبعة الأولى، (1416هـ-1996م).
103. النخجواني: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (المتوفى: 920هـ)، (الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية)، دار ركابي للنشر، الغورية، مصر، الطبعة الأولى، (1419هـ-1999م).
104. النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، (السنن الكبرى)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (1421هـ-2001م).
105. النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (تفسير النسفي)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، (1419هـ-1998م).
106. النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، (اللباب في علوم الكتاب)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1419هـ-1998م).
107. النيسابوري: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، (إيجاز البيان عن معاني القرآن)، تحقيق:

الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (1415هـ).
108. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1415هـ-1994م).
109. الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، (1415هـ).
110. اليوبي: د. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، (1418هـ-1998م).

**الرسائل والأطاريح:**

111. آمنة عشاب، (الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني سورة يوسف أنموذجاً)، رسالة ماجستير، بإشراف: د. عميش عبدالقادر، جامعة حسيبة بن بوعلي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، الشلف، الجزائر، (2007م).
112. البسيوني: سماح جمال البسيوني، (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الأربعين سورة القَصَص الآيات: (51-88)، وسورة العنكبوت الآيات (1-45))، رسالة ماجستير، بإشراف: د. جمال محمود الهوبي، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، (1437هـ-2015م).

113. جاب الله: سمية جاب الله، (المقاصد القرآنية في القَصَص القرآني قصة آدم (υ) انموذجاً)، رسالة ماجستير، بإشراف: د. عبدالقادر شكيمة، قسم أصول علوم الدين، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، (1438هـ-2017م).
114. خلة: محمود عبدالخالق خلة، (سورة القَصَص دراسة تحليلية وموضوعية)، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور محمد أبو زور، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، (1423هـ-2002م).
115. العروقي: محمد بن سليم العروقي، (الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب التاسع والثلاثين من آية (54) من سورة النمل إلى آية (50) من سورة القَصَص)، رسالة ماجستير، بإشراف: زهدي محمد أبو نعمة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، (1438هـ-2016م).
116. محسن: مفتاح علي المهدي محسن، (التناسق الموضوعي للطواسين)، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، الجامعة الأسمرية الإسلامية، بحث منشور في مجلة قبس للبحوث والدراسات الشرعية، العدد 5، زليتن، ليبيا، (2020م).

**المجلات والدوريات والمواقع الإلكترونية:**

117. الأحمر: د. عبدالسلام الأحمر، (المقاصد القرآنية في فكر النورسي)، مقالة منشورة على الموقع:
https://asosindex.com.tr/index.jsp?modul=articles-page&journal-id=85&article-id=4164
118. الحسيني: د. ضياء الدين الحسيني، (مقاصد القرآن .. لماذا أُنزل القرآن؟)، مقالة منشورة على الموقع الإلكتروني:
http://www.alraeed.net/raeedmag/preview.php?id=4262

119. حطيبة: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، (تفسير الشيخ أحمد حطيبة)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net.

120. رجب: الشيخ عبدالعزيز، (تاريخ نشأة المقاصد الشرعية وتطورها)، مقالة نشرت بتاريخ (1437/3/19هـ-2015/12/31م) على الموقع الإلكتروني: https://www.alukah.net/sharia/0/96796/#ixzz6lL00EH5X

121. العمري: ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب (ت: بعد 1232هـ)، (الروضة الفيحاء في أعلام النساء)، الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة، https://shamela.ws.

122. الريسوني: أ.د. أحمد ، (البحث في مقاصد الشريعة نشأته وتطوره)، بحث مقدم لندوة مقاصد الشريعة، التي نظمتها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن، من (1-5 مارس 2005)، منشور بتاريخ (2019/5/6) على الموقع: http://raissouni.net .

123. (علم مقاصد السور القرآنية)، مقالة على شبكة المعلومات على الموقع: http://iswy.co/e16nsa

124. زرمان، أ.د. محمد زرمان، (المقاصد القرآنية عند محمد الغزالي أنواعها، مضامينها، وأبعادها الحضارية)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، www.tafsir.net.

125. الطاهر: علي محمد الطاهر، (دراسة لأسلوب القَصَص القرآني)، موقع مكتبة نور:
www.noor.book.com

126. أبو فيصل البدراني، (فقه الابتلاء وأقدار الله المؤلمة): الكتاب منشور إلكترونياً على الموقع الرسمي للمكتبة الشاملة: https://shamela.ws.

127. قائد: نشوان عبده خالد قائد، (التمييز المنهجي في عرض المقاصد القرآنية عند الطاهر ابن عاشور في تفسيره)، بحث مقدم إلى مركز الوفاق للدراسات والبحوث، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، www.wefaqdev.net.

128. الكتاني: محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (المتوفى: 1419هـ)، (تفسير القرآن الكريم)، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.

129. مطني: الدكتور محمد مطني، سورة القَصَص دراسة تحليلية: https://shamela.ws

130. ملتقى أهل اللغة، رابط الموقع: http://ahlalloghah.com.

131. الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة:
https://shamela.ws/index.php/author/647 .

132. موقع التاريخ: http://www.altareekh.com.

**السيرة الذاتية**

ضياء علي طاهر الطحان